تم إجراء التعديلات المطلوبة حسب توجيهات اللجنة
وعلى هذا جرى التوقيع

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
مكة المكرمة
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع الكتاب والسنة

تسخير ما في الكون للإنسان على ضوء سورة النحل

وآثار ذلك في توحيد الخالق عز وجل

بحث مقدم لنيل درجة "الماجستير" في الكتاب والسنة



إعداد الطالبة
زهرة محمد بن صالح الفاداني

إشراف الأستاذ
الدكتور / أبو حنيف مجاهد حسن

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي رسالتي هذه إلى من أرضعاني بحب الشرع وغرسا في محبة العلم والمعرفة :

والدي العزيز ، تغمده الله بواسع رحمته ، وأنزل عليه سحائب الرضوان . وأسكنه فسيح جناته .

والوالدة الحنونة ، التي ما فتئت تدعو لي بالتوفيق والسداد ، أمدها الله بالعمر المديد .

ابنتكما

زهرية الفاداني

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وتقديـــر

لايسعنى وأنا أتقدم بهذا البحث الآن أتقدم بخالص الشكر والامتنـــان لكل من مد الى يد العون والمساعدة فى اتمام هذا البحث والوصول بـــه الى بر الختام .

وأخص منهم بعد شكر الله الأستاذ الدكتور (ابوضيف مجاهد حسن) المشرف على الرسالة والذى كان لتوجيهاته السديدة أكبر الأثر فى ظهور هـــذا البحث الى حيز الوجود .

كما أتقدم بجزيل شكرى وامتنانى للوالدة العزيزة أمد الله فـــى حياتها وأخواتى العزيزات على تشجيعهن وحسن مساندتهن لى .

وزوجى الكريم الأستاذ أنيس نور محمد عبدالرشيد الذى كان لنصحـــه وجهده دور فعال فى اتمام هذا العمل المتواضع ،وكذلك ابن أختى (محمـــد نور منكابو) . والاستاذ / احمد عبدالله نورالهدى الاستاذ بمدرسة الملك عبد العزيز الثانوية بمكة .

كما أشكر هيئة الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة التى أمدتنـــى بالأبحاث التى احتجت اليها وأخص منهم الدكتور محمد صلاح الصاوى .

وأشكر كذلك الأستاذ الدكتور / عبدالباسط ابراهيم بلبول الأستـــاذ بقسم الكتاب والسنة على توجيهاته القيمة ،والشيخ ابو الأشبال صغير أحمد على تعاونه معى فى تخريج الأحاديث الشريفة .

كما لايفوتنى أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لجامعة أم القـــرى والى الأساتذة الأجلاء بكلية الدعوة وأصول الدين .

كما أتقدم بشكرى لأعضاء لجنة المناقشة الموقرين على تفضلهم بقبـول مناقشة هذا البحث المتواضع .

وأخيرا أتقدم بشكرى الى كل من ساهم معى فى انجاز هذا البحـــث سائلة المولى القدير أن يجزيهم عنى خير الجزاء والله من وراء القصد .

الباحثة


المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أولا : المقدمة .

الحمد لله رب العالمين، خلق الانسان ووهبه نعمة النطق والبيان، وأنعم عليه بالسمع والبصر والجوارح والجنان، وسخر له مافى السموات ومافى الأرض، ليصل بما أنعم عليه الى توحيد المنعم، وجعل فى كل ذلك دلائل باهرة مفضية الى طريق الايمان، ثم الارتقاء منه الى درجة الاحسان .

والصلاة والسلام على خير من بعثه الله للانس والجان، وأنزل عليه كتابه للتدبر فى آياته والنظر فيها بامعان، فكان كل الخير والتوفيق لمن اتبع ماجاء به من الهدى والفرقان، ومن أعرض عنه لم ينل الا الخسران .

أما بعد !

فمنذ أن عقلت وتعلمت التلاوة وأخذت أتلو كتاب الله تعالى وأكرر تلاوته لحظت كثرة الآيات القرآنية التى توجه الانسان الى النظر فى آيات الله المبثوثة فى الكون، وفى النفس، وكثيرا ماكنت أقف عند ختام تلك الآيات التى تحث على التذكر والتفكر والتدبر والتعقل، وأسائل نفسى لِمَ كل هذا الحشد من الآيات فى ذكر ماسخر الله للانسان ؟ وما الحكمة من تكرار تعداد هذه النعم ؟ هذه الأسئلة وغيرها لم أجد لها جوابا فى تلك الفترة ولم يكن لى الا الايمان والتسليم .

وعندما واصلت تعليمى وازدادت ثقافتى أخذت تتفتح لى معان جديدة، وأخذت أحس شيئا فشيئا روعة هذه الآيات . ثم تعمقت فى ذلك قليلا فاذا بى أمام آفاق واسعة، تدعو الى رفع غطاء الألفة والعادة التى غشيت أبصار الناس وأفئدتهم والى النظر اليها من جديد حتى يرى الانسان العجب العجاب من بديع صنع الله تعالى وعظيم قدرته مما يدعوه حتما الى الايمان به وتوحيده وشكره .

ثانيا : سبب اختيار الموضوع .

من خلال ماوضحت سابقا من احساس شعرت بأهمية الكتابة في هذا الموضوع "تسخير مافى الكون للانسان على ضوء سورة النحل وآثار ذلك في توحيد الخالق عز وجل" .. وذلك للأسباب الآتية :

(١) ان القرآن العظيم هو كتاب الله المقروء، وهذا الكون الرحب الذى نجول فيه بنظرنا وندب على أرضه بأقدامنا ليلا ونهارا هو كتاب الله المنظور، نقلب فى صفحاته فنرى فى كل صفحة منه آيات بينات تدل على قدرة الخالق وبديع صنعه وجمال خلقه .

(٢) اثبات أن الاسلام دين العلم، وأن الاسلام والعلم متلازمان ومتكاملان فى انسجام بديع ،وأن الاسلام يلائم كل حياة، ويصلح لكل الأجيال الانسانية، وأنه يواكب كل عصر، فالاسلام بحق صالح لكل مكان وزمان .

(٣) اظهار أن القرآن كتاب يزخر بالمعارف والحقائق لكثير من العلوم والفنون لاتحد أسراره ولاتنقطع عجائبه ويحمل فى طياته من الحقائق البعيدة ومن النتائج العلمية مالايصل اليه الانسان الا بعد التفكير والنظر ،ولايمكن للانسان أن يبلغ فى تفسيره حد الكمال حيث لاتنتهى خزائن حقائقه ومعارفه ،جاء فى سنن الترمذى فى كتاب فضائل القرآن قوله صلى الله عليه وسلم : " هو الذى لاتزيغ به الأهواء،ولاتلتبس به الألسنة ،ولايشبع منه العلماء ... ولاتنقضى عجائبه"(١) .

(٤) الحث على التدبر والتفكر فى هذا الكون الواسع لايقاظ حس الغافلين عن بديع صنع الله فى الكون، والأنفس، حيث غفلوا عنها بسبب طول الألفة والعادة .

(٥) اظهار نعم الله تعالى للانسان بمعرفة تسخيره مافى الكون للانسان، حتى يتبين الجاحد أنعم الله ويزداد المؤمن ايمانا على ايمانه

---

(١) الجامع الصحيح فى سنن الترمذى تحقيق ابراهيم عطوة (١٧٢/٥ - ١٧٣) الطبعة الأولى ١٩٦٠م ،وفى سنده الحارث الهمذانى وفيه مقال لكن معنى الحديث صحيح ،لذا يؤخذ به فى الترغيب والترهيب .

وبالتالى يزداد شكره وحمده لله على هذه النعم التى هى من صنع الله وحده دون سواه .

(٦) بيان الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم وذلك بالدلالة على أوجه اعجاز القرآن الكريم التى كشفت عنها العلوم الكونية والطبية، حيث ان الحقيقة الكونية التى يشاهد الناس مصداقها فى الكون تنطق بها آيات القرآن قبل أن يكشف عنها العلم .

ولايمكن أن يقع تعارض بين قطعى من الوحى وقطعى من العلم التجريبى ..

"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" فصلت (٥٣)

لأن ظهور هذه البينات العلمية يعزز الثقة فى قلوب المسلمين الذين فتنهم الكفار عن دينهم باسم العلم . ويظهر صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى نبوته وماحمله اليه الوحى من علم الهى يعجز البشر عن الاتيان بمثله بما فيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

إضافة الى كل ذلك فان القرآن الكريم أساسا كتاب هداية وارشاد قال تعالى :

"إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا" الاسراء (٩)

فالقرآن عطاء الله تعالى لكل الأجيال، ومعجزة للرسول صلى الله عليه وسلم باهرة لكل العصور، قال صلى الله عليه وسلم فى هذا الصدد كما فى "التذكار فى أفضل الأذكار من القرآن الكريم" للقرطبى قال : (ان هذا القرآن مأدبة الله ،فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ،ان هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع ،عصمة لمن تمسك به ،ونجاة لمن اتبعه ،لايزيغ فيستعتب ،ولايعوج فيقوم ،ولاتنقضى عجائبه، ولايخلق من

كثرة الرد ، اتلوه فان الله يؤجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات .... الحديث) [1] .

لذا فان على الانسان إن أراد أن يتوصل الى معرفة حقيقة وجود ماحوله أن يزيح الغشاوة عن عينيه وعن قلبه . وينظر بعد ذلك الى الكون والى نفسه نظرة فاحصة وكأنه يشاهد ذلك لأول مرة ،فاذا فعل ذلك فستصيبه الدهشة والروعة من عجيب مايرى ،وستنطلق جوارحه كلها بتسبيح الله وتوحيده ،وسيخر ساجداً لله تعالى شاكراً حامداً .

وقد كان من مهمة الأنبياء عليهم السلام ثم الدعاة الى الله من بعدهم ازالة الران عن قلوب بنى آدم ورفع الغطاء الذى غشى أبصارهم لينظروا الى ملكوت السموات والأرض متدبرين متفكرين ليعودوا موحدين لربهم شاكرين .

وقد أحببت أن أرد ورد هؤلاء الدعاة وأنتظم فى سلكهم لرفع الغشاوة عن قلوب كثير من بنى آدم ،وذلك عن طريق دراسة الآيات الكونية والاستدلال بها على توحيد الخالق .

وهناك عدد من سور القرآن الكريم تحدثت عن خلق الله فى السموات والأرض إما بالايجاز أو بالتفصيل ،وكانت سورة النحل من أكثر السور تعرضا لهذا الموضوع من ذكر الانعام ومنافعها وأوجه الافادة منها وانزال الماء من السماء لانبات الزرع وتسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ،واختلاف الألوان وتسخير مافى البحر ،وذكر الرواسى

---

(١) التذكار فى أفضل الأذكار من القرآن الكريم ،أبو عبدالله القرطبى (ص ٣٧) دار الكتب العلمية ،بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
وكذلك رواه الدارمى فى فضائل القرآن (٤٣١/٢) موقوفا على ابن مسعود وله شاهد من حديث على رضى الله عنه رواه الترمذى فى فضائل القرآن حديث رقم (٢٩٠٦) والدارمى فى فضائل القرآن (٤٣٥/٢) .

وفوائدها والأنهار ومنافعها ،ثم ذكر العبرة فى الأنعام واخراج اللبن منهـا من بين فرث ودم ،والعسل ومنافعه ،والانسان وخلق حواسه وايجاد عقب له من بنين وحفدة ، وتسخير الطير فى جو السماء ، كما ذكّرت الناس بنعمـة اتخاذ البيوت سكنا وأوجه الافادة من جلود الأنعام وأصوافها وأوبارهـا وأشعارها ونعمة الظلال واتخاذ السرابيل ثم الأمر بالأكل من رزق اللـه حلالا طيبا وشكر المنعم . وخلال كل ذلك دعوات الى التأمل والتفكـر والتدبر واستخدام السمع والبصر والعقل ،وفى كل ذلك أدلة موصلة الـى الخالق عز وجل وتوحيده .

لذا عقدت العزم على اختيار هذه السورة لموضوعى هذا لأتقدم بـه لنيل درجة الماجستير فى فرع الكتاب والسنة وهو بعنوان : " تسخير مافى الكون للانسان على ضوء سورة النحل وآثار ذلك فى توحيد الخالق عز وجل.

ثالثا : تمهيـد .

ووضحت فيه علاقة السورة بما قبلها والآيات التى تعرضت لموضوع البحث ونبذة موجـزة عـن السورة .

رابعا : خطة البحـث .

ولقد اقتضى موضوع الرسالة وأهدافها أن يكون مشتملا على مقدمـة وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة :

وهى التى بين أيدينا فتشتمل على بيان أسباب اختيار الموضـوع وأهميته ومنهج البحث فيه وحكمة الله تعالى فى خلق هذا الكون مع بيـان خطة الرسالة .

أما الباب الأول فهو بعنوان : (آيات الله الكونية فى السماء) .

ويشتمل على خمسة فصول :

خصصت الفصل الأول للحديث عن مفهوم الشمس فى اللغة وتسخيرهـا للانسان ومظاهر الانتفاع بها وبينت آثار ذلك على الانسان والنبـات والحيوان . ثم بينت كون الشمس دليلا على دخول وقت النهار وأهمية ذلـك

فى عملية التمثيل الضوئى وغير ذلك من الفوائد ودلالة كل ذلك على توحيد الخالق عز وجل .

أما الفصل الثانى : فقد تحدثت فيه عن مفهوم القمر لغة وأهميته للانسان بعامة، والمسلم بخاصة، وأهميته فى معرفة الأهلة وغير ذلك من الفوائد والنعم ثم ذكرت دلالة هذا كله على توحيد الخالق عز وجل .

أما الفصل الثالث : فتحدثت فيه عن النجوم فى اللغة وتعددها وفوائدها وحاجة الانسان اليها وجعلها زينة السماء، ومصابيح ورجوما للشياطين، والاهتداء بها فى البر والبحر، والنعم المترتبة على ذلك، وآثار ذلك فى توحيد الخالق عز وجل مع بيان شواهد ذلك من الآيات البينات .

أما فى الفصل الرابع : فقد تحدثت فيه عن اختلاف الليل والنهار مع بيان معنى لفظى الليل والنهار فى اللغة . وبينت فيه معرفة عدد السنين والحساب من خلال هذا الاختلاف . ثم تحدثت عن جعله عز وجل الليل لباسا والنهار معاشا، وفائدة ذلك للانسان، وكذلك ضرورة الليل والنهار بالنسبة للنبات أيضا، وآثار ذلك ودلالته على توحيد الخالق عز وجل مع بيان شواهد ذلك من الآيات .

أما الفصل الخامس : فقد تحدثت فيه عن الطير فى اللغة وتسخيرها فى جو السماء، وحكمة ذلك، والانتفاع بها، وتدريب بعضها على نقل الرسائل، ومافى ذلك من دليل على قدرة الله عز وجل وتوحيده .

أما الباب الثانى فخصصته للحديث عن تسخير الأرض للانسان .

ويشتمل على ستة فصول هى :

الفصل الأول : وذكرت فيه معنى الأرض فى اللغة، وارتباط الانسان بها، وتذليلها وفرشها، وتثبيتها بالجبال، وكذلك نعمة الظلال والجبال واللباس وبينت شواهد ذلك من الآيات، وأثره فى مخاطبة القلب البشرى، وفى توحيد الخالق عز وجل .

الفصل الثانى : وفيه تحدثت عن الماء لغة، وأهميته للحياة، ومظاهر تسخيره للانسان وكونه عذبا فراتا وملحا أجاجا وتعدد فوائده. والحكمة من ذلك، وشواهد ذلك من الآيات، ودلالته على قدرة الخالق عز وجل وتوحيده .

الفصل الثالث : وفيه تعرضت لوجود النباتات المختلفة، وأهميتها وفوائدها للانسان والحيوان، وتعدد تلك الفوائد فى الأغراض المختلفة. وبينت فيه اختلاف التربة وأثر ذلك على الحياة الانسانية والحيوانية والنباتية ، والحكمة من ذلك كله مع الشواهد من الآيات .

الفصل الرابع : تحدثت فيه عن الأنعام واطلاقها فى اللغة، ومظاهر تسخيرها للانسان، وتعدد فوائد الانتفاع بها والانتفاع ببعضها فى أغراض خاصة، والحكمة من ذلك ، شواهد ذلك من الآيات .

الفصل الخامس : تحدثت فيه عن النحل ومفهومه اللغوى، وأهميته للانسان، والشراب المستخرج منه وكونه شفاء للناس ، وكذلك تكلمت عن غذائه ومسكنه، وماورد من آثار تصدق أهمية هذا الشراب، والآية الواردة فى ذلك، ودلالة ذلك على توحيد الخالق عز وجل وقدرته .

الفصل السادس : وتحدثت فيه عن البحار والأنهار، واشتقاقهما فى اللغة، ومظاهر الافادة منهما، وتسخيرهما للسفن وغيرها، وتعدد أغراض النفع بهما من لحوم وحلى وعمل وغير ذلك ، آثار ذلك فى توحيد الخالق عز وجل، وشواهد ذلك من الآيات .

أما الباب الثالث : فخصصته للحديث عن "الانسان" .

وينقسم الى فصلين هما :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن خلق الانسان وأطواره، والسمع والبصر وفائدتهما، والقلب كسلطان للبدن ومخاطبة القرآن له، وكذلك العقل وتكريم الله الانسان به، إضافة الى نعمة البنين والحفدة، وأثر ذلك فى توحيد الخالق عز وجل .

الفصل الثانى : تحدثت فيه عن عضو اللسان، ووضحت نعمة خلقه واختلاف اللغات عن طريقه، وبينت نعمة البيان الذى يمتاز به الانسان، وأبرزت قدرة الله تعالى فى تمكين المسلمين من النطق بالقرآن مع اختلاف لغاتهم . وبينت شهادة اللسان فى الدنيا والآخرة، وغير ذلك من النعم، وشواهد ذلك من الآيات، والدلالة على توحيد الله عز وجل .

خامسا : منهج البحث .

ومنهجى فى البحث يتلخص فيما يلى :

(١) توضيح لفظ النعمة الواردة لغويا ومشتقاتها .

(٢) ذكر النص القرآنى من خلال سورة النحل وتفسيره تفسيرا تحليليا .

(٣) ذكر بعض الآيات الأخرى التى تتعلق بالنعمة الواردة .

(٤) ذكر بعض الأحاديث الصحيحة التى ترتبط أيضا بهذه الجزئية .

(٥) الاستشهاد أحيانا بحقائق علمية وطبية تتعلق بالنعمة التى أذكرها بما يتفق والدلالة القرآنية .

(٦) الاستشهاد من خلال ذلك على توحيد الخالق عز وجل وقدرته وسلطانه .

(٧) الاستشهاد بأقوال بعض العلماء من مسلمين وغيرهم على صدق ما أقول .

(٨) توضيح المعلومة أحيانا بالصور .

سادسا : الخاتمة .

وبينت فيها خلاصة مركزة للبحث، والنتائج التى توصلت اليها، وبعض التوصيات والمقترحات، كما اشتمل البحث على فهرس للمراجع والموضوعات

والآيات والأحاديث والأعلام ، اضافة الى ملحق خاص للصور الموضحة .

وأخيرا فانى أحمد الله على أن سهل ويسر لى اتمام هذا البحث على هذا النحو المتواضع، فما كان من صواب فمن الله، وماكان من خطأ فمنى ومن الشيطان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ...

الطالبة

زهرية محمد بن صالح الفادانى

بين يدي السورة

بين يدى سورة النحل

اولا : مكية السورة .

سورة النحل مكية سوى آياتها الثلاث الاخيرة من قوله تعالى :

"وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ." (١٢٦ ــ ١٢٨)

فان هذه الآيات الثلاث نزلت بين مكة والمدينة ،كما قال مجاهد عن ابن عباس قال : سورة النحل نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها ،فانهن نزلن بين مكة والمدينة فى منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد [(١)] وفى شان التمثيل بحمزة وقتلى أحد [(٢)] .

فالسورة مكية فى قول الجمهور ،حيث انها تضمنت امرا بالصبر وعدم الحزن وبالدعوة بالحكمة والمجادلة الحسنى ،وهذه الامور مجموعها تدل على انها نزلت فى العهد المكى .

ثانيا : عدد آيات السورة .

عدد آيات سورة النحل ثمان وعشرون ومائة آية .

ثالثا : اغراض السورة .

سورة النحل كسائر السور المكية [(٣)] تعالج موضوعات العقيدة الكبرى

---

(١) تفسير فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن على الشوكانى المتوفى عام ١٢٥٠هـ (١٤٦/٣) . دار الفكر بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٢) الجامع لأحكام القرآن لابى عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ (٦٥/١٠) ، دار احياء التراث العربى ــ بيروت ١٩٦٦م .

(٣) ان السور المكية : هى مانزلت قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة ، والمدنية مانزلت بعد هجرته عليه الصلاة والسلام سواء نزل بمكة او بالمدينة عام الفتح اوعام حجة الوداع ام فى سفر من الاسفار .

من الاتقان فى علوم القرآن ــ جلال الدين السيوطى (١٢/١) دار المعرفة بيروت ــ ط الرابعة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م . =

(الالوهية ،والوحى ،والبعث) .

ولقد عالجت السورة قضية الألوهية عن طريق آيات الخلق الدالة على وحدانية الخالق وآيات النعمة الدالة على وحدانية المنعم وذلك بعرضها فوجا فوجا ومجموعة مجموعة بادئا بخلق السموات والأرض وخلق الانسان وعلمه الشامل فى السر والعلانية والدنيا والآخرة ،قال تعالى :"خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" . وقوله :"خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ"(١) .

اما قضية الوحى تتضح من حيث أن معظم سياق السورة يدور حول المكذبين المشركين والجاحدين لنعمة الله والمحرمين ما أحله الله ،والناقضين لعهده تعالى والمرتدين عن الايمان ،ومن ثم كان الانذار "أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ . سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ . يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ" أليق فى هذا السياق وتكون الدعوة الى التقوى والحذر والخوف اولى فى هذا المقام . (٢) .

ثم عالجت قضية البعث وموعده فى قوله تعالى : "الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ" . وفيهما تقرير ان الخالق لابد أن يعلم موعد البعث لأن البعث تكملة للخلق . (٣)

وتذكر الى جانب ذلك كله دلائل القدرة والوحدانية فى خلق السموات ،ومافيها من شمس وقمر ونجوم ،وظاهرة الليل والنهار ،والطير المسخر فى جو السماء ،وفى خلق الأرض وتذليلها وتثبيتها بالجبال ،ومافيها من معالم وبحار وأنهار وسبل ونباتات وأنعام وغيرها من النعم المشاهدة التى يراها الانسان فى حياته ويدركها بسمعه وبصره ،كما تصاحب هذه السورة اللمسات الوجدانية التى تدخل الى أسرار الانفس وأحوال البشر وهم أجنة فى البطون .

= ومن المميزات الموضوعية للسور المكية وخصائص أسلوبها الدعوة الى التوحيد وعبادة الله وحده ، واثبات الرسالة ،واثبات البعث والجزاء ،وذكر القيامة وهولها ،والنار وعذابها ،والجنة ونعيمها ، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية ،والآيات الكونية .

والسور المدنية : ما نزلت بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة وإن كان بغير المدينة ولها مميزات موضوعية وخصائص أسلوب . فمن الناحية الموضوعية نجدها تعنى ببيان العبادات والمعاملات ،والحدود ،ونظام الاسرة ،والمواريث ،وفضيلة الجهاد ،والصلات الاجتماعية ، والعلاقات الدولية فى السلم والحرب ،وقواعد الحكم ،ومسائل الشريعة .

ومن أراد معرفة المزيد من هذه المميزات والخصائص فلينظر كتاب: مباحث فى علوم القرآن — مناع القطان (ص ٦١-٦٤) ،موسسة الرسالة بيروت — الطبعة التاسعة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

(١) فى ظلال القرآن — سيد قطب (١٤/ ٤٦) ،دار احياء التراث العربى — بيروت — الطبعة الثالثة .

(٢) نفس المرجع السابق (١٤/ ٤٥) . بتصرف يسير .

(٣) نفس المرجع السابق (١٤/ ٥٢) .

وهـذه السورة هادئة الايقـاع ،عادية الجرس(١) ولكنهـا فى هدوئهـا تخاطب كل حاسة وكل جارحة فى الكيان البشرى ،وتتجـه الى العقـل الـواعى ،كما تتجـه الى الوجـدان الحساس ليتـأثـر ، وتخاطب العقـل ليتـدبر ،فيدرك من خـلال هذه الأدوات المختلفة مـدى عظمة الله وقدرتـه ووحـدانيتـه فى خلق هـذا الكـون العظيم ،ومن ثم تتـراءى له ظلال النعمة وظلال الشكـر للـواحـد الأحـد (٢) .

وختمت السورة الكريمة بأمـر الرسول صلى الله عليـه وسلم بالدعـوة الى الله بالحكمة والموعظـة الحسنة ،والصبر والعفـو عمـا يلقـاه من الأذى فـى سبيـل تبليغ دعـوة اللـه (٣) .

هـذا هـو جو السورة وهو جـو يغلب عليـه الـدفـاع عن العقيـدة وعرضها وبسطهـا وتـأييـدهـا بالحجج والأمثلـة والشواهـد والرد على العقـائد المخالفة لها والترغيب فيهـا وفـى نتائـج الايمـان بهـا .

---

(١) يشعر القارئ بسلاسة فى نغمـة هادئـة لهـذه الآيات وبسـاطة فى تركيبهـا وحـلاوة فـى جـرسها مثـل قولـه :

أتـى أمر الله فـلا تستعجلوه	سبحانـه وتعالى عما يشركون
خلق السموات والارض بالحـق	تعـالى عمـا يشركـون

فيـلاحظ انقسـام كل آيـة منها الى فقرتين متواليتيـن ،الاول منهمـا فى الاكثر جملة فعليـة جارية على المألوف المعتاد من تركيب الجمل ،والاكثر فى الثانية أن تكون جملة اسمية ،والغـالـب أن تتعادل الفقـرتان فى وزنهمـا أوتتقـارب على أن تنتهـى الثانيـة بفاصلة هى الاكثـر الواو والنـون ،وقـد تتـألف الايـة مـن عـدة فقـرات متـواليـة متـوازنـة منسجمـة كقـولـه : وهـو الذى سخـر البحـر لتـأكلـوا منـه لحمـا طريـا ــ تستخـرجـوا منـه حليـة تلبسـونها ــ وتـرى الفلك مـواخـر فيـه ــ ولتبتغـوا مـن فضلـه ــ ولعلكـم تشكـرون .

وفى كل فقـرة مـن الفقـرات التـى تتـألف منهـا الآيـة حسـن تـوزيـع للمـدود والحـركـات يجعـل نغمتهـا هـادئة متسـاوية الأجـزاء ظـاهـرة الانسجام والاتسـاع موافقـة فـى نغمتهـا الهـادئـة الطـويلة بعض الطـول مـع موضـوعهـا الفكرى ،ويلاحظ القارئ أن كـل كلمة هى فى المكان المناسب لها سواء من حيث المعنى أومن حيث جمال اللفظ وحلاوة الجرس.
من دراسة أدبية لنصوص من القرآن محمد المبارك ،دار الفكر ــ ط الرابعة ١٣٩٢هـ ص ٦٦ ــ ٦٧ .

(٢) فى ظلال القرآن (١٤/٤٤ ــ ٤٥) بتصـرف

(٣) صفوة التفاسير ــ محمد على الصابونى (١١٨/٢) ،دار القرآن الكريم بيروت ط الرابعة منقحة ١٤٠٢هـ .

رابعا : سبب تسمية السورة بسورة النحل وسورة النعم.

سميت هذه السورة الكريمة (سورة النحل) لاشتمالها على تلك العبرة البليغة التى تدل على عجيب صنع الخالق . وتدل على الألوهية بهذا الصنع[1] . وكذلك فان لفظ النحل لم يذكر فى سورة أخرى .

وتسمى أيضا سورة النعم بسبب ما عدد الله فيها من نعمة على عباده ، فان الله ذكر فى أولها أصول النعم وقواعدها ، وفى آخرها متمماتها ومكملاتها[2] .

خامسا : صلة السورة بما قبلها .

سورة النحل جاءت بعد سورة الحجر للمناسبة بين السورتين حيث ذكر الله عزوجل فى آخر الحجر أمره الكريم لرسوله العظيم "بأن يعبد ربه حتى يأتيه اليقين" .
وفتحت السورة بأن ما وعد به المشركون قد أتى وحان حينه وجاء زمانه[3] .

ان آخر سورة الحجر شديدة الصلة بأول سورة النحل . وآخر سورة الحجر (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) آية ٩٩ الذى هو مفسر بالموت ، وأول سورة النحل (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ) . قال الألوسى فى تفسيره : (وظاهر المناسبة بقوله فى سورة النحل (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ) وقد جاء فى المتقدمة (يَأْتِيَكَ) بلفظ المضارع وفى المتأخرة (أتى) بلفظ الماضى لأن المستقبل سابق على الماضى ، والأمر واحد الأمور ، وهو مفسر بيوم القيامة)[4] .

وقال صاحب البحر المحيط فى ربط سورة النحل بسورة الحجر : (ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال "فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ" كان ذلك تنبيها على حشرهم يوم القيامة ، وسؤالهم عما أجرموه فى دار الدنيا ، فقيل "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ" وهو يوم القيامة على قول الجمهور[5] .

---

(١) تفسير الصابونى (١٤/١١٩) بتصرف.

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى المتوفى عام ١٣٧٦ هـ تحقيق وضبط محمد زهرى النجار (٤/١٨٣) بتصرف . الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ١٤٠٤ هـ .

(٣) تفسير القرآن الحكيم محمد عبد المنعم خفاجى ص ١٧٢ الطبعة الاولى ـ دار العهد الجديد للطباعة ـ مصر .

(٤) أنظر تفسير الألوسى (١٤/٩٠) .

(٥) انظر التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط (تفسير البحر المحيط) أثير الدين أبى عبد الله محمد بن يوسف ابن حيان الاندلسى الغرناطى الجيانى الشهير بأبى حيان المولود ٦٥٤ هـ والمتوفى بالقاهرة سنة ٧٥٤ هـ (٥/٤٧٢) . مكتبة النصر الحديثة الرياض ـ مكتبة ومطابع النصر الحديثة .

وقال أيضا صاحب التفسير القرآني للقرآن : (تبدأ هذه السورة (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ) فيلتقي بدؤها في ختام السورة التي قبلها ، وكأنه جواب على سؤال تلوح به الآية التي كانت ختاما للسورة السابقة . ففي ختام سورة الحجر ، كان قوله : " وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ " كان هذا مثيرا لبعض الأسئلة : ماهو اليقين ؟ ومتى هو؟ وهل يطول انتظاره ؟ . وقد جاء قوله : " أَتَى أَمْرُ اللَّهِ " مجيبا على هذه الأسئلة ، فاليقين هو أمر الله وهو يوم القيامة ، أما موعد هذا اليوم ، فعلمه عند الله ولكنه قريب . وهل بعيد هو ذلك اليوم الذي ينتهي فيه عمر الانسان ويفارق هذه الدنيا ؟ إن الموت قريب من كل انسان ، فقد ينتزع روحه وهو قائم أو قاعد ، أو سائر . فليس للموت نُذُر يقدمها بين يديه لمن انتهى أجله واذا مات الإنسان ، فقد قامت قيامته بمعنى أنه رحل من الدنيا دار الفناء ، الى الآخرة ، دار البقاء . (١)

كما أن هناك مناسبات أخرى تربط بين السورتين ألخصها فيما يلي :

١ ـ سورة النحل فيها تفصيل وبيان لما أجمل في سورة الحجر . ومن ذلك قوله تعالى : " وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ . وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ~~فيها~~ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ . وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ . "

الحجر (١٦ ـ ٢٢) .

وقوله تعالى : " وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ . وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ " . الحجر (٨٥ ـ ٨٦) .

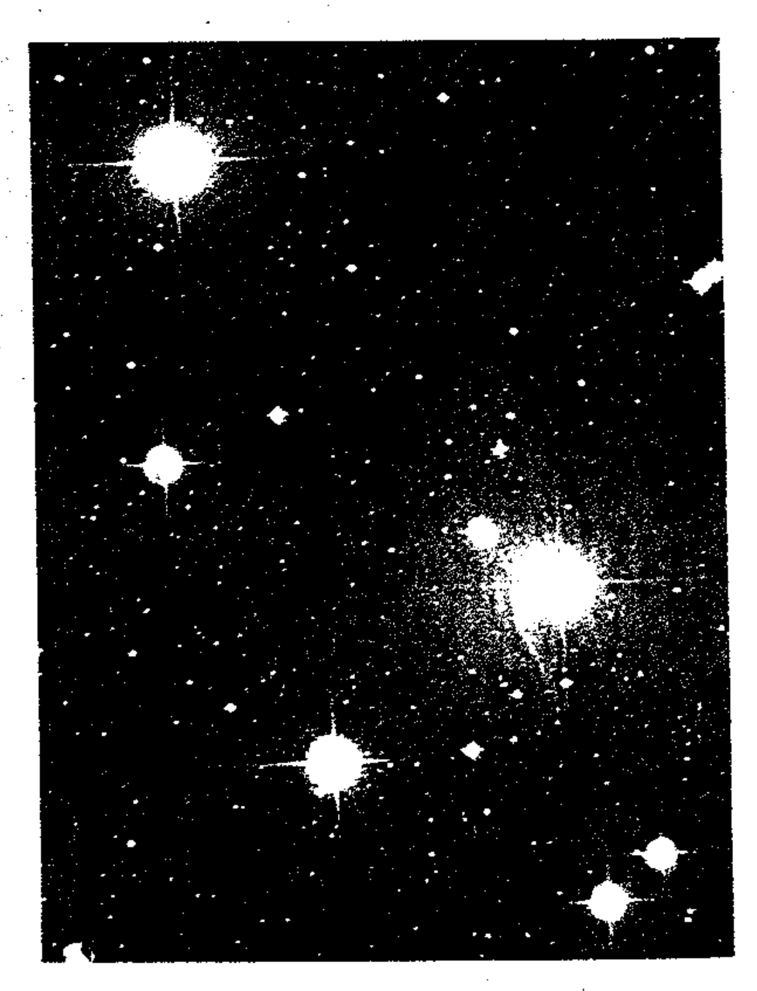
هذه الآيات الكريمة المجملة قد فصلتها وبينتها سورة النحل .

٢ ـ في سورة الحجر تحدثت عن خلق آدم عليه السلام قال تعالى : " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ " . آية (٢٦) . وسورة النحل تحدثت عن أبنائه قال تعالى : " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ " آية (٤) .

٣ ـ تحدثت سورة الحجر عن اغواء الشيطان للناس وقول الله تعالى له : " إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ " آية (٤٢) . وفي سورة النحل كذلك ، قوله تعالى : " إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ " آية (٩٩ ـ ١٠٠) .

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب ، الكتاب السابع ، (١٤ / ٢٦٨) ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة .



« قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »
[يونس/١٠١]

الباب الأول

آيات الله الكونية في السماء

ويشتمل

على خمسة فصول

الباب الأول

آيات الله الكونية فى السمـــــاء

يتكـــون من تمهيد

و خمسة فصول :

الفصل الأول : الشمس ـ تسخيرها للانسان ـ مظاهر الانتفاع بها ـ آثار ذلك على الانسان والنبات والحيوان ـ كونها دليلا على دخول وقت النهـــار أهميتها لعملية التمثيل الضوئى ـ وغير ذلك من الفوائد ـ دلالة ذلـــك على توحيد الخالق عز وجل .

الفصل الثانى : القمر ـ أهميته للانسان بعامة والمسلم بخاصـــة أهميته فى معرفة الأهلة ـ غير ذلك من الفوائد ـ دلالة ذلك على توحيـــد الخالق عز وجل .

الفصل الثالث : النجوم ـ تعددها وفوائدها ـ حاجة الانسان اليهـــا جعلها زينة السماء ومصابيح ورجوما للشياطين ـ الاهتداء بها فى البـــر والبحر ـ آثار ذلك فى توحيد الخالق عز وجل ـ شواهد ذلك من الآيات .

الفصل الرابع : اختلاف الليل والنهار وفيه معرفة عدد السنيـــن والحساب ـ جعله عز وجل الليل لباسا والنهار معاشا وفائدة ذلـــك ـ الليل والنهار ضروريان أيضا للنبات ـ آثار ذلك ودلالته على توحيـــد الخالق عز وجل ـ شواهد ذلك من الآيات .

الفصل الخامس : الطير ـ تسخيرها فى جو السماء وحكمة ذلـــك الانتفاع بها وفائدتها ـ الاستفادة ببعضها فى نقل الأخبار ـ دلالة ذلـــك على قدرة الله عز وجل وتوحيده .

الباب الأول

آيات الله الكونية فى السماء

السماء فى اللغة :

السين والميم والواو أصل يدل على العلو، يقال سموت اذا علوت ـ سما بصره : علا، والجمع سماو، والعرب تسمى السحاب سماء، والمطر سماء ، والسماء سقف البيت ،وكل عال مطل سماء (١) . والسماء كل ماعلاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت:سماء ،والسماء المطر (٢) .

وقال بعضهم : وكل سماء بالاضافة الى مادونها فسماء، وبالاضافة الى مافوقها فأرض، الا السماء العليا فهى سماء بلا أرض تحميلا على قول الله تعالى (٣) :

"الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ" الطلاق (١٢)

ويلاحظ من المعانى السابقة أن أهل اللغة قد اتفقوا على أن السماء كل ماعلاك وتبدوا فيها النجوم كأنها فيها وهى فوقها.

وهذا مانعنيه فى هذا البحث .

آيات السماء فى سورة النحل :

ولقد ورد لفظ السماء فى سورة النحل مفردا وجمعا فى ثمانية مواضع وهى :

---

(١) معجم مقاييس اللغة أبى الحسين أحمد بن زكريا ،تحقيق عبدالسلام هارون (٩٨/٣) ،مكتبة الحلبى ـ مصر ،الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،اسماعيل الجوهرى تحقيق أحمد عبدالغفور عطار (٢٣٨١/٦ ـ ٢٣٨٢)، الطبعة الثانية للمرة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٣) المفردات فى غريب القرآن ،أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى المتوفى عام ٥٠٢هـ ،تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى (ص ٢٤٣) دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

(أ) الآيات التى وردت فيها لفظ السماء افراداقوله تعالى :

(١) "هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ" (١٠)

(٢) "وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" . (٦٥)

(٣) "أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِى جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" . (٧٩)

(ب) الآيات التى وردتلفظ السماء جمعا هى قوله تعالى : (١)

(١) "خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" . (٣)

(٢) "وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" . (٤٩)

(٣) "وَلَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ" (٥٢)

(٤) "وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ" . (٧٣)

(٥) "وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" . (٧٧)

من هذه النصوص السابقة ندرك أن الغرض من ذكر لفظ السماء هذه المرات العديدة لفتأنظار العباد اليها بما تحتويه من عجائب صنع الله وبديع خلقه ذلك لأن الناس قد ألفوا رؤية السماء بحكم التعود فلم تعد تبهرهم رؤيتها ولاتستهويهم عجائبها وهم عن آياتها معرضون مصداقا لقوله تعالى : "وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ". الأنبياء (٣٢)

ويمكن تصنيف هذه الآيات على النحو التالى :

(١) الآيات رقم (٣،٥٢، ٧٣) :

تتحدث عن دلائل وحدانية الله وقدرته ومافى دلالة المصنوع على الصانع والنعمة على المنعم من حيث نعمة خلق السماوات والأرض سواء كان المراد بالسموات والأرض هذه الأجرام والأجسام المعلومة أو كان المراد جهة العلو والسفل أى أوجد ذلك ملتبسا بما يحق له بمقتضى

---

(١) قال السيوطى فى الاتقان : (والحاصل أنه حيث أريد العدد أتى بصيغة الجمع الدالة على العظمة والكثرة ،وحيث اريد الجهة أتى بصيغة الافراد . (٢/١٣٩) .

الحكمة فيدل على صانع حى عالم قادر مريد منفرد بالألوهية والربوبية[١] ٠

لذا وجب أن تكون جميع المخلوقات عبيدا له، وفى ملكه وتصرفه وتحت قدرته ٠ والتحذير من الوقوع فى مثل ماكان يفعل المشركون الذين[٢] عبدوا مالايملك أن يرزقهم شيئا من السموات والأرض[٣] ٠

(٢) الآيات رقم (١٠،٦٥،٧٣) :

تتحدث عن نعمة انزال المطر من السماء وما فيه من امتاع لهم ولأنعامهم، ومن رحمة الله بعباده أن جعل هذا الماء عذبا زلالا يسوغ لهم شرابه، ولم يجعله ملحا أجاجا ،كما أنه سبحانه أخرج منه الشجر الذى ترعى فيه الأنعام، كما قال قتادة[٤] وابن زيد[٥] فى قوله (فيه تسيمون)

---

(١) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية ـ محمد بن على بن محمد الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠هـ (١٤٧/٣) بتصرف ٠ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٠
وكذا روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ـ شهاب الدين محمود الألوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ (٩٦/١٤) ٠ دار الفكر بيروت ـ لبنان ـ طبعة جديدة مصححة ومنقحة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٠

(٢) انظر تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل لعلاء الدين على بن محمد البغدادى المشهور بالخازن المتوفى عام ٧٢٥ هـ (٩٥/٤) دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ٠

(٣) الجامع لأحكام القرآن لأبى عبدالله محمد القرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ/١٢٧٣م (١٤٦/١٠) بتصرف ٠ دار احياء التراث العربى ـ بيروت (اعادة الطبع) ١٩٦٦م ٠

(٤) قتادة (٦١ ـ ١١٨هـ/ ٦٨٠ ـ ٧٣٦م) ٠
هو قتادة بن دعامة بن عزيز أبو الخطاب السدوسى البصرى ٠ مفسر حافظ ضرير أكمه ٠ روى عن أنس بن مالك وغيره ٠ قال عنه سعيد بن المسيب : ما أتانى عراقى أحسن من قتادة ٠ وقال أحمد بن حنبل قتادة أحفظ أهل البصرة ٠
انظر : تهذيب التهذيب (٣٥١/٨ ـ ٣٥٣)بتصرف، الأعلام للزركلى(١٨٩/٥) ٠

(٥) ابن زيد : هو حماد بن زيد بن درهم الأزدى بمفتوحة وسكون زاى واهمال دال منسوب الى الأزد مولى آل جرير بن حازم ،ولد سنة ٩٨هـ عالم بالسنة والحديث والفقه وكان ثقة ثبتا حجة كثير الحديث ،توفى فى رمضان سنة ١٧٩هـ ٠ من تهذيب التهذيب (٩/٣ ـ ١١) بتصرف ٠

أى ترعون، ومنه الابل السائمة، كما أنه يخرج من الأرض بهذا الماء الواحد الزرع المختلف الصنوف والطعوم والألوان والرائحة والأشكال ،وفى كل ذلك دلالة على أنه لااله الا الله (١) .

فسبحانه خلق السماء على وجه ينزل معه الماء، ويصير ذلك الماء سببا لحياة الأرض .

والمراد بحياة الأرض نبات الزرع والشجر والثمر بعد أن كان لايثمر، وينفع بعد أن كان لاينفع (٢) .

وهذه من أنواع الرزق النازل من السماء التى لايقدر أحد على انزالها سوى الله تعالى (٣) .

(٣) الآية رقم (٤٩) :

تتحدث عن خضوع واستسلام كل مافى السماوات والأرض لأمره سبحانه متذللين طائعين غير مستكبرين (٤) .

(٤) الآية رقم (٧٧) :

تتحدث عن اختصاصه سبحانه وتعالى بعلم الغيب فى السماوات والأرض . لايشاركه فى هذا غيره فيعلم سبحانه كل ماغاب عن العباد فيها ،لذا

---

(١) تفسير ابن كثير القرشى ـ عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن عمر ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ (٦١١/٢) بتصرف . مكتبة النهضة الحديثة القاهرة ط١ ـ ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م .

(٢) انظر : التفسير الكبير تفسير فخر الدين الرازى ـ للامام محمد الرازى فخر الدين المتوفى سنة ٦٠٤هـ (٦٥/٢٠) . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ط ١ ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٣) تفسير الجلالين للقرآن العظيم ـ للامام جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ ،الامام جلال الدين المحلى المتوفى سنة ٨٦٤هـ (٢٤٦/١) بتصرف شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ـ ط٣ ـ ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م .

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن ـ لأبى جعفر محمد الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ (٨٠/١٤) بتصرف . دار المعرفة بيروت ـ لبنان ـ ط٤ ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

فان العبادة يستحقها من كانت هذه صفته لامن كان جاهلا عاجزا لاينفع ولايضر ولايعلم شيئا من أنواع العلم [1] .

(٥) الآية رقم (٧٩) :

تتحدث عن تسخير الطير وامساكها فى جو الفضاء الواسع بين السماء والأرض، وهو الهواء حال قبضها وبسطها لجناحيها أثناء طيرانها، واصطفافها فى الهواء، وفى هذا حث على الاستدلال بها على أن لها مسخرا سخرها، ومذللا ذللها، وممسكا أمسكها، وفى ذلك آيات لقوم مؤمنين معتبرين بالآيات، ومتفكرين فيها، ومقتنعين بها، ومقرين بعظمة الخالق سبحانه وحده لاشريك له [2] .

وهذه الآيات جميعها تتضمن تسخير مافى السماء بأمر من الله لخدمة الانسان المأمور بوحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الشرك . والمتأمل فيها وماتحويه من نجوم وكواكب، وأهمها الشمس والقمر، وتحركها جميعا بنظام وترتيب ومقدار لايزيد ولاينقص، ومايترتب على ذلك من فوائد عظيمة للانسان بشكل خاص يدرك مقدار عظمة خلقه سبحانه وتعالى ووحدانيته، مما يؤدي الى ازالة تبلد الحس عند صاحبه، ويحرك مشاعر الايمان والفطرة السليمة المقرة بوجود الخالق وعظمته ووحدانيته المستحق وحده للعبادة دون شريك باقيا على دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها، موفيا بالميثاق والعهد الذى أقر به وهو فى صلب آدم كما فى قوله تعالى :

"وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ" الاعراف (١٧٢)

وقد مدح سبحانه وتعالى المؤمنين بتفكرهم فى خلق السموات

---

(١) تفسير الشوكانى (١٨٢/٣) بتصرف .

(٢) تفسير الخازن (١٠٧/٤) بتصرف .

والأرض بقوله في سورة آل عمران :

" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" (١٩١)

فمن كمال إيمان المؤمن التفكر بالعقل في مخلوقات الله، ومنها السموات، ومن ثمَّ الاقرار والاعتراف باللسان بعظمة الخالق ووحدانيته، وبالتالي عمل الجوارح الدال على شكر المنعم سبحانه من الصلاة والصيام وسائرالعبادات[١] .

ومن عجيب صنع الله في خلق السماء وجودها بغير عمد مرئية وبقائها الى أن يشاء الله من غير شقوق أو قصور، وامساكها بكل مافيها من نجوم وكواكب دون أن تقع على الأرض، وهذه نعمة من ضمن النعم الكثيرة المترتبة على وجود السماء[٢] . يذكرنا بذلك قوله تعالى :

"وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ" الأنبياء (٣٢)

وقوله تعالى : " الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ . ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ " . الملك (٣ - ٤)

كما أن من نعم الله على عباده أن جعل هذه السماء زينة للناظر اليها ليلا أو نهارا، ليلا بما فيها من قمر منير، ونجوم متلألئة من حيث ضوئها وأشكالها وتجمعها . قال تعالى :

" وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ " الحجر (١٦)

ونهارا بالطيور الجميلة التي تحوم في جو السماء، وتعطي للناظر بهجة وسرورا وجمالا[٣] .

---

(١) التفسير الكبير (تفسير الرازي) (٩/١٤٠) بتصرف . دار الفكر بيروت - ط الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢) العلم الحديث حجة للانسان أم عليه - د. عبدالله العبادي - القسم الأول (ص ٤٥ -٤٦) بتصرف . دار الثقافة - الدوحة - ط١ ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٣) تفسير الألوسي (٩/٢٩) بتصرف .

وهناك كثير من الفوائد العظيمة التى تفيد الانسان فى دينه ودنياه يحصل عليها الانسان، ويتعرف عليها من خلال مراقبته المستمرة لهذه القبة الزرقاء، ومعرفته بعلم الفلك .

فيعرف من خلالها مثلا تحديد مواعيد الصلاة والآذان من خلال حركة الشمس فى السماء . قال تعالى :

" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ... " البقرة (٨٩)

وكذلك معرفة مواعيد الامساك والافطار فى رمضان، ورؤية الهلال لمعرفة وقت دخول شهر رمضان أو الحج، ويوم الوقوف بعرفة ، ومعرفة القبلة بمعرفة مواقع النجوم وتحديد اتجاه المسافر...(١) الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة المترتبة على معرفة الشمس والقمر والنجوم ، يعرفها الانسان أو لم يعرفها وسبحانه القائل :

" وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا " الاسراء (١٢)

وقد عرف صلوات الله وسلامه عليه هذه الأسرار والنعم المترتبة على وجود السماء ، روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : " بت عند خالتى ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر الى السماء فقال : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ " ثم قام فتوضأ واستن فصلى احدى عشرة ركعة ثم آذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى الصبح "(٢) .

---

(١) العلوم الطبيعية فى القرآن ـ يوسف مروة (ص ٧٢) بتصرف . منشورات مروة العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٣٨٧هـ .

(٢) صحيح البخارى للامام أبى عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦هـ . كتاب تفسير القرآن باب ١٧ (قوله ان فى خلق السموات والأرض ...) (١٧٤/٥) . دار الدعوة ،تروب ، استانبول ،تركيا ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ويقول الامام الغزالي[1] : " ان من فاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالأرض والبحار والهواء وكل شئ سوى السموات بالاضافة الى السموات قطرة في بحر أصغر[2] " .

وقال العالم الفلكي "جاليليو"[3] عندما صنع لنفسه أول منظار فلكي يوضح له الأشياء بمعدلات أكبر من العين البشرية بمرات ثلاثة، فعندما نظر بمنظاره الى السماء وقف مبهورا من روعة ما رآى، وكتب لصديقه يصف له شعوره وانبهاره من روعة ما رآى، ثم قال : " كم أنا مدين الى الله بما وهبني لكي أكشف عن ذلك الابداع الذي لم يظهر لكل الأجيال السابقة ... لكن مما لاشك فيه أن الله مغتبط[4] لفرحتي بما رأيت[5] " .

---

(١) أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ / ١٠٥٨ - ١١١١م) .
محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد، حجة الاسلام مولده ووفاته في الطابران . نسبته الى صناعة الغزل ، له نحو مئتي مصنف ، ومن كتبه (احياء علوم الدين) ، (تهافت الفلاسفة) ، (جواهر القرآن) .
من الاعلام - للزركلي (٢٢/٧) بتصرف .

(٢) احياء علوم الدين - أبي حامد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ (٣٧٨/٤) عالم الكتب - دمشق - طبعة مصورة .

(٣) جاليليو (١٥٦٤ - ١٦٤٢م) عالم ايطالي اشتغل بالفلك والرياضة والطبيعة . وضع أسس العلم التجريبي الحديث . وفي عام (١٦٠٩م) صنع أول منظار فلكي أظهر أن سطح القمر جبلي وأن الطريق اللبنية بها عدد لايحصى من النجوم . وفي سنة ١٦١٠م اكتشف أربعة أقمار للمشتري ودرس أوجه الزهرة والبقع الشمسية وأيد نظرية كوبرنيكوس في دوران الأرض حول الشمس فحوكم وأرغم على نبذها من الموسوعة العربية الميسرة (٥٩٧/١) .

(٤) كأحد العلماء من غير المسلمين أراد أن يعبر عن نفسه ويبين مقدار عظمة الله تعالى في الكون فأشار الى كلمة مغتبط وهي من وجهة نظري بل من وجهة النظر الاسلامية لايليق اطلاقها على الله عز وجل فلله الأسماء الحسنى لاينبغي لأحد أن يغير منها شيئا أو يزيد أو ينقص .

(٥) من كل شئ موزون . د. عبد المحسن صالح (ص ١٨١ - ١٨٢) بتصرف . مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع - جدة - ط١ - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

فما أحرانا نحن المسلمين أن ننظر ونتفكر فى ابداعه سبحانـــــــــه وتعالى فى خلق السماء، ومافيها من شمس وقمر ونجوم .... الخ ونتعــــرف من خلالها على عظمة الخالق سبحانه ووحدانيته، ومن ثم القيام بحق شكـــره تعالى . قال سبحانه :

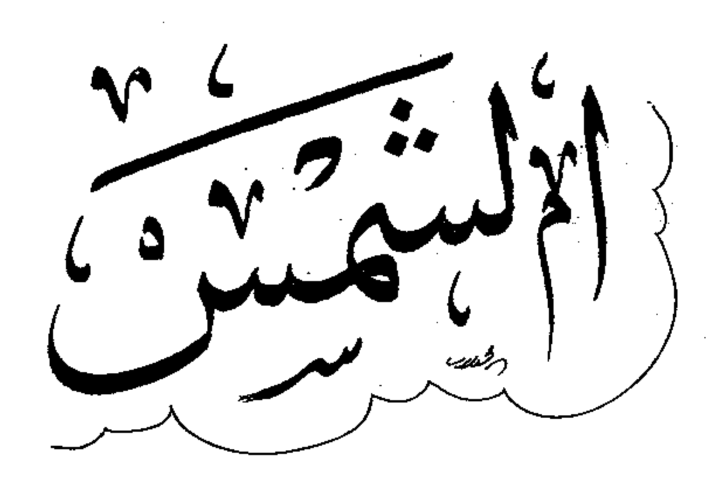
"لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ"

غافر (٥٧)

وبناء على ماتقرر من أن لفظ السماء يشير الى كل عال مطـــــــل، فيشمل الحديث عن السماء فيمايشمل الشمس والقمر والنجوم وسائـــــــر الأفلاك، وفى كل ذلك عبر وفوائد .

نسأل الله التوفيـــــق ....


الفصل الأول



تسخيرها للإنسان - مظاهر الانتفاع بها - آثار ذلك على الإنسان - والنبات - والحيوان - كونها دليلاً على دخول وقت النهار - أهميتها لعملية التمثيل الضوئي - وغير ذلك من الفوائد .. دلالة ذلك على توحيد الخالق عز وجل

الفصل الأول

الشمـــــــس

تسخيرها للانسان ـ مظاهر الانتفاع بها ـ آثار ذلك على الانســـــان والنبات والحيوان ـ كونها دليلا على دخول وقت النهار ـ أهميتهـــا لعملية التمثيل الضوئي ـ وغير ذلك من الفوائد . دلالة ذلك علـــى توحيد الخالق عز وجل .

الشمس في اللغة :

الشين والميم والسين أصل يدل على تلون وقلة استقرار، فالشمـــس معروفة، وسميت بذلك لأنها غير مستقرة، هى أبدا متحركة ،ويقال شمس يومنـــا شمس اذا اشتدت شمسه والجمع شمس .(١)

وفى الصحاح أن الشمس تجمع على شموس .(٢) وفى لسان العـــــــــرب أن الشمس عين الضح قال : أراد أن الشمس هو العين التى فى السمـــاء تجرى فى الفلك، وأن الضح ضوءه الذى يشرق على وجه الأرض .(٣)

والشمس نجم متواضع من نجوم السماء، يبلغ متوسط قطرها حوالـــى ٤٠٠ر٣٩٣ر١ كم، وتشع أضواؤها فى الفضاء المتسع منذ نشأتها، وهى تفقـــد من طاقتها فى الثانية الواحدة مايعادل خمسمائة وثمانية آلاف مليـــون مليون قوة حصان .(٤)

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٢١٢ ـ ٢١٣).

(٢) الصحاح تاج اللغة صحاح العربية ، اسماعيل الجوهرى (٣/٦٤٠) .

(٣) لسان العرب ، لأبى الفضل جمال الدين ابن منظور (٦/١١٣)، دار الفكـــر دار صادر ـ بيروت ، ط ١ .

(٤) تفسير الآيات الكونية ، د. عبدالله شحاتة (ص ٢٧٥) ، دار الاعتصـــام للطبع والنشر ـ القاهرة ـ ط١ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

ويذكر الدكتور عبدالعليم خضر تعريفا ملخصا مستنبطا من بعض الآيات القرآنية التى وردت عن الشمس آنها : جسم نارى ملتهب فى كبد السماء يشع الضوء والحرارة والطاقة وعليها تتوقف الحياة على كوكب الأرض وجميع الظواهر الطبيعية فى الغلاف الغازى متوقفة أيضا على الشمس.(١) ويقول : الشمس كرة هائلة من غازات متوهجة قطرها نحو (٨٦٥٫٣٨٠ ميلا) وهى تدور حول نفسها من غرب الى شرق ومن أشعتها تكتسب جميع الأحياء فوق الأرض عناصر نمائها وأكسير حياتها والشمس فى رحلة الى أجل مسمى حتى المستقر وتصحب معها جميع أعضاء الأسرة الشمسية فى السماء.(٢)

ولقد ذكرت الشمس مرة واحدة فى سورة النحل فى قوله تعالى :

"وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ.."(١٢)

ويذكر سبحانه وتعالى فى الآية الكريمة آية من آيات خلقه سبحانه وابداعه الا وهى خلق الشمس وتذليلها وقهرها تحت قهر وارادة خالقها سبحانه وتعالى(٣) وعلاقاتها باستمرار الحياة على كوكب الأرض نتيجة وجود الشمس وتحركها فى فلكها متعاقبة مع القمر بدقة ونظام وبمقدار لايزيد ولاينقص(٤) عن المقدار الذى حدده الله بما يوافق مصلحة البشر والأحياء على وجه الأرض. ومايترتب على ذلك من معرفة أوقات الأزمنة والشهور والسنين(٥). ومعرفة أوقات نضج الثمار والزرع وكذا مافيه من جلب الدفء والحرارة(٦). كل ذلك لايتم من تلقاء نفسه بل بتدبير المدبر سبحانه وحده لاشريك له ولايصل الى معرفة هذه الحقيقة الا من استخدم

---

(١) المنهج الايمانى للدراسات الكونية ،د. عبدالعليم خضر (ص ٨)، الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة - ط١ - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٢) هندسة النظام الكونى فى القرآن الكريم ،د. عبدالعليم خضر (ص ١٤٨)، مكتبات تهامة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية ط١ - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٣) تفسير الخازن (٨٢/٤) بتصرف.

(٤) تفسير ابن كثير (٦١١/٢) بتصرف.

(٥) تفسير الطبرى (٦٠/١٤) بتصرف.

(٦) تفسير القرطبى (٨٣/١٠) بتصرف.

عقله فى فهم حقائق الكون الذى هو فيه[1] . ولكثرة ماعدد الله تعالى فى هذه السورة من النعم العظيمة على عباده سميت سورة النحل سورة النعم .

بعض النعم المترتبة على وجود الشمس والتى تعتبر من مظاهر تسخير الشمس لخدمة الانسان :

(١) الاستفادة من ضوء الشمس وحرارتها :

عن طريق هذا الضوء يمكننا مشاهدة وادراك ومعرفة مافى الكون من مخلوقات الله تعالى، وكل شىء فيه . قال تعالى :

"هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَاخَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" يونس(٥)

فالآية الكريمة تثبت حقيقة علمية لم يتوصل اليها العلم الا حديثا مما يجعل العلماء يقفون مبهورين شاخص الأبصار عند معرفتهم بأسبقية القرآن فى تقرير حقائق علمية من قبل أربعة عشر قرنا من الزمان، بينما لم يتمكن علماء العصر الحديث التوصل اليها الا من وقت قريب وبعد أبحاث وجهود مضنية ، ومن هذه الحقائق أن ضوء الشمس نور ذاتى ينبعث من جسم نارى مشع فيه حرارة متوقدة، فهذا الضوء هو أكبر مصدر حرارة فى الأرض . يؤكد ذلك قوله تعالى :

" وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا "

النبأ (١٣)

يقول ابن عباس رضى الله عنه أى مصباحا[2] . ويقول الشوكانى فى الفتح القدير مامخلصه : إن الضياء ماكان بالذات، والنور ماكان بالعرض، لذا قيل أن نور القمر مستفاد من ضوء الشمس، كما وأن الضوء

---

(١) التفسير الواضح ـ د. محمد حجازى (٣٣/١٤) بتصرف . دار الجيل القاهرة ـ ط٤ ـ ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

(٢) تفسير الطبرى (٤/٣٠) بتصرف .

يحمل الحرارة مع النور، بعكس النور لاحرارة فيه، وأن الضوء متوهج، والنور لطيف[(١)] .

والوهج حصول الضوء والحر من النار[(٢)] . وفى الآية المراد به حصولهما من الشمس، ولايخفى أن الحياة على الأرض تتوقف توقفا كليا على حرارة الشمس .

وحرارة الشمس شديدة، لكن الله من رحمته بعباده ومخلوقاته جعل مقدار مايصل الى الأرض من هذه الحرارة الشديدة يتلاءم ومصالح البشر لتستقيم الحياة على الأرض، لأنها لو زادت عن هذه النسبة ـ كما يقول علماء الفلك ـ لأحرقت الأرض وماعليها، ولو نقصت لأدت الى تجمد كل ماعلى الأرض[(٣)] .

ويؤكد العلم الحديث هذه الحقيقة ،وفى ذلك يقول العالم " كريس موريسون "[(٤)] موضحا من خلال قوله عظمة الخالق عز وجل ماملخصه : "أن الشمس مصدر كل حياة، وأن درجة حرارة سطحها مرتفعة جدا، ولكن الكرة الأرضية تبعد عنها بمسافة مناسبة لاستمرار حياة الأحياء، وامدادهم بالدفء الكافى،

---

(١) تفسير الشوكانى (٢/٤٢٥) بتصرف .

(٢) المفردات فى غريب القرآن ـ الراغب الأصفهانى ـ كتاب الواو (ص ٥٣٢).

(٣) الله جل جلاله ـ سعيد حوى (ص ٤٠) بتصرف . دار الكتب العلمية بيروت ـ ط ثالثة منقحة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٤) كريس موريسون : الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك ،ورئيس المعهد الأمريكى لمدينة نيويورك وعضو المجلس التنفيذى لمجلس البحوث القومى بالولايات المتحدة وزميل فى المتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى وعضو مدى الحياة للمعهد الملكى البريطانى .
آلف كتب منها : "الانسان لايقوم وحده" أثبت فيه بمختلف العلوم أن الله بارئ الكون وأنه خالق كل شئ . ترجم الكتاب الأستاذ محمود صالح الفلكى ـ وسمى الكتاب (العلم يدعو للايمان) .
من كتاب : العلم يدعو للايمان ـ لكريس موريسون ـ ترجمة محمود الفلكى (ص ١٢ ـ ١٣) بتصرف بسيط .

والأعجب أن هذه المسافة ثابتة دائما (١)، كما كشف العلم أن من العوامل التى تساعد على تخفيف درجة حرارة الشمس الواصلة للأرض وجود مياه البحار التى تعكس جزءا من الحرارة، وتمتص جزءا آخر منها (٢).

ويقول الأستاذ محمد قطب (٣) فى هذا الصدد :

" هذا التوازن هو فى الحقيقة سمة الكون كله الذى تتوازن فيه كل الأفلاك، وكل الطاقات ولاتختل منها واحدة فى الكون على اتساعه" (٤).

فهل يمكن القول بأن هذا المقدار المحدد والدقيق والثابت الذى أن يشاء الله وجد مصادفة، أو بشكل عشوائى، كما يقول بعض المنكرين لوجود الله ؟

إن اجابة الانسان العاقل المفكر فى هذا الأمر لابد أن تكون بالنفى، ذلك لأن الأدلة العقلية والنقلية، ونتائج بحوث علماء العصر الحديث، أبطلت فكرة المصادفة، حيث يستحيل حدوث أمر ما، واستمرار صلاحه بالمصادفة، بل ان المؤكد والواقع أن كل شىء خلق بقصد وارادة، وتدبير وحكمة، وهذا مايضمن استمرار الحياة على سطح الأرض.

"صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" النمل (٨٨)

---

(١) العلم يدعو للايمان – كريس موريسون – ترجمة محمود الفلكى (ص ٥٥) بتصرف. مكتبة النهضة المصرية – ط ٥ – ١٩٦٥م.

(٢) آيات الله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) محمد وفا الأميرى (١٩٤/١) بتصرف. دار الرضوان حلب – سورية – ط الأولى.

(٣) محمد قطب ابراهيم. مولده : ١٩١٩/٤/٢٦م.
الدراسة : بكالوريوس آداب فى اللغة الانجليزية من جامعة القاهرة عام ١٩٤٠م. ودبلوم معهد التربية العالى للمعلمين بالقاهرة ١٩٤١م
العمل : التدريس – ثم الاشراف على مشروع (الألف كتاب) بوزارة التعليم العالى بالقاهرة، ثم فى المملكة للتدريس بجامعة أم القرى بكلية الشريعة من عام ١٣٩٢هـ. وله عدة مؤلفات منها :
الانسان بين المادية والاسلام – شبهات حول الاسلام – قبسات من الرسول هل نحن مسلمون ؟ منهج التربية الاسلامية (جزئين). حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٠٨هـ فى الدراسات الاسلامية.

(٤) منهج التربية الاسلامية – محمد قطب (٢٨/١) دار الشروق – بيروت القاهرة ط ٧ – ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

وفى ذلك يقول " جون كليفلاندكوتران"[1] : " إن الكون المادى يسوده النظام،وليس الفوضى ،وتحكمه القوانين،وليس المصادفة أو التخبط، فهل يتصور عاقل أو يفكر أو يعتقد أن المادة المجردة من العقل والحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة ؟أو أنها هى التى أوجدت هذا النظام،وتلك القوانين،ثم فرضته على نفسها ؟

لاشك أن الجواب سوف يكون سلبيا ... اننا اذا فكرنا تفكيرا عميقا فان العلوم سوف تضطرنا الى الايمان بالله ..."[2] .

(٢) معرفة عدد الأيام من الشهور والسنين ومواقيت الصلاة :

ومن النعم المترتبة على وجود الشمس والتى هى مظهر من مظاهر تسخيرها لخدمة الانسان مانفهمه من قول المولى عز وجل :

" الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ" الرحمن (٥)

ويذكر ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : " أى يجريان متعاقبين بحساب متقن لايختلف ولايضطرب "[3] .

ويترتب على هذا الحسبان الدقيق حساب الأوقات،والآجال،والأعمار، ومايترتب على ذلك من حيث تعلقها بتحقيق الأمور الدينية والدنيوية، والتى لن تتحقق لو كان الدهر كله ليلا، أو كله نهارا،ولتوقف سير أمور الحياة فى هذا الكون . قال تعالى :

"وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ..."الاسراء(١٢)

---

(١) دكتور جون كليفلاند كوتران . من علماء الكيمياء والرياضة .دكتوراه من جامعة كورنل ـ رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث ـ أخصائى فى تحضير النترازول وفى تنقية التنجستين .
من كتاب الله يتجلى فى عصر العلم (ص ٢١) .

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ـ نخبة من العلماء الأمريكيين ـ ترجمة د. الدمرداش سرحان (ص ٢٤ ـ ٢٥) ،عالم المعرفة ـ بيروت .

(٣) تفسير ابن كثير ـ عماد الدين ابن كثير (٢٨٨/٤) .

كما أن من تقدير الحكيم العليم أنه لم يجعل الشمس سرورا: أى بدون دليل، والا لفسدت الحياة رغم مقدار مايصل الى الأرض من آثار الشمس . قال تعالى :

"قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ " القصص (٧٢)

ولكن من رحمة الله بعباده أن أوجد الليل والنهار بوجود القمر والشمس وتعاقبهما بحسبان: أى بحساب، كما قال الفخر الرازى: أى بمعنى أنهما يجريان بمقدار محسوب، ومثله قوله تعالى :

"إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" القمر (٤٩)

وقد يراد بالحساب الفلك تشبيها له بحسبان الرحى، وهو مايدور فيدير الحجر ، فكل منهما له فلك خاص به يسير فيه بحساب مقدر له لذا يقول سبحانه (١) :

"لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ " يس (٤٠)

إذاً فالشمس تدور فى فلكها بحساب مقدر، كذا القمر، وهذه الآية تثبت حقيقة علمية لم يكتشفها ويتوصل اليها العلم الا فى العصر الحديث، حيث كان المعتقد أن الشمس ثابتة لاتدور ولاتتحرك ،بينما القرآن الكريم يؤكد أن الشمس تتحرك وتدور فى فلكها فى اتجاه مخصوص وبسرعة مخصوصة (٢)، كما يستدل العباد على مقادير الأوقات (٣)، ويحددوا مواعيد الاذان، والصلاة، والتى يعتمد المسلم فى معرفتها بشكل كبير على أحوال الشمس وحركتها،

---

(١) تفسير الرازى (٢٩/٨٨ - ٨٩) بتصرف يسير .

(٢) الاسلام فى عصر العلم - محمد أحمد الغمراوى - أحمد الكردانى (ص ٢٦٦) بتصرف - دار الكتب الحديثة .

(٣) ساعات اليوم هى كما يلى على الترتيب : السحر - الفجر - الصباح الشروق - البكور - الضحى - الهاجرة - الظهيرة - المرواح - العصر الأصيل - العشاء - الغسق والعتمة .

وفى هذا يقول الله تعالى :

"إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا" النساء (١٠٣)

ويقول :"أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا" الاسراء (٧٨)

والآية تشير الى أداء الصلاة خلال اليوم فى أوقات معينة محددة عن طريق حركة الشمس، فصلاة الفجر يكون قبل طلوع الشمس: أى صلاة الصبح ،ودلوك الشمس ، قيل:زوالها عن كبد السماء نصف النهار .(١)

وقد رجح الرازى أن دلوك الشمس بمعنى زوالها عن كبد السماء، لأن الآية توضح أن أوقات الصلاة هى من بين دلوك الشمس الى غسق الليل: أى سواده وظلمته، فتدخل فيها أداء صلاة (الظهر، العصر، المغرب ، العشاء). أما ان كانت على رأى من قال: ان دلوك الشمس بمعنى الغروب فى الآية، فمعنى ذلك أن الصلاة تكون (المغرب والعشاء فقط) .

لذا أرجح الرأى الأول لدخول الصلوات الأربعة فيها، لاسيما أن الآية أفردت بعد ذلك صلاة الفجر ، فتكون الآية ذكرت الفرائض الخمس لأداء الصلوات .(٢)

يؤكد ذلك قول عبدالله بن عباس رضى الله عنهما حيث يقول : " دلوك الشمس اذا فاء الفىء، وغسق الليل اجماع الليل وظلمته"(٣) . فقوله : اذا جاء الفىء : هو رجوع الظل عن المغرب الى المشرق، وذلك من الزوال، ومنتهاه الغروب ـ فدلوك الشمس اشارة للظهرين وغسق الليل للعشاءين.(٤)

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا : " وقت الظهر اذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله مالم يحضر العصر ،ووقت العصر مالم تصفر الشمس ،ووقت

---

(١) المعجم الوسيط (٢٩٣/١) باب الدال . دار احياء التراث العربى .

(٢) تفسير الرازى (٢٦/٢١ ـ ٢٧) بتصرف .

(٣) الموطأ . الامام مالك بن أنس المتوفى ١٤٩هـ (١١/١) . الصلاة باب ماجاء فى دلوك الشمس الى غسق الليل . دار الدعوة ـ شروب استنبول ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٤) المرجع السابق (ص ١١) هامش .

صلاة المغرب مالم يغرب الشفق، ووقت صلاة العشاء الى نصف الليل الأوسط، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر مالم تطلع الشمس، فاذا طلعت الشمس فأمسك عن الصلاة فانها تطلع بين قرني الشيطان "[1] .

ومن ثم نستنتج من حركة الشمس فائدة أخرى وأمرا يهم كل مسلم :

ألا وهو عدم انقطاع الصلاة أو الآذان وكلمة "أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله " فى أنحاء الأرض الى أن يشاء الله ، وذلك لأن الشمس تتحرك من الشرق الى الغرب مما يؤدى الى أن تحين صلاة الظهر مثلا فى هذه المنطقة، وينادى المؤذن بالآذان، وفى خلال دقائق تكون الشمس قد تحركت ووصلت الى منطقة أخرى، ويحين فيها الآذان، كما هو حاصل مثلا فى منطقة مكة المكرمة، وبعد ثلاث دقائق يؤذن لنفس الصلاة فى منطقة جدة، فمجرد أن ينتهى من الآذان فى مكة ، يبدأ فى جدة، وفى أقل من هذا الوقت فى المنطقة التى بينهما، وهكذا فى جميع أنحاء الأرض[2] .

وبناء على معرفة الزمن فى اليوم بطلوع الشمس وغروبها، ومايترتب على ذلك من معرفة الليل والنهار، أمكن معرفة بدء اليوم ونهايته، ومعرفة عدد الأيام، وبطلوع القمر بمختلف منازله تمكن الانسان من معرفة عدد الشهور وعدد السنين .

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن هذه الظواهر من نعم الله المسخرة لخدمة الانسان، حيث يقول سبحانه فى سورة النحل ـ موضوع البحث ـ :

"وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " آية (١٢)

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ (٢/٢١٠) دار الدعوة استانبول ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م . والحديث فى الجزء ١١ مسند الامام أحمد تحقيق أحمد شاكر (ص١٦٢) رقم (٦٩٦٦) وقال اسناده صحيح . وقال المحقق رواه مسلم (١/١٧٠)، وأبو داود (١/١٥٤) عون المعبود والنسائى (١/٩٠ ـ ٩١) . دار المعارف بمصر ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

(٢) المنهج الايمانى للدراسات الكونية فى القرآن ـ د. عبدالعليم خضر (ص ٣٧ ـ ٣٨) بتصرف .

ومن مظاهر تسخير الشمس لخدمة من فى الأرض أيضا :

(٣) أن أشعة الشمس أحد عوامل نزول المطر :

ذلك لأن أشعة الشمس المسلطة على المسطحات المائية تبخر جزءا من هذه المياه، فتتصاعد الى طبقات الجو العليا، وتتجمع على شكل سحب، ومن ثم ينزل المطر باذن الله (١) .

ولايخفى ماللأمطار من أهمية كبيرة فى استمرار الحياة على وجه الأرض، حيث يقول سبحانه : "هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" النحل (١٠-١١)

(٤) الشمس علاج للانسان :

وذلك لما ثبت علميا من احتواء أشعة الشمس على فيتامين (د) (٢) بكمية كبيرة، وفائدة هذا الفيتامين أنه يحمى الأطفال من الاصابة بالكساح "لين العظام" (٣) .

---

(١) القرآن والعلم - د. محمد جمال الدين الفندى (ص ١٨٦) بتصرف .

(٢) الفيتامين مواد غذائية لها تراكيب شديدة التباين وكميات قليلة منها أساسية للصحة يعرف منها أكثر من ١٢ فيتامينا ويوجد فيتامين (د) فى الأشعة فوق البنفسجية التى تحتويها الشمس عند طلوعها وغروبها . موسوعة الثقافة العلمية ، المشرف على الموسوعة د. م . أنور محمود عبدالواحد (ص ٢٦٩) دار الكتاب الجديد القاهرة ١٩٧٦م .

(٣) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم - طنطاوى جوهرى المتوفى سنة ١٣٥٨هـ (٢٧/٦) بتصرف . دار الفكر ط الثانية ١٣٥٠هـ .

(٥) الاستفادة من الطاقة الشمسية [1] :

وهذا من أحدث ماتوصل اليه العلم الحديث ،من حيث الاستفادة من حرارة الشمس وتحويلها الى طاقة كهربائية يستفاد منها فى تشغيل بعض الآلات والأجهزة [2] .

(٦) الاستفادة من ارتباط الشمس بالظل :

من النعم المترتبة على وجود نعمة الشمس،نعمة وجود الظل، حيث توجد علاقة وثيقة بين تحركه، وتحرك الشمس، كما يقول سبحانه :

"أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَاخَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ " النحل (٤٨)

قال قتادة : أما اليمين فأول النهار، وأما الشمال فآخر النهار [3] .

وفى ذلك دلالة على أن الظل تابع للشمس فى حركته، سواء كان أول النهار، أو آخره، فالشمس من عند طلوعها الى وقت انتهائها الى وسط الفلك تقع الظلال الى الجانب الغربى،وعندما تكون فى المكان مابين وسط الفلك الى الجانب الغربى يكون الظلال فى الجانب الشرقى [4] .

كما أن الظل يتبع الشمس فى مدى ماتبلغ اليه من علو وهبوط، فإذا ارتفعت قصر ،واذا انحطت طال ،وان كانا متعاكسين كل منهما يسير فى

---

(١) الطاقة الشمسية تنتج من تجمع الحرارة الشمسية عن طريق الخلايا السليكونية وقد أثبت العلم امكانية استخدام أشعة الشمس كبديل للطاقة الكهربائية وتستخدم فى عملية التخليق الضوئى .
من الموسوعة العربية الميسرة (١١٤٧/٢) .

(٢) مجلة المجرة ـ مجلة علمية ثقافية عامة . اصدار النادي العلمي الكويتى ، العدد ٧٠ ، أكتوبر ١٩٨٦م (ص ١٦) بتصرف .

(٣) تفسير الطبرى (٧٨/١٤) ط٤ ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٤) تفسير الرازى (٤٢/٢٠) بتصرف يسير .

اتجاه مغاير للآخر[1] . يتضح كل ذلك من قوله تعالى :

" أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا " الفرقان (٤٥-٤٦)

حتى عرف أهل اللغة الظل : بأنه يقال لكل موضع لم تصل اليه الشمس[2] .

فوجود الشمس دليل على وجود الظل ، وتحرك ضوء الشمس بيسر دليل على تحرك الظل . وهذه نعمة عظيمة جدا حيث لايخفى مايترتب على تحرك الظل من فوائد كثيرة تعود على الانسان من حيث معرفة الأوقات وأهمها وقت الصلاة ،كذلك أوقات راحة الانسان وغيرها من الفوائد التي سأوضحها باذن الله تعالى فى الباب الثانى فصل وجود الأرض وتسخيرها .

ويجدر بنا أن نشير الى أن فى وجود نعمة الشمس والظل دليلا على وجود الصانع المتصرف فى ملكه والمسخر للأجرام العلوية الفلكية بشكل يتحقق معه انتفاع الانسان واستمرار الحياة .

ومن ثم جعل الظل يتحرك مع حركة الأرض فى مواجهة الشمس، فتتغير أوضاعه وامتداده وأشكاله، والشمس تدل عليه بضوئها وحرارتها، وتميز مساحته وامتداده[3] ، وأنه سبحانه كما حركها قادر على أن يجعلها ساكنة، ولكنه سبحانه رحيم بعباده قد سخر كل مافى السموات والأرض للعمل لما فيه سعادتهم وراحتهم .

---

(١) تفسير الآيات الكونية ،د. عبدالله شحاتة (ص ١٨٥) بتصرف يسير .

(٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - مجد الدين الفيروزابادى المتوفى سنة ٨١٧ هـ ،تحقيق محمد النجار (٥٣٧/٣) بصيرة فى الظل . المكتبة العلمية - بيروت - لبنان .

(٣) فى ظلال القرآن - سيد قطب المتوفى سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م . (٤٣/١٩) ، دار احياء التراث العربى - بيروت - ط الثالثة مزيدة ومنقحة .

(٧) فائدة الشمس فى عملية التمثيل الضوئى :

ولايفوتنى فى هذا المقام ذكر وجه آخر من أوجه تسخير الشمس لخدمة الانسان وجلب النفع له ،ذلك عن طريق تزويد النباتات بما تحتاجه من أشعة الضوء لصنع غذائها،وفى ذلك استمرار لحياتها،وبالتالى استمرار لحياة الانسان الذى يتغذى على معظم أنواع النبات ، وتسمى عملية صنع الغذاء فى الأوراق النباتية بعملية التركيب أو التمثيل الضوئى ، كما يشير الى ذلك القرطبى فى تفسير قوله تعالى :

"وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " النحل (١٢)

أى مذللات لمعرفة الأوقات ونضج الثمار والزرع (١) .

فالشمس هى المسئولة عن عملية التمثيل الضوئى فى النبات " وبضوء الشمس تتم التفاعلات الكيماوية فى أوراق الشجر، وينتج الغذاء، ويستفيد، وينمو النبات، ويثمر، ويتغذى الانسان من هذا الثمر" (٢) .

وكما أن للشمس تأثيرا مباشرا على حياة النبات ،كذلك لها تأثير مباشر على الأنعام (٣) والحيوانات وبقائها بصحة جيدة ."ذلك لأن الله سبحانه جعل الشمس مصدر الضوء والطاقة، والضياء والطاقة عاملان لازمان لحياة الانسان والحيوان والنبات ...الخ" (٤) .

---

(١) تفسير القرطبى (٨٣/١٠) .

(٢) الاسلام والنظر فى آيات الله الكونية - د. محمود عبدالله الشرقاوى سلسلة دعوة الحق - رابطة العالم الاسلامى - مكة المكرمة - السنة الخامسة - العدد (٤٧) صفر ١٤٠٦هـ (ص ١٥١) بتصرف .

(٣) الأنعام : الضأن والماعز - الابل - البقر . قال تعالى :"ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم أم الأنثيين... ومن الابل الاثنين ومن البقر اثنين ...". الأنعام (١٤٢ - ١٤٣) .

(٤) الاسلام والنظر فى آيات الله الكونية (ص ١٨٢) .

يتضح ذلك من حاجة هذه الحيوانات والأنعام للعمل والنشاط نهارا، والنوم ليلا لكى تستمر فى حياتها . ولاشك أن الانسان يستفيد من الأنعام من لبنها وصوفها ووبرها ولحمها، ويستخدم بعضها للركوب . قال تعالى : "وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ" النحل (٥ ـ ٨)

ان كل ماذكرته ماهو الاجزء قليل من النعم المستمرة التى أنعم الله بها على الانسان المرتبة على نعمة وجود الشمس، والتى لايمكن حصرها لكثرتها، لأننا لو تعمقنا فى التأمل والتفكر فسنجد "أن كل نار على الأرض، وكل مادة تأكلها الكائنات الحية مصدر طاقتها الشمس التى يختزنها النبات كيميائيا، ثم يصبح النبات غذاء للانسان والحيوان، كما أنه مصدر الطاقة المستخرجة من الأرض كالفحم والبترول"(١) .

فحمدا لك ربنا المنعم بهذه النعم . فالواجب على كل انسان بل على كل مسلم على وجه الخصوص مداومة النظر فى كتاب الله المقروء، ومافيه من ذكر آيات تذكرنا بالله كوجود هذه الشمس، ثم النظر والتأمل فى كتابه المنظور أمامنا، حيث ان هذه الشمس تطلع علينا كل صباح تبشرنا بقدوم يوم جديد، فنفكر فى عظمة الخالق سبحانه ونعمه الجليلة . فالشمس مسخرة لنا باذن من الله سبحانه وتعالى، وهى خلق من خلقه تأتمر بأمره سبحانه . قال تعالى :

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ" الحج (١٨)

---

(١) المنهج الايمانى للدراسات الكونية فى القرآن ـ د.عبد العليم خضر (ص ١٣) بتصرف يسير .


الفصل الثاني

القمر

واهميته للإنسان .. بعامة والمسلم بخاصة - أهميته في معرفة الأهلة .. غير ذلك من الفوائد .

دلالة ذلك على توحيد الخالق عز وجل

الفصل الثانى

القمـــر

أهميته للانسان ـ بعامة ـ المسلم بخاصة ـ أهميته فى معرفة الأهلـة غير ذلك من الفوائد ـ دلالة ذلك على توحيد الخالق عز وجل .

القمر فى اللغة :

القاف والميم والراء أصل صحيح يدل على بياض فى شىء، ومنه قمـر السماء، سمى قمرا لبياضه ، وتصغير القمر قمير .(1)

وفى الصحاح : " القمر بعد ثلاث ليال الى آخر الشهر، سمى قمـرا لبياضه، وليلة قمراء أى: مضيئة، وأقمرت ليلتنا أضاءت، وأقمرنا أى: طلـع علينا القمر" .(٢)

وفى لسان العرب : " القمر الذى يكون فى السماء، ويكون فى الليلـة الثالثة من الشهر، وهو مشتق من القمرة، والجمع أقمار وأقمر : صار قمـرا، يسمى القمر لليلتين من أول الشهر هلالا، ولليلتين من آخره، ليلة سـت وعشرين، وليلة سبع وعشرين، هلالا، ويسمى مابين ذلك قمرا" .(٣)

والقمـر هـو الجـرم السمـاوى الـذى يـدور حـول الارض . ويحتل القمر مكان الصدارة بين أقمـار المجموعة الشمسية لأنه أسطعها ظهورا للانسان، ولم يتعرف الانسان علـى الأقمار الأخرى بالمجموعة الشمسية الا بعد نزول القرآن الكريم بأكثـر

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٢٥) .

(٢) الصحاح للجوهرى (٢/٧٩٨ ـ ٧٩٩) .

(٣) لسان العرب (٥/١١٣) .

من ألف سنة بعد اختراع التلسكوب، وتبين الآن أن بالمجموعة الشمسية أكثر من أربعة وثلاثين قمراً [(١)] . والذى نقصده فى بحثنا هذا هو قمر السماء .

ولقد ورد ذكر لفظ القمر فى سورة النحل فى موضع واحد فقط وهو قوله تعالى :

"وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (١٢)

ففى الآية الكريمة لفت الله سبحانه نظر عباده الى آية من آياته العظيمة، وهى القمر وسيره فى فلكه متعاقبا، مع الشمس بمقدار دقيق لايزيد ولاينقص [(٢)] . ومايترتب على ذلك من معرفة أوقات الأزمنة والشهور والسنين وصلاح المعاش، ومعرفة أوقات نضج الثمار والزرع [(٣)] . كل ذلك لم يحصل مصادفة بل بخلق الله تعالى وتسخيره وتدبيره، بحيث جعل المخلوقات، ومنها القمر مقهورة بأمره، خاضعة لكل مافيه مصلحة العباد [(٤)] .

وفى خلق هذا القمر وتسخيره دلالة على عظمة خالقه وموجده، وهو الله وحده لاشريك له . ويتوصل الى معرفة هذه الحقيقة كل من أعمل عقله وتفكر وتدبر فيها [(٥)] .

ان القمر من أجمل الكواكب التى يمكن مشاهدتها من الأرض، وأكثرها اثارة . وعلى الرغم من جمال هذا القمر كما يبدو، فان رواد الفضاء عندما وصلوا اليه وصفوه بما لايتناسب مع هذا الجمال الظاهرى، فلقد قال أحدهم كما يذكره مؤلف كتاب الكون والاعجاز العلمى للقرآن ان "سطح

---

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن ـ د. منصور حسب النبى ـ دار الفكر العربى (ص ٢٤٦) بتصرف .

(٢) تفسير ابن كثير (٦١١/٢) بتصرف .

(٣) تفسير الطبرى (٦٠/١٤) .

(٤) تفسير الرازى (٤٠٣/٢٠) بتصرف .

(٥) تفسير الشوكانى (١٥٢/٣) .

القمر يشبه قرص الجبن الرومى يمتلىء بالتجاويف " ويقول رائد آخر : " انه مكان موحش لايغرى بالاقامة فيه، وليس كما يتخيله الشعراء جميلا ". ثم أكد الدكتور منصور حسب النبى ماوصف به رواد الفضاء سطح القمر بناء على مشاهدتهم له فقال : " حقا ان القمر جرم ميت ليس فيه ماء أو هواء أو حتى نسيم، وليس به أى حياة، ولهذا كان موحشا بالنسبة لرواد الفضاء لأنه لايحتوى على غلاف جوى يقوم بتشتيت الضوء، ولاينتقل الصوت . فالجو موحش خال من النور والصوت، ومعرض لهجوم الشهب والنيازك لعدم وجود الهواء الذى يحرق بالاحتكاك جميع الشهب ومعظم النيازك[1] " .[2]

ولا أرى خلافا بين جمال القمر المعروف وبين ماوصفه رواد الفضاء، حيث ان وصفهم ليس فى المظهر ولكن من خلال مايحويه، ويؤكد ذلك حديث البراء عندما سئل : أكان وجه النبى صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا بل مثل القمر[3] .

قال ابن حجر العسقلانى فى الفتح : " كأن السائل أراد أنه مثل السيف فى الطول، فرد عليه البراء فقال " بل مثل القمر " أى: فى التدوير ،ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف فى اللمعان والصقال ،فقال

---

(١) النيازك قطع من مواد صلبة تدخل الغلاف الجوى للأرض ،وتصل الى سطحه . وتعرف النيازك التى تحترق حتى درجة التوهج بالشهب أو الشهب الثاقبة ،وكثير من الشهب معروف ،وتنقسم النيازك بحسب محتواها الى شهب حديدية (سيدريت) وشهب حجرية (ايروليت) .
من كتاب موسوعة الثقافة العلمية - اشراف د. أنور محمود عبدالواحد دار الكتاب الجديد - مطابع الأهرام التجارية ١٩٧٦م (ص ٣٩٤) .

(٢) الكون والاعجاز العلمى للقرآن د. منصور حسب النبى (ص ٢٤٧) بتصرف .

(٣) صحيح البخارى (١٦٦/٤) ،كتاب المناقب باب ٢٣ (باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم) وكذا سنن الترمذى (٥٩٨/٥) كتاب المناقب باب ٨ رقم (٣٦٣٦) (باب ماجاء فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم) .

بل فوق ذلك، وعدل الى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان[١] .

فالتشبيه بالقمر يراد به الملاحة ، فالحسن والاستدارة اجتمعا في القمر، فكان جميلا رائعا مبعثا للراحة والهدوء، ومتعة للناظر الى السماء ليلا . أما كونه موحشا فذلك لعدم وجود الماء والهواء، أو أى حياة على سطحه . ومايترتب على وجوده من نعم عظيمة تعود على الانسان خاصة بالخير والنفع . يوضح ذلك قوله تعالى فى سورة النحل :

"وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " آية (١٢)

فبدأ سبحانه وتعالى الآية بقوله "وسخر" أى أنه سبحانه وتعالى ذلل هذا القمر - على عظمته - لخدمة ومنفعة العباد، ولايخفى أن هذا التعبير أقوى فى الدلالة على الخدمة المسخرة الدائبة للكون وللانسان[٢] .

ثم يختتم سبحانه الآية بقوله "إنَّ فى ذلِكَ لآيَاتٍ لِقَوم يَعْقِلُونَ" ذلك لأن المؤمن العاقل يدرك عظمة هذه النعمة (نعمة وجود القمر)، والنعم المترتبة على وجوده ، لاسيما أنه يظهر يوميا بمنازله ، لكن بعض الناس قد لايتذكر عظمة المنعم، وعظمة النعم المترتبة على وجود القمر نظرا لطول الألفة ، ومن ثم لايشكر الله حق شكره . لذا فمن رحمة الله بعباده أن يذكرهم دائما بهذه النعمة العظيمة لكى يذكروه سبحانه حق ذكره .

ويمكننا أن نستعرض فى هذا البحث بعض هذه النعم المترتبة على وجود القمر، وتسخيره، وبيان مدى أهميته للانسان عامة، وللمسلم خاصة، وفوائد نعمة القمر كثيرة منها :

---

(١) قاله ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ فى فتح البارى ، تحقيق محب الدين الخطيب ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقى (٦٦٢/٦)، الطبعة السلفية بمصر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

(٢) تفسير الخازن (٨٢/٤) بتصرف .

(١) الانتفاع بنوره :

حيث ينتفع به المقيم ،ويهتدى بنوره المسافر فى ظلمة الليل الى الطرق ،ويدرك الجميع الأشياء وما يبتغونه عن طريق نوره [١] . قال تعالى : "وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً . وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً" نوح (١٦)

ونلاحظ سر تعبير القرآن فى جانب القمر نورا وفى جانب الشمس سراجا ،وفى هذا التعبير دلالة كبيرة على رحمة الله بعباده ،فنور القمر منعكس عن ضوء الشمس،فهو نور لطيف ذو ضوء خافت يبعث على الهدوء والراحة ليلا .

ويؤكد علماء الجغرافيا ـ فى العصر الحديث ـ هذه الحقيقة بعد هبوط رواد الفضاء على سطح القمر ،واكتشافهم وجود صخور تشتمل على بللورات شفافة عاكسة للضوء مثل بللورات الكوارتز (٢) (٣).

فسبحان موجد هذه الصخور لتقوم بهذه المهمة من أجل خدمة الانسان ،وفى هذا التوافق دليل على صدق القرآن الكريم المنزل من عند الله ،وأنه كلام الله تعالى ،وأن هذا الكون من صنعه سبحانه الذى أتقن كل شئ خلقه " صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" النمل (٨٨)

وهذا النور ليس للهداية لمعرفة الأشياء ليلا فحسب،بل للهداية بعلم عدد الأيام والشهور والسنين ،وذلك عن طريق تعاقب النهار وسلطانه الشمس ،والليل وسلطانه القمر بمنازله . والذى يحصل بسبب دوران القمر حول الأرض مرة واحدة كل شهر أى : أنها المسافة التى يقطعها فى يوم وليلة بحركته الخاصة ،فالقمر ينزل كل ليلة فى منزل لايتخطاه ،فيبدو أولا صغيرا ،ثم يكبر قليلا ،ثم يعود صغيرا ،وهكذا ..... (٤)

ويكون حجم القمر فى كل منزل على مقدار النور المستفاد من ضوء الشمس،وتستمر هذه الفترة ما يقرب من تسعة وعشرين يوما ،وهى عدد منازل القمر،ومنها يمكن معرفة عدد الأيام فى الشهر القمرى أوما يسمى بالشهر العربى . ولا يظهر من القمر خلال دورانه حول الأرض سوى وجه واحد هو الوجه الموازى للأرض،أما وجهه الآخر فلم يره سكان الأرض .

---

(١) يستفاد من ضوء القمر حتى مع وجود المصابيح والأجهزة الكهربائية فى العصر الحاضر وذلك فى الرحلات البرية مثلا .

(٢) الكوارتز خامة معدنية شائعة الوجود فى الصخور النارية الحمضية وكثير من الصخور المتحولة وهو المكون الرئيسى للاحجار الرملية ويكون ٣٥٪ من القشرة الأرضية ،ويستخدم فى صناعة البناء والزجاج،وأشغال سباكة المعادن وغيرها ،ويستخدم على حالة البللور الصخرى فى الأجهزة الكهربائية،وكحجر شبه كريم ،ويعرف الكوارتز باسم المرو . من موسوعة الثقافة العلمية (ص٣٠٢) .

(٣) المنهج الايمانى للدراسات الكونية فى القرآن الكريم،د . عبد العليم خضر (١٤٦) بتصرف.

(٤) تفسير الشوكانى (٢/ ٤٢٥) بتصرف .

والعرب تسمى أوجه القمر بأسماء (الهلال - التربيع الأول - البدر).[١]

قال تعالى : "وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ" يس(٣٩)

ومن ثم فانه يطلع فى أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور ثم يزداد نوره شيئا فشيئا لارتفاعه فى منازله حتى يتكامل ويقوى نوره ليلة البدر كما جاء فى الحديث " كالقمر ليلة البدر .... الحديث "[٢] ثم يأخذ فى نقصان الضوء مرة أخرى الى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم[٣] .

والعرجون : مايحمل الثمرة وأصل العذق[٤] الذى يعوج[٥] .

القديم : مامضى على وجوده زمن طويل[٦] .

والعرجون هو أصل العذق الذى يعوج وينقطع منه الشماريخ[٧] ،وهو اذ ذاك أصفر جمعه عراجين[٨] .

والهلال فى آخر الشهر يرى خطا معوجا فعلا .

---

(١) ظواهر جغرافية فى ضوء القرآن الكريم - ابراهيم النصيرات (ص ٧٤) بتصرف . فتحى النصيرات - الأردن - ط٢ - ١٩٨١م .

(٢) صحيح البخارى (١٩٥/١) كتاب الاذان ،باب فضل السجود رقم (١٣٩) .

(٣) تفسير ابن كثير (٥٩٧/٣) بتصرف . مكتبة النهضة الحديثة - ط١ - ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م .

(٤) العذق :العذق بفتح العين وسكون الذال : كل غصن له شعب . والعذق أيضا : النخلة عند أهل الحجاز . من لسان العرب (٢٣٨/١٠) .

(٥) المعجم الوسيط (٥٩٨/٢) باب العين .

(٦) المعجم الوسيط (٧٢٢/٢) باب القاف .

(٧) الشماريخ : جمع شمراخ وهو العنقود عليه العنب . القاموس الاسلامى - أحمد عطية الله (١٤٠/٤) .

(٨) لسان العرب (٢٨٤/١٣) .

فقوله والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم يعنى أن القمر غير ثابت فهو ينزل منازل مختلفة يتغير فيها مظهره ولابد لكى ينزل القمر منازل مختلفة من أن ينتقل من مكان لآخر . والقرآن الكريم يعلل أوجه القمر بأن سببها هو انتقال القمر فى أمكنة مختلفة بالنسبة للأرض وهو فى انتقاله يتغير مظهره فيزيد حتى يصير بدرا ثم يعود فيتناقص تدريجيا حتى اذا كان فى آخر منازله دق واستقوقس وصار هلالا، وهذا مايطابق ماوصل اليه العلم أخيرا وهو أن القمر يظهر بأوجه مختلفة نتيجة دورانه حول الأرض مع مواجهته لها بوجه واحد (١).

وقد أمكن تحديد بداية الشهر القمرى (العربى) ونهايته كما ذكر فى سبب نزول قوله تعالى :

"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ " البقرة (٨٩)

وهذا مما سأل عنه اليهود واعترضوا به على النبى صلى الله عليه وسلم قال معاذ يارسول الله ان اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة ،فنزلت الآية (٢).

وقيل نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة وهما رجلان من الأنصار قالا يارسول الله مابال الهلال يبدو فيطلع دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستدير،ثم لايزال ينقص ويدق حتى يكون كما كان ،لايكون على حالة واحدة ،فنزلت الآية (٣).

ولاشك أن مراقبة الأهلة أمر بالغ الأهمية بالنسبة للمسلم لارتباطها بمواسم العبادات لشهر رمضان وشهر الحج . فلابد للمسلم لمعرفة دخول الشهر وانتهائه من رؤية الهلال . ومن ذلك حديث أبى هريرة رضى الله عنه

---

(١) القرآن والعلم ـ أحمد محمد سليمان (ص ٣٨) بتصرف يسير . دار العودة بيروت ـ ط الخامسة ١٩٨١م .

(٢) ،(٣) أسباب النزول لأبى الحسن على النيسابورى (ص ٣٢) . دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٥هـ/١٩٧٥ م .

قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم أو قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : " صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فان غُبّى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين"(١) (٢) . ويقول القرطبى(٣) فى سبب افراد الله سبحانه وتعالى ذكر الحج فى الآية : إنه مما يحتاج فيه الى معرفة الوقت، وأنه لايجوز النسىء(٤) فيه عن وقته بخلاف ماراته العرف فانها كانت تحج بالعدد، وتبدل الشهور، فأبطل الله قولهم وفعلهم(٥) . وكذلك موعد دخول الأشهر الحرم وغيرها .

وان معرفة الأهلة ضرورى لتوقيت مواعيد الأحكام الدينية، والأمور الدنيوية، وذلك لأن السنة اثنا عشر شهرا، كما يوضح ذلك قوله تعالى فى سورة التوبة :

"إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ...." الآية (٣٦)

وقوله : "هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" يونس (٥)

---

(١) غبى فى اللغة : غبى الشىء ستره . المعجم الوسيط (٦٥/٢) .

(٢) صحيح البخارى (٢٢٩/٢) كتاب الصوم - باب ١١ قول النبى (اذا رأيتم الهلال فصوموا) .

(٣) القرطبى : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى الأندلسى القرطبى المفسر، كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين فى الدنيا، جمع فى تفسير القرآن كتابا كبيرا فى اثنى عشر مجلدا سماه كتاب (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان) وهو من أجل التفاسير حيث أسقط عنه القصص والتواريخ وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والاعراب والناسخ والمنسوخ كما أن له مؤلفات أخرى . وفاته عام ٦٧١هـ .
من : الجامع لأحكام القرآن (١/ز) .

(٤) النسىء : الزيادة .

(٥) تفسير القرطبى (٣٤٣/٢) .

فسبحانه علم الانسان مالم يعلم ،علمه كيفية معرفة عدد الشهور والسنين عن طريق رؤية القمر وحركته الدقيقة بحساب وانتظام فى فلكه وفى منازله، وهذا العلم يعود على الانسان فى كل زمان ومكان، وان كان الخطاب موجها لأهل مكة وقت نزول القرآن الكريم (المشهورين بالفراسة)، لكن الله سبحانه يعلمهم فوق علمهم ...

" وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ " يوسف (٧٦)

يقول موريس بوكاى[(١)] ماملخصه : " إن القرآن الكريم نزل منذ أربعة عشر قرنا تقريبا فى شبه الجزيرة العربية، حيث كانوا يستخدمون الحساب القمرى للزمن، كما كانوا خبيرين فى تفرس السماء، والاستدلال بالنجوم، وتحديد الزمن على حسب مراحل القمر، لذا كان هذا الخطاب مناسبا لهم "[(٢)] .

وان فى حث القرآن على معرفة الشهور عن طريق القمر دليلا على رحمة الله بعباده، وذلك لسهولة مراقبة الهلال فى مراحله المختلفة لدى

---

(١) موريس بوكاى : صاحب كتاب "القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم" وهو طبيب فرنسى ،عمل فى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية بضع سنوات وعندها اطلع على ترجمة تفسيرية لمعانى القرآن الكريم فذهله ماوجد من توافق تام بينه وبين العلم الحديث وخاصة فى مجال الطب فاعتنق الاسلام .
ألف كتابا يقارن فيه الكتب المقدسة التوراة والانجيل والقرآن الكريم بالعلم الحديث ،ألفه بالفرنسية وترجم الى الانجليزية والعربية وسمى : " دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ".
نقلا عن مريم زامل : موقف ابن تيمية من النصرانية ـ رسالة دكتوراه (١/حاشية ص ٤١) والتى نقلته عن سارة العبادى : التحريف والتناقض فى الأناجيل الأربعة (ص ٣٦) ولم تشر الى المصدر الذى أخذت عنه هذا التعريف .

(٢) القرآن والتوراة والانجيل والعلم ـ موريس بوكاى (ص ١٨٥) بتصرف . دار المعارف ـ القاهرة .

كل انسان سواء كان حضريا أو بدويا بعكس معرفة الشهور الشمسية فيتطلب حسابها معرفة بحركة الأفلاك والرياضيات (١) . وإن فى ذلك دليلا آخر على قدرة الله وعظمته، وفيه دحض شبه الأعداء الذين يقولون: إن الأجرام الفلكية كلها ثابتة لاتتغير أحوالها، ولكن الله سبحانه أوجد منها الثابت كالشمس، والمتغير كالقمر (٢) .

وهناك نعم أخرى جليلة مترتبة على نعمة وجود القمر منها أنه :

(٢) يسبب حدوث عمليتى المد والجزر :

وذلك على حسب منازل القمر وبعده أو قربه من الأرض .

والمد : هو تقدم وارتفاع مياه البحر لبضعة أمتار، وعكسه الجزر (٣)، ولهاتين العمليتين فوائد كثيرة وهامة، وخاصة للملاحين البحريين قبل الدخول أو الخروج من أى ميناء، وكذلك لصيادى الأسماك والمحار (٤) وغيرهم .

وان هاتين العمليتين تعملان على تطهير الشواطئ من الفضلات والمخلفات، وكذلك تستثمران فى توليد الكهرباء . وهذه الفوائد لايمكن أن توجد لو لم تحصل حركة القمر بكل دقة وانضباط من حيث حركتها فى فلكها وبعدها وقربها عن الأرض كما أراد الله سبحانه وتعالى ضمانا لمصلحة العباد . فلو زاد اقتراب القمر من الأرض أكثر مما هو حاصل

---

(١) المنهج الايمانى للدراسات الكونية فى القرآن الكريم ـ د. عبدالعليم خضر (ص ١٧١) بتصرف .

(٢) تفسير الرازى (١٣٣/٥) .

(٣) المنهج الايمانى للدراسات الكونية فى القرآن الكريم ـ د. عبدالعليم خضر (ص ١٦٢) بتصرف يسير .

(٤) المحار : بفتح الميم : حيوانات رخوة صدفتها ذات مصرعين ،معظمها بحرى ،وقليلها يعيش فى المياه العذبة ،وكلها شبه مثبتة ، اما منغرسة فى القاع ،أو مشدودة بخيوط وافرازات للمرتكز الذى تعيش عليه .

الموسوعة العربية الميسرة (١٦٥٤/٢) .

لزادت الجاذبية بينه وبينها، ولطغى الماء ـ وقت المد ـ وأغرق كل ماعلى سطح الأرض، والعكس كذلك لو بعد القمر من الأرض أكثر مما هو حاصل.(١)
فحمدا لله سبحانه الذى : "أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ" طه (٥٠)

ومن النعم المترتبة على وجود القمر نعمة :

(٣) بقاء الحياة على سطح الأرض :

فبسبب تعاقب الليل والنهار والشمس والقمر تتغير فصول السنة، وتختلف مواسم زراعة النباتات المختلفة، وقد ثبت لدى علماء الزراعة أن نور القمر بمساعدة العوامل الأخرى يساعد على نضج الثمار والنباتات .

فالثمار والنباتات تحتاج الى فترة اظلام كى ترتاح وتنام، لأنه ليس الانسان وحده الذى يحتاج للنوم بل كذلك النباتات لتواصل العمل وتستمر فى حياتها باذن الله .(٢) ولاتختلف هذه القاعدة بالنسبة للحيوانات.

إن بقاء الحيوانات والنباتات ضمان لاستمرار حياة الانسان الذى يتغذى على كل منهما .

فهذه بعض نعم الله تعالى التى لاتحصى ولاتعد ..

"وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا" النحل (١٨)

أوردتها للتذكير فقط، ولتعريف من لم يعرف هذه الحقائق عن هذه النعم العظيمة، لأن بعض الناس ألفها واعتاد رؤيتها دون أن يتفكر ويتأمل فيها، ويبحث عن سر وجودها، ولقد لفت القرآن الكريم نظره الى ذلك، وأضاف اليها حقيقة قد ينساها القلب الغافل فلايلتفت الى دلالتها، الا وهى التسخير المفهوم من قوله : " وَسَخَّرَ" ثم قال : " الشمس والقمر" فالقمر

---

(١) الانسان فى الكون بين القرآن والعلم ـ د. عبد العليم خضر (ص ١٩٨) بتصرف . عالم المعرفة ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية ط١ ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢) تفسير الرازى (٢٩/ ٢) بتصرف .

بحركته الدقيقة المضبوطة يسير بحساب لايخطىء كأنه ساعة فلكية تضبط عليه الساعات الفلكية الدقيقة التى تحسب الوقت بالساعة والدقيقة والثانية بل حتى الأوقات التى تحسب بجزء من مائة ألف جزء من الثانية انه – القمر – لايسير من تلقاء نفسه بل بأمر من الله الذى سخره، والمطلوب من الانسان الغافل أن يتيقظ لهذه الحقيقة لكى لايعود الى الغفلة التى تؤدى الى الوقوع فى الضلال (١) .. فسبحانه :

"بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ،وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ" الأنعام (١٠١)

واننا نحمد الله وندعوه سبحانه أن يمتعنا بالنظر الى وجهه الكريم كما متعنا برؤية الهلال والقمر بمنازله الذى جعله الله آية للناظرين،كما وعدنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :"إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته ...الحديث (٢) " .

---

(١) دراسات قرآنية – محمد قطب (ص ٣٤ – ١٥٢) بتصرف . دار الشروق بيروت – القاهرة – ط٣ – ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٢) صحيح البخارى (١٧٩/٨) كتاب التوحيد باب قوله تعالى (يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) باب رقم (٣٤) .
لاتضامون فى رؤيته : بالضم والتشديد على الميم ومعناه: لاتجتمعون لرؤيته من جهة، ولايضم بعضكم الى بعض أى: أن كل منكم يراه كما يرى القمر دون عائق . فتح البارى (٣٦٠/١٣) .


الفصل الثالث



تعددها وفوائدها - حاجة الإنسان إليها - جعلها زينة السماء ومصابيح ورجوما للشياطين - الاهتداء بها في البرّ والبحر - آثار ذلك في توحيد الخالق عز وجل ..

شواهد ذلك من الآيات .

الفصل الثالث

النجوم

تعددها وفوائدها ـ حاجة الانسان اليها ـ جعلها زينة السماء ومصابيح ورجوما للشياطين ـ الاهتداء بها فى البر والبحر ـ آثار ذلك فى توحيد الخالق عز وجل ... شواهد ذلك من الآيات .

النجوم فى اللغة :

النون والجيم والميم أصل صحيح يدل على طلوع وظهور . ونجم النجم : طلع . والنجم : الثريا اسم لها . واذا قالوا : طلع النجم فانهم يريدونها[1] .

وفى الصحاح : نجم الشىء ينجم بالضم نجوما : ظهر وطلع . يقال نجم السن ،والقرن ،والنبت .

والنجم : الكوكب والثريا[2] . وفى لسان العرب : النجم يراد به النجوم،وقال جائز أن يراد به مانبت على وجه الأرض وماطلع من نجوم السماء،وفى التنزيل العزيز " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ" جاء فى التفسير أنه الثريا وكذلك سمتها العرب . وقال أهل اللغة : النجوم تجمع الكواكب كلها، والنجم فى الأصل اسم لكل واحد من كواكب السماء،وهو بالثريا أخص .

وفى الحديث " اذا طلع النجم ارتفعت العاهة"[4] . وأراد بطلوعها

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٣٩٦ ـ ٣٩٧) .
(٢) الصحاح (٥/٢٠٣٩) .
(٣) لسان العرب (١٢/٥٦٨ ـ ٥٧٠) .
(٤) اسناده ضعيف لضعف على بن سفيان وروى السيوطى فى الجامع الصغير "اذا طلعت الثريا أمن الزرع من العاهة" رواه الطبرانى فى الصغير عن أبى هريرة وأشار السيوطى أنه حديث ضعيف . مسند أحمد بن حنبل تحقيق أحمد شاكر (ج ١٦) مصور طبعة دار المعارف بمصر .
والعاهة : هى الآفة . النهاية فى غريب الحديث ،تحقيق طاهر أحمد الزاوى ،محمود محمد الطناحى لابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ (٣/٣٢٤) دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان .

طلوعها عند الصبح، وذلك فى العشر الأوسط من آيار، وسقوطها مع الصبح فى العشر الأوسط من تشرين الآخر .

والعرب تزعم أن بين طلوعها وغروبها أمراضا ووباء وعاهات فى الناس والابل والثمار، ومدة مغيبها بحيث لاتبصر فى الليل نيف وخمسون ليلة لأنها تخفى بقربها من الشمس قبلها وبعدها، فاذا بعدت عنها ظهرت فى الشرق وقت الصبح .

ويقال انما أراد بهذا الحديث أرض الحجاز لأن فى ايار يقع الحصاد بها، وتدرك الثمار، وحينئذ تباع لأنها قد آمن عليها من العاهة (١) .

ولقد تناولت سورة النحل النجوم فى موضعين هما :

(١) قوله تعالى : "وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ" آية (١٢)

وفى هذه الآية الكريمة تنبيه من الله لعباده على آياته العظيمة، ومنها النجوم الثوابت والسيارة فى أرجاء السموات، وكونها نورا وضياء ليهتدى بها فى الظلمات تسير فى فلكها الذى جعلها الله فيه بحركة مقدرة لاتزيد عليها ولاتنقص عنها (٢) . وفى كل ذلك دلالة واضحة على قدرة الله عز وجل وحده لاشريك له يعرفها كل من أعمل عقله وتفكر فى مدلول هذه الآية الكونية (٣) .

(٢) قوله تعالى : "وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" آية (١٦)

وهذه الآية تبين نعمة من النعم المترتبة على وجود النجم . قال ابن عباس : يعنى بالعلامات معالم الطرق بالنهار، وبالنجم هم يهتدون ليلا (٤) وعن مجاهد قال : منها مايكون علامة ومنها مايهتدى به (٥) . وقال قتادة :

---

(١) لسان العرب (١٢/٥٦٨ - ٥٧٠) .
(٢) تفسير ابن كثير (٢/٦١١) بتصرف .
(٣) تفسير الشوكانى (٣/١٥٢) بتصرف .
(٤)،(٥) تفسير القرطبى (١٤/٦٣) .

العلامات النجوم وان الله تبارك وتعالى انما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد رأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف مالاعلم له به [(١)] . قال القرطبى :

وقال ابن عباس : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : " وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" فقال :"هو الجدى [(٢)] يابن عباس ،عليه قبلتكم وبه تهتدون فى بركم وبحركم" [(٣)] .

فالمسافر اذا عميت عليه القبلة أو اشتبه فى موقعها ليلا سواء كان فى البر أو البحر وجب عليه الاستدلال بالنجوم أو غيرها من العلامات [(٤)] فالآية تفيد أنه سبحانه جعل للطرق علامات يقع الاهتداء بها ليلا كما يقع الاهتداء بالنجوم . وفى ذلك دلالة على وجود الخالق المدبر سبحانه وتعالى .

والنجم جرم سماوى مضىء بذاته وهو الوحدة التى تتكون منها المجرة فى المقام الأول . ويمكن التفريق بينه وبين الكواكب بأن الكواكب جرم معتم بذاته انطفأت جذوته وتجمد سطحه وكان العرب لايفرقون بين النجم والكوكب من حيث حال الضياء فيهما ،فكلاهما ينير . وأطلقوا لفظ النجوم على بعض معين منها كما أطلقوا لفظ الكواكب على بعض آخر

---

(١) تفسير القرطبى (٦٣/١٤) .

(٢) الجدى : كوكبة واحدة من البروج الاثنى عشر وتتألف من ٢٨ نجما . القاموس الاسلامى ـ أحمد عطية الله (٥٨٧/١) .

(٣) تفسير القرطبى (٩٢/١٠) . وقد ذكره القرطبى عن الماوردى وهو : على بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردى ،أقضى قضاة عصره . من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة ،ولد فى البصرة وانتقل الى بغداد ،وولى القضاء فى بلدان كثيرة ،ثم جعل أقضى القضاة فى أيام القائم بأمر الله العباسى . كان يميل الى الاعتزال وله مكانة رفيعة عند الخلفاء ،ويطلق عليه الماوردى نسبة الى بيع ماء الورد . ووفاته ببغداد . ومن كتبه :أدب الدنيا والدين الأحكام السلطانية ،الحاوى فى فقه الشافعى .

من : الأعلام (٣٢٧/٤) دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط الخامسة ١٩٨٠م.

(٤) تفسير الرازى (١١/٢٠) بتصرف .

فسموا كلا من الثريا والشعرى : نجما، واعتبروا الشمس والقمر من الكواكب العظيمة (١) . والنجوم شموس مشعة بالحرارة والضوء والطاقة وهناك فروق هائلة بين النجوم داخل المجرة الواحدة، وبالتالى داخل التجمع المجرى، ثم داخل الحشد الكبير، وذلك بحسب الاختلاف فى الكتلة . والعمر، والتركيب الابتدائى، وشدة مجالات النجوم المغناطيسية، والنوع الطيفى واللون (٢) . وعلماء الكون يقولون ان النجوم أجرام غازية شديدة السخونة أى: أنها لهب فى درجات حرارة عليا، وأنها متحركة بالفعل، وبسبب بعدها عنا ببلايين الأميال فانها تبدو ساكنة (٣) . وكان العرب يدركون أن النجم هو أحد الأجرام السماوية المضيئة بذاتها، ومواضعها النسبية فى السماء ثابتة، ومنها الشمس (٤) . والله سبحانه وتعالى قد وصف النجم بدقة متناهية فى قوله تعالى :

"وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ " الطارق(١-٣)

فقد وصفه بما توصف به النيران ولهب السرج يبدو أنه متحرك دائما رغم أننا نرى النجوم ساكنة للبعد الشاسع بين الأرض وبين النجوم (٥) .

ومن يرفع رأسه الى السماء ليلا لابد أن يتعجب وينبهر ويسبح الله تعالى من جمال وروعة مايراه من خلق السماء الدنيا، وتزيينها بنيرات تتلألأ من "نجوم ومصابيح وسرج وكواكب" كما سماها القرآن الكريم (٦) .

وهذه النجوم ذات أعداد كبيرة جدا لايمكن تقديرها لأن منها مايرى بالعين المجردة، ومنها مالايرى الا بواسطة المراصد، ومنها مايمكن

---

(١) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ـ د. عبدالعليم خضر (ص ١٩٥) الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ ط٢ ـ ١٤٠٥هـ .
(٢) نفس المرجع السابق (ص ١٩٦) .
(٣) نفس المرجع السابق (ص ٢٠٢) .
(٤) المعجم الوسيط (٩١٢/٢) .
(٥) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن د. عبدالعليم خضر (ص ٢٠٢) .
(٦) التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن ـ حنفى أحمد (ص ١٣٧) دار المعارف ـ القاهرة ـ ط ٣ .

أن تحس بها الأجهزة دون أن نراه[1] . كما يقول سبحانه وتعالى :

"فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ، وَمَا لَا تُبْصِرُونَ " الحاقة (٣٧-٣٨)

يقول العالم جاليليو ماملخصه : " ان الناظر الى السماء من خلال التلسكوب سيرى الحشد الكبير جدا من النجوم التى لاترى بالعين المجردة بشكل يصعب تصديقه"[2] .

ومع كثرة عددها فانها تختلف فى أحجامها ولمعانها (بريقها)، فالشعرى اليمانية أشد بريقا من النجم القطبى وهكذا... وكذلك تختلف فى ألوانها، فبعضها أزرق الى بياض، ومنها أبيض وأصفر الى البياض، ومنها صفر وحمر، ومن ثم تختلف درجة حرارتها بناء على اختلاف ألوانها[3]، وان لهذه النجوم مواقع كما قال تعالى :

"فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ " الواقعة (٧٥)

أى:مواضعها فى السماء فى بروجها ومنازلها[4] .

والنجوم تتحرك فى أفلاكها بشكل مستمر، وان كانت تبدو ساكنة للناظر، لكن المتأمل يرى أن سكونها ظاهرى وليس حقيقيا، وانما يرجع الاعتقاد بأنها ساكنة بسبب بعدها عن الأرض[5] . وحركتها هذه ليست عشوائية بل تتناسق مع حركة بقية الكواكب والنجوم فى أفلاكها فى الفضاء، كما يعرف ذلك كل منتعلم ودرس علم الفلك كأوائل العرب الذين جعلوا هذا العلم من أجل العلوم[6] . وبه تعرفوا على بعض النعم المترتبة على نعمة وجود النجوم نذكر منها مايلى :

---

(١) ظواهر جغرافية فى ضوء القرآن - ابراهيم نصيرات (ص ١١٤) بتصرف .
(٢) من كل شئ موزون - د. عبد المحسن صالح (ص ١٨٢) بتصرف .
(٣) تفسير الجواهر (٢٣٩/١٢) بتصرف .
(٤) تفسير الرازى (١٨٩/١٩) .
(٥) التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن - حنفى أحمد (ص ١٦٦) بتصرف .
(٦) فى ظلال القرآن - سيد قطب (١٤٤/٢٧) بتصرف .

(١) ان النجوم زينة السماء الدنيا :

وذلك بضوئها وجمالها وأشكالها وتجمعاتها المختلفة وفى ذلك يقول سبحانه :

"وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّـاهَا لِلنَّاظِرِينَ" الحجر (١٦)

وفى ذلك دلالة على أن تجمع النجوم ليس عشوائيا وانما بسبب وجود كل منها فى برج خاص مستقل كما يقول سبحانه :

"وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ " البروج (١)

وقوله : "فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ" الواقعة (٧٥)

وهذا قول بعض المفسرين، ومنهم الشهيد سيد قطب [(١)] يقول : " بأنها منازل النجوم والكواكب التى تنتقل فيها فى مدارها . لكنه يقول أيضا بأنه قد يكون المراد من البروج النجوم والكواكب بفخامتها" [(٢)] .

وعلماء الفلك فى العصر الحديث يميلون الى الرأى الأول "فالنجوم بتجمعاتها على هيئة وأشكال معينة هى بروج للسماء وزينة لها . ومنها مايكون ذا شكل ثابت ووجود دائم طوال العام . ومنها مايظهر خلال بعض فصول السنة بأشكال معينة ثم تختفى ويظهر بدلا منها مجموعات [(٣)] متباينة من

---

(١) سيد قطب (١٣٢٤ – ١٣٨٧هـ / ١٩٠٦ – ١٩٦٧م)
هو سيد قطب بن ابراهيم مفكر اسلامى مصرى من مواليد أسيوط تخرج فى كلية دار العلوم بالقاهرة وعمل فى جريدة الأهرام ، انضم الى الاخوان المسلمين وترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣ – ١٩٥٤) وسجن معهم فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو فى سجنه الى أن صدر الأمر باعدامه .
انظر : الأعلام – الزركلى (١٤٧/٣ – ١٤٨) بتصرف بسيط .

(٢) تفسير الظلال (١٤/١٤) بتصرف يسير .

(٣) يوجد فى السماء (٨٨) كوكبة عين حدودها الاتحاد الفلكى الدولى عام ١٩٢٨م منها (٤٨) عرفها القدماء وأطلقوا عليها أسماء أبطال الأساطير مثل هرقل وفرساوس وأسماء حيوانات كالتنين والطائر والأسد وأسماء جماد كالميزان والاكليل . أما باقى الأسماء فهى لاتينية .
من الموسوعة العربية الميسرة (١٥٠٧/٢) .

النجوم على شكل آخر [1] .

وعدد هذه البروج اثنا عشر وأسماؤها: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت [2] . (انظر الملحق رقم ٣)

اذن ظهور النجوم بهذه الأشكال زينة للسماء تمتع الناظر وتبعث فى نفسه الانشراح وتزيل همومه وتجعله يدرك تماما أن وراء كل ذلك الله مدبر حكيم مستحق للعبادة والاجلال، والنجوم ليست زينة للسماء فحسب، بل ان لها فوائد أخرى عديدة يذكرها قتادة بقوله : " خلق الله تعالى النجوم لثلاث : زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها فى البر والبحر والأوقات، فمن تأول غير ذلك فقد تكلف مالاعلم له به، وتعدى وظلم " [3] .

(٢) النجوم رجوما للشياطين :

فالنجوم بالاضافة الى كونها زينة للسماء هى رجوم للشياطين كما يقول الله تعالى :

"وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ، وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ" الحجر (١٦-١٨)

والشهاب كما يقول الأصفهانى فى مفرداته [4] : " هو الشعلة الساطعة من النار الموقدة " فالشهب مواد صلبة أو أجرام سماوية صغيرة تدخل الغلاف العلوى من جو الأرض قادمة من السماء، وحين اختراقها جو الأرض تتوهج تحت وطأة مقاومة الهواء الجوى لمسارها . ثم لاتلبث أن تنطفىء مخلفة وراءها

---

(١) القرآن والعلم - د. محمد جمال الدين الفندى (ص ٢٤٢) بتصرف .

(٢) تفسير الشوكانى (١٢٥/٣) .

(٣) تفسير القرطبى (٢١١/١٨) .

(٤) المفردات فى غريب القرآن (ص ٢٦٧) .

سحابة رمادية تأخذ وقتا حتى تسقط على الارض على هيئة غبار لايعرف تركيبه الا الله[1] . ومهمة هذه الشهب رمى الشياطين المسترقين للسمع . فقد كانت الشياطين تسترق السمع قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فتصعد وتأخذ لها أماكن ومقاعد تسمع مايجرى من حديث الملائكة فى السماء

"وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا" الجن (٩)

فاذا سمعوا كلمة مما سيجرى من قضاء الله وقدره فى الأرض زادوا فيها تسعا،وهذه الزيادة باطلة،ثم انهم بعد ذلك ينزلون بسرعة الى الأرض ليبلغوه مشوها للكهنة :

"قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ " الشعراء (٢٢١-٢٢٣)

وبالتالى فهؤلاء الكهنة يبلغونه للناس بهذه الصورة المشوهة[2] .

وفى ذلك يقول ابن عباس رضى الله عنهما : " كان الجن يصعد الى السماء يستمعون الوحى فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا،فأما الكلمة فتكون حقا،وأما مازاد فيكون باطلا ،فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس[3]،ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك ،فقال لهم ابليس : ماهذا الا من أمر قد حدث فى أرض ،فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين جبلين أراه قال بمكة فأتوه فأخبروه فقال : هذا الذى حدث فى الأرض[4] " .

---

(١) المنهج الايمانى للدراسات الكونية فى القرآن - د. عبدالعليم خضر (ص ١٨١) بتصرف يسير .

(٢) تفسير الرازى (١٥٧/٣٠ - ١٥٨) بتصرف يسير .

(٣) لقد كانت الشياطين قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ترمى بالشهب ولكن كانت هناك مقاعد خالية من الحراسة فيجلسون ويستمعون من خلالها ولكن زادت هذه الشهب بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ومنعوا قطعيا من سماع شىء . من تفسير معالم التنزيل - البغوى (١٦١/٧) بتصرف .

(٤) سنن الترمذى - كتاب تفسير القرآن باب ٧٠ (٤٢٧/٥) قال حديث حسن صحيح .

وذلك كله من أجل أن لايستمعوا شيئا من القرآن عند نزوله فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط[1].

ومن ثم فهي صيانة لهذه الرسالة فلايشارك هؤلاء الكهنة الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ شيء منه فيشك الناس في بعثته[2]. ولاشك أن هذه الشهب يرمى بها الشياطين الى عصرنا هذا والى أن يشاء الله، فكل من رفع بصره الى السماء ليلا يرى عددا من هذه الشهب في الدقيقة الواحدة تحترق في الطبقة العليا من الغلاف الجوي ولاتلبث أن تمحى وتنطفيء مخلفة وراءها سحابا رماديا لامعا لايلبث أن يسقط على الأرض على هيئة غبار. وهذا من رحمة الله بعباده، فلو سقطت الشهب على هيئة شعلة لأحرقت الأرض وماعليها. ولكن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لتعمير الأرض وليحيوا فيها بسكينة دون أن تضرهم أو تحرقهم أمثال هذه الشهب. لذا حال سبحانه وتعالى بقدرته دون سقوطها على الأرض بطريق مباشر، وقدر اختراقها واحتكاكها بغلاف جوي ذي كثافة مناسبة، ومن ثم تتبخر وتتحول الى رماد[3].

فسبحانه خالق المخلوقات بالحق والحكمة :

"أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ" الروم (٨)

ويراد بالحق في الآية الحكمة كمايذكر الأصفهاني في مفردات غريب القرآن[4].

ويكشف العلم الحديث هذه المعجزة وهذه الحكمة بعد قرون عديدة

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٥٥) بتصرف.

(٢) تفسير الرازي (٣٠/٦٠) بتصرف يسير.

(٣) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن ـ حنفي أحمد (ص ١٩٧) بتصرف.

(٤) مفردات غريب القرآن للأصفهاني (ص ١٢٥).

من نزول القرآن الكريم المعجز بكل كلمة من كلماته .

يقول كريس موريسون فى كتابه ماملخصه [(١)] : " ان كثافة الهواء لو كانت أرفع مما هى عليه فان الشهب التى تحترق كل يوم بالملايين فى الهواء الخارجى كانت تسقط فى جميع أجزاء الأرض وهى تسير بسرعة تتراوح بين ستة أميال وأربعين ميلا فى الثانية، ومن ثم لأشعلت كل شئ قابل للاحتراق، ولو كانت تسير ببطء رصاصة بندقية لارتطمت كلها بالأرض ولكانت العاقبة مروعة " .

ومثل هذا يقول الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى [(٢)] : " وكل أهوال الفضاء الكونى مثل الشهب والنيازك والأشعة ومماينتج عن رياح الشمس والمذنبات كل هذه لاتصل الى الأرض غالبا ... وان وصل شئ منها فهو يسقط بعيدا ... فى المناطق النائية الخالية من السكان غالبا" [(٣)] .

(٣) الاهتداء بالنجوم فى البر والبحر :

يقول سبحانه فى سورة النحل : "وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ " (١٦) فهى علامات يهتدى بها فى أوقات فصول السنة من حيث بدايتها

(١) العلم يدعو للايمان ـ كريس موريسون (ص ٦٥ ـ ٦٦) بتصرف يسير .
(٢) د. محمد عبدالله الشرقاوى . عضو هيئة التدريس بجامعة القاهرة كلية العلوم وأستاذ مساعد بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية له عدة مؤلفات منها : تأملات حول وسائل الادراك فى القرآن الكريم (الحس ، العقل ، والقلب ، والفؤاد ، واللب) .
من كتاب الاسلام والنظر فى آيات الله الكونية ـ د. محمد الشرقاوى .
(٣) الاسلام والنظر فى آيات الله الكونية ـ د. محمد الشرقاوى (ص ١٦٥) بتصرف يسير .

ونهايتها، وفي معرفة موسم الحصاد أو فيضان الأنهار ... الخ .

ونذكر أولا : الاهتداء بالنجوم في ظلمات البر والبحر لمعرفة المكان أو القبلة سواء كان ذلك عن طريق نجم معين كنجم الشعرى أو النجم القطبي أو مجموعة من النجوم مثل برج الجدي أو الدلو أو غيرهما .

يقول الطبري[1] : "منها ماتكون علامات ومنها مايهتدون بها"[2] كالجدي والفرقدان بشكل خاص ذلك لأنهما من النجوم المنحصرة المطالع الظاهرة السمت[3] الثابتة في المكان[4] .

وقد قال بعض المفسرين أن المراد بالنجم هنا هو النجم القطبي لأن الله أفرده فقال :

"وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ " النحل (١٦)

لأنه نجم واحد ظاهر وثابت في مكانه[5] . وان كان ذلك لايمنع أن يكون تعالى ذكر النجم لأنه من جنس النجوم وهو سبحانه جاء به جمعا في آية أخرى بقوله :

"وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " الأنعام (٩٧)

---

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، ولد عام ٢٢٤هـ . مؤرخ ومفسر استوطن في بغداد وتوفي بها وعرض عليه القضاء فامتنع . من مؤلفاته جامع البيان في تفسير القرآن (في ثلاثين جزء)، اختلاف الفقهاء وغيرها . وهو من ثقات المؤرخين وفي تفسيره مايدل على علم غزير وكان مجتهدا في أحكام الدين لايقلد أحدا ، توفي عام ٣١٠هـ .
من : الاعلام للزركلي (٦٩/٦) بتصرف يسير . (٢) تفسير الطبري (٦٣/١٤)

(٣) السمت : في اللغة الطريق الواضحة المعالم وهو اصطلاح فلكي يقصد به النقطة في السماء التي تقع عمودية على رأس الراصد أيا كان مكانه على سطح الأرض . القاموس الاسلامي ـ أحمد عطية الله (٤٨٩/٣) .

(٤) تفسير القرطبي (٩٢/١٠) .

(٥) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ـ د.عبد العليم خضر (ص ٨٣) بتصرف يسير .

ومع ذلك لايمكن معرفة الطريق عن طريقهما أو غيرهما من النجوم الا بعد معرفة دراسة علم الفلك ولو بشكل ميسر، ومعرفة مطالع النجوم ومغاربها، والفرق بين الجنوبي والشمالي منها، ومن ذلك نجم الشعرى سواء منها اليمانية أو الشامية التي أقسم الله بها نظرا لعظم فوائدها حيث قال : "وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى" النجم (٤٩)

ذلك لأنها من ألمع نجوم السماء تقريبا، وأعلى النجوم المرئية، وترى نجم الشعرى اليمانية جنوبي خط الاستواء بمقدار (١٨) ° تقريبا أي: أنها تشرق في الجنوب الشرقي قريبا من اليمن، بينما نجم الشعرى الشامية الواقعة تقريبا في الشمال الغربي في اتجاه بلاد الشام، ومن ثم فقد ساعد هذان النجمان تجار البر والبحر والمسافرين في رحلاتهم لتحديد مسالكهم وقبلتهم واتجاهاتهم، وخاصة في رحلتي الشتاء والصيف[(١)] يشير الى ذلك قوله تعالى :

"لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ" قريش (١- ٢)

وكذلك مجموعة النجوم المكونة لبروج السماء يمكن أن تكون للهداية ولمعرفة المكان، فهناك مثلا بروج[(٢)] تظهر في نصف الكرة الشمالي مثل الجبار[(٣)] وكوكبة الدجاجة[(٤)] وغيرهما . (انظر الملحق رقم ٤، ٥)

---

(١) ظواهر جغرافية في ضوء القرآن - ابراهيم النصيرات (ص ٧١) بتصرف .

(٢) البروج : جمع برج بمعنى حصن وهي من المصطلحات الفلكية ومن منازل الشمس المختلفة، وعدتها اثنا عشر برجا . القاموس الاسلامي (٢٩٧/١) . وقيل أن البروج هي منازل النجوم والكواكب (تفسير الشوكاني)

(٣) الجبار : اسم يطلق على احدى مجموعات الكواكب الاثنتي عشرة وتتألف من (٣٨) نجما . القاموس الاسلامي (٥٧٢/١) .

(٤) كوكبة الدجاجة : اسم يطلق في كتب الفلك على نجم في صورة دجاجة كان من النجوم المختفية ثم أصبح منظورا لذا يعتبر من النجوم الجديدة . القاموس الاسلامي (٣٤٨/٢) .

وفى النصف الجنوبى تقريبا نجد صيد الجبار وغيرها[1] . قال الشيخ طنطاوى جوهرى[2] مالخصه : سبحان خالق كل شئ ومسخره أوجد هذه النجوم لهداية الانسان الى مكانه برا وبحرا،ولمعرفة القبلة واتجاهه نحو مكة المكرمة لأداء العبادة وغيرها من البلدان لمعرفة مساره واتجاهه تحقيقا لأغراضه المختلفة مما لايستغنى عنه الناس كل ذلك على الرغم من تحرك هذه النجوم فى فلكها سواء منها مايسمى بالثوابت أو السيارات التى ان غفل عنها المسافر ثانية ضاع وتاه فى الطريق[3] .

وفى كل ذلك دلالة على عظمة الخالق ووحدانيته .

"الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا" الفرقان (٢)

سبحانه الذى علم الانسان مالم يعلم . علمه كيفية الاهتداء بالنجوم لمعرفة المكان . كذلك علمه كيفية الاهتداء بالنجوم لتحديد الوقت والزمن ليلا واتخاذها كساعة سماوية . ذلك لأن النجوم توجد فى منطقة القطب تدور وترجع الى مكانها مرة كل أربع وعشرين ساعة

---

(١) القرآن والعلم ـ د. محمد جمال الدين الفندى (ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤) بتصرف يسير .

(٢) هو طنطاوى جوهرى المصرى ،ولد سنة ١٢٨٧هـ فاضل له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة . ولد فى قرية عوض الله حجازى من قرى الشرقية بمصر وتعلم فى الأزهر مدة ،ثم فى المدرسة الحكومية ،عنى بدراسة الانجليزية ومارس التعليم فى بعض المدارس الابتدائية ثم فى مدرسة دار العلوم ،صنف كتبا أشهرها الجواهر فى تفسير القرآن الكريم نحا فيه منحى خاصا ابتعد فى أكثره عن معنى التفسير وأغرق فى سرد أقاصيص وفنون عصرية وأساطير . وجعل لسائر كتبه عناوين ضخاما ،وأكثرها رسائل . توفى بالقاهرة سنة ١٣٥٨هـ .
من : الاعلام (٢٣٠/٣) .

(٣) تفسير الجواهر (٢١٣/٢٣) بتصرف .

ومجموعة نجوم (الدب الأصغر والأكبر)[1][2] لاتغرب أبدا،لذا يمكن ايجاد ساعة سماوية مركزها النجم القطبي،وعقرب هذه الساعة هما النجمان مراقة والدبة اللذان يشيران الى النجم القطبي . وهذه النجوم تمر فوق رؤوسنا أربعا وعشرين ساعة دون انقطاع وان لم نتمكن من رؤيتها نهارا بوضوح ،بينما يمكن رؤيتها بوضوح ليلا مما يسهل على كل ممارس لعلم الفلك كالبحارة ورجال القوافل الصحراوية وغيرهم[3] .

كما يمكن معرفة وقت الفجر والصبح عن طريق مجموعة نجوم تسمى (الثريا)[4]،أو نجمة الفجر كما يطلق عليها أهل القرى،وهي عبارة عن مجموعة محددة من النجوم تظهر في السماء بشكل واضح وقبيل الفجر بساعات قليلة ،ومن ثم فهي أظهر النجوم للرائي،ولما لها من العلامة، بحيث لاتلتبس بغيرها حتى عبدها البعض[5] .

وقال ابن عباس[6]

---

(١) الدب الأصغر أو بنات نعش الصغرى ،وهي أقرب الكواكب للقطب الشمالي تتكون من (٢٤) نجما على صورة دب صغير قائم الذنب . وفي طرف ذنبه نجم كبير لامع يعرف بالنجمة القطبية من القاموس الاسلامي(٢/٣٤٥).

(٢) الدب الأكبر أو بنات نعش الكبرى، وتتكون من (٨٧) نجما ظاهرا على هيئة مستطيل له ذنب . من القاموس الاسلامي (٢/٣٤٥) .

(٣) ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم – ابراهيم النصيرات (ص ٦٩ – ٧٠) بتصرف .

(٤) الثريا : هي سبعة نجوم ستة منها ظاهرة وواحد خفي فيمتحن الناس به أبصارهم . تفسير القرطبي (١٧/٨٢) .

(٥) تفسير الرازي (٢٨/٢٧٩) بتصرف .

(٦) ابن عباس (٣ ق . هـ – ٦٨هـ / ٦١٩ – ٦٨٧م)
هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ،حبر الأمة الصحابي الجليل . ولد بمكة ونشأ في بدء عصر الرسول ولازم الرسول صلى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث وكذا عن أبيه وأمه وغيرهم دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالحكمة مرتين وقال : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" قال ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . اختلفوا في وفاته قيل سنة (٦٩قيل٦٨هـ) في الطائف .
من : تهذيب التهذيب (٥/٢٧٦ – ٢٧٧) بتصرف ،الاعلام (٤/٩٥) بتصرف .

ومجاهد[1] : ان المراد من القسم فى قوله تعالى :

"وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ" النجم (١)

قال : بالثريا اذا سقطت مع الفجر[2] . وكذلك تمكن قدماء المصريين من تحديد فصل الصيف وذلك لظهورها من جهة المشرق فى أيام الصيف قبل شروق الشمس، ومن ثم يترتب على ذلك توقيت فيضان النيل الذى هو أهم حادث يحدث فى مصر سنويا ،وسموها النجم الكلبى، وأشاروا اليها فى آثارهم الفرعونية[3]، وعبروا عنها بلفظ توت[4]، وهى ذات أهمية كبيرة لدى قدماء المصريين فهى كذلك لدى العرب .

والله سبحانه وتعالى بين أن تلك النجوم من مخلوقاته سبحانه الذى سخرها لخدمة الانسان :

"وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ" الأعراف (٥٤)

ورتب على وجودها تلك النعم التى ذكرتها اضافة الى نعم أخرى كثيرة لم تذكر وبعضها لم تعرف بعد، لكن الله سبحانه أرشدنا وحثنا على البحث والتنقيب فى هذا العلم مما جعل المسلمين الأوائل يتعمقون فيه منذ القدم لادراك بعض أسرار وفوائد وجود النجوم والنعم المترتبة على وجودها .

وبقدرة الله وإرادته توصلوا الى معرفة بعضها

---

(١) هو مجاهد بن جبر ،أبو الحجاج المكى ،مولى بنى مخزوم ،تابعى مفسر من أهل مكة . روى عن على وسعد بن أبى وقاص والعبادلة الأربعة وغيرهم . وقال مجاهد : قرأت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف نزلت . اختلفوا فى سنة وفاته (١٠٠، أو ١٠٣ ، أو ١٠٤هـ) .

من : تهذيب التهذيب (٤٢/١٠ – ٤٣) بتصرف ،الاعلام (٢٧٨/٥) بتصرف .

(٢) تفسير القرطبى (٦٠/٣٠) بتصرف .

(٣) ظواهر جغرافية فى ضوء القرآن – ابراهيم النصيرات (ص ٧١) بتصرف .

(٤) تفسير الجواهر (١٠٦/٢٦) .

كما امكنهم مطابقتها بما فى القرآن الكريم .

يقول فى هذا الصدد الشيخ عبدالمجيد الزندانى [(١)] : " لقد ذخر القرآن الكريم والسنة المطهرة بأنباء الكون وأسراره ،وتفجرت فى عصرنا علوم الانسان باكتشافاته المتتالية فى آفاق الأرض والسماء . فحان الحين لرؤية حقائق العلم الذى نزل به الوحى فى القرآن والسنة" [(٢)] .

وبالتالى فان هذه العلوم سوف تؤكد الحقيقة التى قد ينكرها البعض من الملاحدة أو ينساها البعض الآخر ألا وهى وجود خالق ،فالكون بما فيه ومن فيه يدل على أن له الها واحدا خالقا له ومدبرا أموره دون شريك والا لما استمر هذا الانضباط وتلك الدقة فى الكون . يقول تعالى :

"لَو كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ "

الأنبياء (٢٢)

---

(١) الشيخ عبدالمجيد الزندانى : هو عبدالمجيد عزيز الزندانى ،من مواليد الجمهورية العربية اليمنية . تقلد عدة مناصب فيها .
يتواجد حاليا بالمملكة العربية السعودية حيث عين أمينا لهيئة الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة ،وهو أحد الرواد المعاصرين فى مجال الاعجاز العلمى . اشترك فى عدة مؤتمرات علمية دولية ومحلية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها،منها المؤتمر الطبى الثامن فى الرياض ،والمؤتمر الطبى الاسلامى الدولى الأول عن الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم الذى أقيم فى القاهرة عام ١٤٠٦هـ ومعدا للمؤتمر العالمى الأول للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بالاشتراك مع الجامعة الاسلامية العالمية فى اسلام آباد ورابطة العالم الاسلامى الذى عقد فى شهر صفر عام ١٤٠٨هـ فى باكستان .

(٢) المعجزة العلمية فى القرآن والسنة ـ الشيخ عبدالمجيد الزندانى (ص ١٥) . سفير للدعاية والاعلان . شارع المهندسين ـ مصر .


الفصل الرابع

اختلاف الليل والنهار

وفيه :

معرفة عدد السنين والحساب - جعله عز وجل الليل لباسا ، والنهار معاشا وفائدة ذلك - الليل والنهار ضروريان أيضا للنبات .. آثار ذلك ودلالته في توحيد الخالق عز وجل شواهد ذلك من الآيات .

الفصل الرابع

اختلاف الليل والنهار

وفيه معرفة عدد السنين والحساب ـ جعله عز وجل الليل لباسا والنهار معاشا وفائدة ذلك ـ الليل والنهار ضروريان أيضا للنبات آثار ذلك ودلالته على توحيد الخالق عز وجل ـ شواهد ذلك من الآيات

الليل فى اللغة :

ليل : اللام والياء واللام كلمة وهى الليل : خلاف النهار يقال ليلة وليلات .(١) وفى الصحاح الليل واحد بمعنى جمع وواحدته ليلة مثل تمرة وتمر ،وقد جمع على ليال فزادوا فيها الياء على غير قياس . وتصغيرها لييلية . وليل أليل : شديد الظلمة .(٢) وفى اللسان الليل : عقيب النهار ومبدؤه من غروب الشمس . الليل ضد النهار . والليل : الذكر والأنثى جميعا من الحبارى ويقال : هو فرخهما .(٣)

النهار فى اللغة :

النون والهاء والراء أصل صحيح يدل على تفتح شئ أو فتحه . ومنه النهار وهو انفتاح الظلمة عن الضياء مابين طلوع الفجر الى غروب الشمس(٤) ويقولون : ان النهار يجمع على نهر .

---

(١) مقاييس اللغة (٢٢٥/٥) .

(٢) الصحاح (١٨١٥/٥) .

(٣) لسان العرب (٦٠٧/١١ ـ ٦٠٨) .

(٤) مقاييس اللغة (٣٦٢/٥) .

وفى الصحاح : النهار : ضد الليل فان جمع قلت فى قليلة نهر (١)

وفى اللسان : النهار : ضياء مابين طلوع الفجر الى غروب الشمس ،وقيل من طلوع الشمس الى غروبها وقال بعضهم انتشار ضوء البصر واجتماعه . (٢)

وقد ورد ذكرهما فى سورة النحل مرة واحدة فى قوله تعالى :

"وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (١٢)

فالليل والنهار مظهران من مظاهر التدبر فى الخلق، ومن ظواهر النعمة على البشر لأنهما مما يلبيان حاجة الانسان فى الأرض، وقد سخرتا لمنفعته، ولهما أثر حاسم فى حياة المخلوقات من انسان وحيوان ونبات، وبدون تعاقبهما لاتستقيم الحياة على الأرض . (٣) فبحلول الليل يكون السكون والهدوء والنوم والراحة، وفى النهار يكون العمل والحركة وكسب الرزق . (٤)

وهذا التعاقب بهذه الدقة لابد أن يكون بحكمة الله تعالى وتقديره وتكوينه . وفى هذا اعتراف بأن كل مخلوق فى الأرض أو السماء أو بينهما بقدرة الله وحده لاشريك له . (٥)

وان من عظيم نعم الله التى يعرفها كل عاقل متفكر فى آياته القرآنية والكونية نعمتى "الليل والنهار" هاتان النعمتان اللتان يذكرهما الله سبحانه وتعالى كثيرا فى كتابه الكريم مقترنتين ليدرك الانسان مدى عظيم ابداع الله فى خلقهما، ودقة صنعهما، وانتظام سيرهما المستمر الى أن يشاء الله، وتسخيرهما لخدمة الأحياء فى الأرض، ومن ذلك قوله تعالى :

"وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ

---

(١) الصحاح (٨٣٩/٢) .
(٢) لسان العرب (٢٣٨/٥) .
(٣) تفسير الظلال (٤٩/١٤) بتصرف .
(٤) التفسير الواضح (٣٣/١٤) بتصرف .
(٥) تفسير الرازى (٢/٢٠) بتصرف .

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " . النحل (١٢)

فهاتان النعمتان مخلوقتان لما فيه مصلحة الأحياء، ومنهم البشر على حسب ماتقتضيه مصالحهم وتستدعيه حاجاتهم فى كون النهار لخدمتهم فى معاشهم وتصرفاتهم، والليل للنوم والسكون والراحة، وهما فى ذلك كله يتعاقبان دون كلل أو ملل .

ويمكننا أن نستعرض فى هذا البحث بعضا من تسخيرهما لخدمة الأحياء بشكل عام، والانسان بشكل خاص، والنعم المترتبة على وجودهما، ومافى ذلك من دلالة على وجود الخالق سبحانه ووحدانيته ، ومطابقة الحقائق العلمية الحديثة لما جاء فى الآيات الكونية فى القرآن الكريم من أربعة عشر قرنا من الزمان تقريبا .

ومن هذه النعم والفوائد :

(١) معرفة عدد السنين والحساب بسبب تعاقب الليل والنهار :

وذلك عن طريق معرفة عدد الأيام . يقول الراغب الأصفهانى فى مفرداته (١) : اليوم : يعبر به عن وقت طلوع الشمس الى غروبها، وقد يعبر به عن مدة من الزمان .

وقيل : انه مقدار الزمن من غروب الشمس الى غروبها التالى، ويشمل الليل والنهار ويقدر بأربع وعشرين ساعة تقريبا، وهو المقصود من بحثنا (٢) .

وزمان النهار عبارة عن مدة كون الشمس من بداية ظهور أشعة الشمس فوق سطح الأرض، وزمان الليل عبارة عن كونها تحت الأرض (٣) أى: محجوبة عنها الشمس فى تلك المنطقة من الأرض بسبب دوران الأرض حول نفسها فتكون

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى كتاب الياء (ص ٥٥٣) .
(٢) التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن ـ حفنى أحمد (ص ١٢٧) .
(٣) تفسير الرازى (١٣١/٥) .

فى الجزء الآخر من الأرض . فالليل يعقب النهار، وهو من مغرب الشمس الى طلوعها (١) . يتضح ذلك من خلال الأحكام الشرعية فى الاسلام - مثل وقت الامساك والافطار لدى الصائم - فيكون النهار من أول وقت طلوع الفجر الى غروب الشمس كما فى قوله تعالى :

"... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ...الآية" البقرة (١٨٧)

ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم " (٢) .

اذا تعاقب الليل والنهار فى المنطقة الواحدة وخلال أربع وعشرين ساعة تقريبا دليل على تمام اليوم فيها، وبالتالى نكون قد تعرفنا على عدد الأيام . قال تعالى :

"وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا " الاسراء (١٢)

وعن طريق معرفة الأيام يمكن معرفة عدد الشهور .

وقد ذكرت كيفية معرفة الشهور القمرية فى الفصل الثانى من الباب الأول وقلنا : ان الشهر القمرى ما بين ٢٩ - ٣٠ يوما ومن ذلك أيضا يمكن معرفة عدد السنين سواء كانت السنة شمسية أو قمرية، لتعاقب طلوع الشمس بالنهار، والقمر بالليل (٣) . والسنة القمرية - العربية - اثنا عشر شهرا . كما ذكر ذلك الله سبحانه وتعالى بقوله :

"إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ.." التوبة (٣٦)

---

(١) المعجم الوسيط (٨٥٧/٢) .
(٢) صحيح البخارى - كتاب الصوم، باب ٤٣ (متى يحل فطر الصائم) (٢٤٠/٢) .
(٣) تفسير الطبرى (٣٨/١٥) بتصرف .

وبهذا التعاقب يمكن معرفة عدد السنين الشمسية أيضا .

وتختلف الشهور بعض الشيء تبعا للتقويمين القمرى والشمسى، وبذلك يزيد عدد أيام السنة الشمسية عن السنة القمرية بنحو أحد عشر يوما (١) .

والقرآن الكريم معجز بكل حرف وكلمة فيه، وقد نزلت آياته لحكم وأغراض محددة، وعندما ذكر سبحانه قوله عدد السنين والحساب في سورة الاسراء : "وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً" (١٢) كان ذلك لحكمة أرادها الله وهى دفع الانسان الى التفكر فى معرفة الفرق بين عدد السنين والحساب، ولماذا قدم كلمة عدد السنين على كلمة الحساب ؟

والاجابة على هذا السؤال أجملها فيما يلى :

ان العدد علم اجمالى لأنه يحصى ماله كمية بتكرير أمثاله من غير أن يتحصل منه شيء مثل السنة القمرية ان وقع النظر اليها من حيث عدد أيامها (أربع وخمسون وثلاثمائة يوم وثلث) $\frac{1}{3}$ ٣٥٤ يوم ،فذلك هو العدد .

أما الحساب فهو علم تفصيلى لأنه يحصى ماله كمية منفصلة بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها واحد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل . فالسنة مثلا من حيث تحققها وتحصلها من عدة أشهر قد يحصل كل شهر من عدة أيام وهكذا وبالتالى يمكن أن يكون العدد نازلا من الحساب منزلة البسيط من المركب . وقيل ان العدد يعتبر أقصى المراتب فكان جديرا بتقديمه فى مقام الامتنان ،لذا كان العدد خاصا بالسنين بينما الحساب لما دون السنين وهى الشهور والأيام والساعات (٢) .

---

(١) الله والكون ــ د. محمد جمال الدين الفندى (ص ٣٤٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م .

(٢) تفسير الشوكانى (٢١٣/٣) بتصرف ،تفسير الرازى (١٦٧/٢٠) بتصرف ، تفسير الألوسى (٣٠/١٥ ــ ٣١) بتصرف .

وفى معجم الوسيط نرى أن الحساب هو العدد ولكن الحساب يقوم على التدقيق والنظر فى حقيقة مايحسب والعدد يقوم على المشاهدة وحدها (١) .

وقيل أيضا أن العدد فى الحساب يشير الى تعداد (أو مجموع) بضعة أشياء أو الى مواقعها فى قائمة مرتبة ،ويطلق على الأعداد المستعملة فى قائمة مرتبة اسم (أعداد ترتيبية) (٢) .

وأما الحساب فهو أبسط فروع الرياضة وأقدمها وهو يشمل دراسة نظرية الأعداد التى تسمى بالحساب العملى أو الابتدائى كما يشمل دراسة نظرية الأعداد التى تسمى بالحساب النظرى أو العالى . وكلتا الحالتين تهتمان بالأعداد أو الكميات العددية وخصائصها المتصلة بالعمليات الأربع الأساسية فى الحساب (الجمع والطرح والضرب والقسمة) (٣) .

وأيا كان الأمر فان الآية الكريمة قد اشتملت على ألفاظ ذات اعجاز لغوى وعقلى حيرت العلماء قديما وحديثا فى المراد من قوله (العدد والحساب) . وهذا أدى الى تحريك العقل واثارته والتفكر بدل الخمول وفى كل ذلك دلالة على عظمة القرآن الكريم وأنه كلام الله سبحانه موجد الليل والنهار لفوائد كثيرة ،ومنها معرفة عدد السنين والشهور والأيام لأننا لو تخيلنا أن الزمان كله نسق واحد فكان كله ليلا أو نهارا لما عرفنا شيئا من ذلك كما هو الحال فى البلاد الواقعة فى القطب الشمالى حيث استمرار النهار فيها لما يقرب من ستة أشهر متواصلة

وبالتالى لم تعرف الأوقات ومنها أوقات الصلاة والصيام والحج وأوقات السكن والراحة ومتى يبذرون الزرع .

---

(١) المعجم الوسيط (١٧١/١) .

(٢) الموسوعة العربية الميسرة (١١٩٠/٢) تحت اشراف لجنة من العلماء والباحثين العرب برئاسة الأستاذ محمد شفيق غربال . دار نهضة لبنان بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٣) المرجع السابق (٧١٦/١) .

وكذلك الليل لو استمر مدة طويلة أو مدى الدهر كله لأدى ذلك الى فساد الكون، ولما عاشت الحيوانات والنباتات، ولخمدت الحركة، ومات كل من فى الأرض . وفى ذلك يقول الدكتور محمد جمال الدين الفندى[1] : (لولا تعاقب الليل والنهار لانعدمت الحياة على الأرض، وأصبح نصفها المواجه للشمس مستعرا من الحرارة ، ونصفها الآخر متجمدا من البرودة)[2] .

وبالتالى لما عمرت الأرض، ولم يعرف الحساب وعدد الأيام والشهور والسنين .

ولهذا كله وجب علينا الشكر الدائم لله عز وجل فهو سبحانه المستحق للشكر ، قال تعالى : "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" . القصص (٧١-٧٣)

والتالى للقرآن الكريم والمتدبر فى معانيه يلاحظ ارتباط كلمتى الليل والنهار بكلمة اختلاف فى مواضع كثيرة منها ماورد فى سورة البقرة فى قوله تعالى : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" . البقرة (١٦٤)

يقول الراغب : والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر فى حاله أو قوله[3] . وعلى ذلك فالمراد بالاختلاف فى الليل والنهار

---

(١) د. محمد جمال الدين الفندى : أستاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة حصل على جائزة الدولة فى العلوم عام ١٩٥٠م له بحوث كثيرة ومؤلفات عديدة فى موضوع العلوم المبسطة . ترجم عدة كتب لمؤسسة فرانكلين مثل كتاب الله يتجلى فى عصر العلم .
من كتاب الله يتجلى فى عصر العلم (ص و) فى المقدمة .

(٢) هامش القرآن والعلم ـ د. محمد جمال الدين الفندى (ص ٢٨٢) . دار المعرفة ـ القاهرة ـ ط الأولى ١٩٦٨م .

(٣) المفردات فى غريب القرآن (ص ١٥٦) كتاب الخاء .

أى:فى زمن بقاء كل منهما فى الطول والقصر،والنور والظلمة،والزيادة والنقصان، فقد يطول النهار تارة وينقص زمن الليل خلال الأربع وعشرين ساعة،وقد يكون العكس،وقد يتساويان فى ذلك حسب اختلاف فصول السنة، فيطول النهار صيفا بعكس فصل الشتاء وهكذا ...(١)

وفى ذلك دلالة على قدرة الصانع الحكيم ،وكما يكون اختلاف الليل والنهار فى الزمن يكون أيضا فى المكان ،ذلك أن الأرض كروية،ولو حددنا ساعة سنجدها فى منطقة صبحا،وفى أخرى ظهرا حسب اختلاف البلاد ومواقعها . قال تعالى :

"ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ" الحج (٦١)

وفى ذلك كله أكبر دليل على وجود الخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته كما يتضح ذلك من سبب نزول الآية التى ذكرت ثمانى آيات كونية ومنها الليل والنهار فى سورة البقرة :

"وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ" البقرة (١٦٣)

قال المشركون : ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليأتنا بآية ان كان صادقا فأنزل الله تعالى :

"إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ .....الآية"

وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع،ورده الى التفكر فى آياته،والنظر فى عجائب مخلوقاته،واتقان أفعاله ،ففى ذلك دليل على وحدانيته ،اذ لو كان فى الوجود صانعان لهذه الأفعال لاستحال اتفاقهما على أمر واحد،ولامتنع فى أفعالهما التساوى فى صفة الكمال،فثبت بذلك أن خالق هذا العالم والمدبر له اله واحد .(٢)

ولايخفى أن من فوائد تعاقب الليل والنهار :

---

(١) تفسير الرازى (٢١٤/٤ – ٢١٥) بتصرف .

(٢) انظر تفسير الخازن (١٣٤/١) .

(٢) جعل الليل لباسا والنهار معاشا :

وهذا لون من ألوان تسخير الليل والنهار لخدمة الانسان والتى قد نسيها البعض نظرا لطول الألفة ،لكن الله سبحانه وتعالى يذكرهم بها بقوله :

"وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" النحل (١٢)

فهما ليستا مجرد ظاهرتين طبيعيتين مكررتين لكنهما مخلوقتان من مخلوقاته سبحانه يسيران ويتحركان بارادة خالقهما لخدمة الأحياء ومنهم البشر وهما بذلك مطيعان له ،ومنفذان أوامره (١) ،ومن ذلك جعل النهار للمعاش والعمل والليل للنوم والراحة والسكون كما يقول سبحانه :

"هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" يونس (٦٧)

وقوله : "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا" الفرقان(٤٧)

وبالتالى فالنهار للسعى والكسب وقضاء مايحتاجه الانسان لتعمير الأرض ،لذا فقد جعل الله تعالى النهار مبصرا بالضوء الذى يكشف كل شئ للأبصار . ذلك لأن غالب تحصيل الرزق والعمل وغيرها من قضاء الحوائج للانسان يكون نهارا (٢) كما يقول سبحانه :

"وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ...الآية" الاسراء (١٢)

يقول الشوكانى فى قوله تعالى : " وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً" أى جعل سبحانه شمسه مضيئة تبصر بها الأشياء ذلك أن الضوء يساعد على

---

(١) تفسير الظلال (١٨٨/٨) بتصرف .

(٢) المرجع السابق (١٩/١٥) بتصرف يسير .

ابصار ورؤية الأشياء (١) .

وبالتالي يتمكن الناس من التصرف والانتشار والتحرك لطلب العيش وابتغاء فضل الله ورزقه عن طريق الذهاب والمجيء والسفر بعد أن يكونوا قد أخذوا قسطا من الراحة والنوم ليلا كما يقول سبحانه : " وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا " النبأ (١١) لاسيما ان كان طلب المعاش في الصباح الباكر لما يتحقق فيه من البركة ،يشير الى ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم : " اللهم بارك لأمتي في بكورها" (٢) وكان اذا بعث سرية أو جيشا بعثهم أول النهار ،وكان صخر (٣) رجلا تاجرا وكان اذا بعث تجارة بعثهم أول النهار فأثرى وكثر ماله" .

والواقع يثبت كل ذلك فالذي يستيقظ مبكرا ويذهب الى عمله يشعر بالنشاط والبركة طيلة اليوم بعكس من يتأخر في الاستيقاظ . وقد اكتشف العلماء حديثا فائدة صحية من هذا الأمر حيث ان الذاهب الى عمله مبكرا يتعرض لأشعة الشمس مثلا في الطريق،ولايخفى أن الجلد يشكل بوجود الأشعة فوق البنفسجية فيتامين (د) الذي يكسب الجسم حيوية ونشاطا وتقوى

---

(١) تفسير الشوكاني (٣/٢١٢) بتصرف يسير .

(٢) سنن الترمذي (ج٣) كتاب البيوع باب ٦ (ماجاء في التبكير بالتجارة) (ص ٥١٧) ورواه ابن ماجه بسند حسن في سننه في كتاب التجارات باب ٤١ (مايرجى من البركة والبكور) (ص ٧٥٢) ،وأخرجه أبو داود في الجهاد باب ٨٥ (في الابتكار في السفر) (ص ٧٩) ،والنسائي في السير الكبرى باب ١٥٦،كما في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ المزي يوسف بن عبدالرحمن المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ (٤/١٦٠ -١٦١) المكتب الاسلامي - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م . رواه صخر الغامدي عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) صخر هو : صخر بن وداعة وقال ابن حبان صخر بن وديعة ويقال ابن وداعة الغامدي نسبة الى غامد سكن الطائف روى حديثه أصحاب السنن وأحمد وصححه ابن خزيمة وغيرهم وليس له سوى هذا الحديث المذكور (اللهم بارك لأمتي في بكورها) وقيل ان الطبراني أخرج له حديثا آخر متنه لاتسبوا الأموات ،وقال أبو الفتح الأزدي وابن السكن لم =

العظام ،كما أن هذه الأشعة علاج مطهر من الجراثيم العالقة بجسم الانسان[1]، وقيل أيضا: ان أعلى نسبة لغاز الأوزون(O_3)[2] فى الجو عند الفجر، وتقل تدريجيا حتى تضمحل عند طلوع الشمس، ولهذا الغاز تأثير مفيد للجهاز العصبى، ومنشط للعمل الفكرى والعضلى، فيجعل ذروة نشاط الانسان الفكرى والعضلى فى الصباح الباكر . وثبت علميا أن أعلى نسبة للكورتزون[3] فى الدم هى وقت الصباح، وهذه المادة تعمل على زيادة فعاليات الجسم، وتنشط استقلاباته بشكل عام، وتزيد نسبة السكر فى الدم الذى يزود الجسم بالطاقة اللازمة له[4] .

والأصل فى الليل الراحة والسكون والنوم كما قال تعالى : " وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا " النبأ (١٠) .

= يرو عنه الاعمارة بن حديد .
الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى ، الجزء الثالث ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت . مصور من الطبعة المصرية المأخوذة من طبعة كلكتا سنة ١٨٥٣م .

(١) مع الطب فى القرآن ، د. عبدالحميد دياب ، د. أحمد قرقوز (ص ١٠٦) بتصرف .

(٢) غاز عديم اللون غير ثابت ، له رائحة قوية مستحبة ينتج بفعل الأشعة فوق البنفسجية وانبعاثات النشاط الاشعاعى على الأكسجين . ويستخدم فى تنقية الماء والهواء . موسوعة الثقافة العلمية ، دار الكتاب الجديد (ص ٥٥) .

(٣) كورتيزون : هرمون تفرزه قشرة الغدة الكظرية وتم تخليقه صناعيا ويستخدم بدرجات متفاوتة من النجاح فى علاج التهاب المفاصل الروماتيزمى . موسوعة الثقافة العلمية ، دار الكتاب الجديد (ص ٣٠٤) .

(٤) مع الطب فى القرآن الكريم ، د. عبدالحميد دياب ، د. أحمد قرقوز (ص ١٠٦ ـ ١٠٩) بتصرف .

قال سعيد بن جبير[1] والسدى[2] أى سكنا لكم[3] . فهو لباس لما فيه من سكون الجسم بالراحة من تعب العمل بالنهار، وسكون للنفس بهدوء الخواطر والأفكار، والليل زمن هذا السكون لما يحصل فيه من تلطيف للجو بعد غياب الشمس بحرارتها، وطلوع القمر بنوره الخافت، وتنقطع الحركة، ويسكن الدبيب، وينام الجميع من بشر وكثير من الطيور والحيوانات والهوام[4]، كل تلك الظروف تجعل الانسان ينام هادئا وكأنه قد غطى بغطاء مريح يساعده على النوم بسعادة وهناء، وكأن هذا الليل لباس له حيث يغطيه بظلمته[5] .

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام الأسدى روى عن ابن عباس وابن الزبير وغيرهما قال ابن حبان فى الثقات انه كان فقيها عابدا فاضلا ورعا وكان يكتب لعبد الله بن عتبة بن مسعود حيث كان على قضاء الكوفة . ثم كتب لأبى برده بن أبى موسى ثم خرج مع ابن الأشعث فى جملة القراء فلما هزم ابن الأشعث هرب سعيد بن جبير الى مكة فأخذه خالد القسرى بعد مدة وبعث به الى الحجاج فقتله الحجاج سنة ٩٥هـ وهو ابن ٤٩ سنة . وقيل انه قتل آخر سنة ٩٤هـ .
من تهذيب التهذيب للامام ابن حجر العسقلانى (١١/٤ - ١٤) بتصرف بسيط .

(٢) السدى : قال فى التقريب السدى بضم المهملة وتشديد الدال نسبة الى سده مسجده بالكوفة .
وهو اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدى أبو محمد القرشى مولاهم الكوفى الأعور وهو السدى الكبير كان يتعبد فى سدة باب الجامع فسمى السدى وروى عن أنس وابن عباس وغيرهما .
قال ابن القطان لابأس به ماسمعت أحدا يذكره الا بخير وماتركه أحد وقال خليفة مات سنة ١٢٧هـ .
من تهذيب التهذيب (٣١٣/١ - ٣١٤) بتصرف بسيط .

(٣) انظر تفسير الشوكانى (٣٦٤/٥) .

(٤) تفسير الظلال (٤٤/١٩) بتصرف يسير .

(٥) تفسير الرازى (٦/٣١) بتصرف .

والنوم ضرورة من ضرورات الحياة لأنه لايمكن للكائن الحى أن يظل مستيقظا الا لفترة محدودة، ولو أجبر بوسائل خارجة عن ذاته ليظل مستيقظا فانه سيهلك لأن فى النوم راحة لجسد الانسان وذهنه وأعصابه لفترة من صداع الحياة حيث يلقى كل مالديه طائعا أوغير طائع مستسلما للأمن والسلام فى النوم (١) .

والملاحظ أنه سبحانه وتعالى ربط موعد النوم بالليل فى كثير من آياته - للأسباب التى ذكرتها سابقا - كما أن العلم الحديث يكشف أمرا آخر فى تحديد موعد النوم ليلا حيث توصلوا الى أن جسم الانسان ينال من النوم ليلا راحة وفوائد عظيمة أضعاف ماينالة النوم نهارا.

كما كشف علماء الطب حديثا أن الغدة الصنوبرية (٢) فى الدماغ تقوم بافراز مادة الميلانونين (٣) ويزداد افراز هذه المادة فى الظلام ،بينما يثبط الضوء افرازها، وقد وجد أن للميلانونين تأثيرا مباشرا على النوم (٤) .

ومع ذلك فليس هناك مانع من النوم نهارا - ظهرا - فى ساعات قليلة كنوم القيلولة (٥) فان لها فائدة أيضا حيث يقول سبحانه :

"وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ " الروم (٢٣)

---

(١) تفسير الظلال (١٤/٣٠) بتصرف .

(٢) الغدة الصنوبرية : عضو يشبه حبة الصنوبر،يوجد على ظهر الجذع الدماغى من أعلى . ويخفيه فصا المخ عن السطح . من الموسوعة العربية الميسرة (١٢٥٢/٢) .

(٣) الميلانونين : هرمون تفرزه الغدة الصنوبرية ،يعمل على التخفيف من اسمرار البشرة ،كتاب علم الأحياء مقرر ثالث ثانوى علمى (ص ١٨٩) ، وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية ، ١٤٠٢هـ .

(٤) انظر تفسير الألوسى (٣٢/٢١) .

(٥) القيلولة : الاستراحة نصف النهار . من حاشية سنن ابن ماجه (٤٥٠/١) وقيل نومة نصف النهار . المعجم الوسيط (٧٧٦/٢) باب القاف .

ومن فوائدها أن تخفض ضغط الدم حوالى ١٥ ـ ٣٠ ملليمتر،وترفع عن القلب بعض الحمل والمتاعب كما وأن الاغفاء قبل القيام بأى مجهود بدنى أو عقلى أو بعده له فوائد بالنسبة للانتاج العضلى والذهنى وللحالة الصحية عامة ... لذا ينصح مدير التربية البدنية فى جامعة بيبل تلاميذه بقوله : " عليك فى الظهر بسنة من النوم"(1) ،وقيل أن نوم ساعة نهارا مضافا الى ست ساعات ليلا بحيث تكون سبع ساعات أفضل من نوم ثمانى ساعات ليلا بشكل متواصل(2) . ولذا يستحب أن ينام الانسان بعض الوقت بالنهار ليستعين بذلك على قيام الليل ،لذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " استعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل"(3) .

فسبحانه جلت قدرته من رحمته بعباده أوجد لهم كل مافيه خير لهم وفائدة ومايكشفه علماء العصر ماهو الا غيض من فيض من نعم الله الكثيرة التى لاتعد ولاتحصى . وصدق سبحانه حيث يقول : " وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ الا قَلِيلاً" . الاسراء (٨٥)

ومن العلوم القليلة التى تتعلق بأسرار النعم المترتبة على تعاقب الليل والنهار ما اكتشفه العلم حديثا وهو :

(٣) علاقة الليل والنهار باستمرار حياة النبات :

فلا شكأن لتعاقب الليل والنهار واختلافهما تأثيرا مباشرا على استمرار حياة النبات واختلاف أنواع النباتات حسب اختلاف الحرارة والبرودة ووجود أنواع معينة من النبات فى مناطق معينة من الكرة

---

(١) القرآن والعلم الحديث ،عبدالرزاق نوفل (ص ١٠٠) بتصرف يسير . دار الكتاب العربى ـ بيروت .

(٢) المرجع السابق (ص ١٠٠) .

(٣) سنن ابن ماجه (٤٥٠/١) كتاب الصوم باب ٢٢ (باب ماجاء فى السحور) وفى الزوائد للبصيرى أن فى اسناده زمعه بن صالح وهو ضعيف .

الأرضيـــة[1] .

هذه الحقيقة لم تكن معروفة وقت نزول القرآن الكريم، لكن تقـــدم البحث العلمي في العصور الحديثة كشف النقاب عن هذا الاعجاز العلمـــي الباهر للقرآن الكريم الذي تناول هذه الحقيقة قبل قرون طويلة مـــن وصول العلماء اليها، فأوراق النباتات الصغيرة والكبيرة تستفيد بشكـــل كبير من الطاقة المنبعثة من الشمس وذلك بسبب ماتحويه من مـــادة اليخضور (الكلوروفيل)، والقيام بعملية التمثيل أو البناء الضوئي حيـــث تعمل الطاقة التي يبثها اليخضور على دمج ثاني أكسيد الكربون والمـــاء[2] لتكون المواد العضوية (غذاء النباتات)، وينطلق الأكسجين[3]، وهـــذه العملية لاتتم الا نهارا . ولايخفى مالهذه العملية من أهمية كبيرة فـــي استمرار حياة الأحياء على وجه الأرض بسبب عملية التوازن الحاصل فـــي الهواء الجوي . فالانسان والحيوان يأخذان الأكسجين ويخرجان ثاني أكسيـــد الكربون في حين يحدث العكس بالنسبة للنبات في البناء الضوئي ومـــن ثم لاتنفذ كمية الأكسجين من الهواء الجوي وتستمر الحياة، ولو لم تحصـــل هذه العملية – وهي بارادة الله – لمات الانسان مثلا بعد خمس دقائق مـــن نفاذ الأكسجين من الهواء[4] . ولقد اكتشف أخيرا أن وجود ثاني أكسيـــد الكربون بمقادير صغيرة هو أيضا ضروري لمعظم حياة الحيوان، كما لوحـــظ أن النبات يستخدم بعض الأكسجين، فسبحان الذي بحكمته وتدبيره ينتظم مسار الكون، فسبحانه جعل الليل لباسا ليس فقط للانسان بل لكل الأحياء ومنهـــا

---

(١) تفسير الجواهر (١٩/٤٨) بتصرف .

(٢) تحتفظ النباتات بالكربون متحدا مع هيدروجين الماء الذي يستمـــده النبات من جذوره . من كتاب العلم يدعو للايمان، كريس موريس (ص ٧٢) .

(٣) نباتات في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، د. كمال الديـــن البتانوني (ص ٢٢) بتصرف يسير . ادارة احياء التراث الاسلامـــي ط الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

(٤) العلم يدعو للايمان، كريس موريسون (ص ٧٢) بتصرف .

النبات وجعل النهار معاشا حتى للنبات ومن ذلك اتمام عملية البناء الضوئى .

وقد أثبتت الملاحظات العلمية والمشاهدة أن الأوراق تنام ليلا ويظهر ذلك بوضوح فى وريقات الورقة المرتبة من نبات "الترمس" حيث تكون أفقية أثناء النهار، ولكنها متى أقبل الليل تنسدل شيئا فشيئا حتى تضم أوجهها السفلى بعضها الى بعض ثم تعود فى الصباح سيرتها الأولى وتسمى هذه الحركات بالحركات النعاسية (١) .

فهذا النوم للنبات سبب لاستمرار حياته ونموه وقيامه بالعمل، وقد ثبت أن نمو الزهرة - التى تنتج الثمرة - يحدث فى الليل عندما تأخذ قسطا من النوم والراحة، يثبت ذلك ماحدث فى اليابان حيث وضعت احدى الشركات اعلانا مضيئا لها فى وسط مزرعة أرز فلاحظ صاحب المزرعة أن أرزه يذبل ويموت بحيث لايؤتى محصولا كما كان سابقا، ورفع قضية على هذه الشركة مطالبا بالتعويض، وعندما أجريت البحوث للتأكد من صحة دعواه ثبت صدقه لأن هذا الاعلان المضىء أقلق راحة النبات ليلا فهى فترة راحته، وفيها تتكون أزهاره وتنمو (٢) .

فهل يمكن بعد هذا أن يكون تأثير الليل والنهار على النبات عشوائيا أم أن وراء كل ذلك مدبرا حكيما ؟

الاجابة على ذلك يدركها كل عاقل مفكر ان وراء ذلك خالقا مدبرا حكيما هو الله الذى لفت النظر الى نعمتى الليل والنهار، وأن الله هو الخالق والمدبر والرازق والمالك والمسيطر والمعبود، فلا تعقيدات فى طبيعة الألوهية، ولاغش فى قضية الاعتقاد، انه لااله الا الله فى الكون كله فى السموات والأرض وحده لاشريك له (٣) .

---

(١) تفسير الجواهر (٢٢٧/٢٠) .

(٢) دراسات قرآنية لمحمد قطب (ص ١٥٤ - ١٥٥) بتصرف يسير .

(٣) جاهلية القرن العشرين - محمد قطب (ص ٢٤٧) بتصرف يسير . دار الشروق ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .


الفصل الخامس

الطير

تسخيرها في جو السماء وحكمة ذلك - الانتفاع بها وفائدتها الاستفادة ببعضها في نقل الأخبار - دلالة ذلك على قدرة الله عز وجل وتوحيده .

الفصل الخامس

الطيـــــر

تسخيرها فى جو السماء وحكمة ذلك ـ الانتفاع بها وفائدتهـــا الاستفادة ببعضها فى نقل الأخبار ـ دلالة ذلك على قدرة اللـــه عز وجل وتوحيده .

الطير فى اللغة :

الطاء والياء والراء أصل واحد يدل على خفة الشئ فى الهـــواء ثم يستعار ذلك فى غيره وفى كل سرعة . من ذلك الطير، وجمع طائـــر سمى ذلك لما قلنا ؛ ويقال لكل من خف : قد طار ويقال : تطاير الشـــئ: تفـــرق[1] .

وفى الصحاح : الطائر جمعه طير وجمع الطير طيور وأطيار ، الطيـــر قد يقع على الواحدة والطير اسم من التطير[2] .

وفى اللسان : طير الطيران حركة ذى الجناح فى الهواء بجناحيـــه والطير : معروف اسم لجماعة مايطير ، مؤنث ، والواحد طائر ، والأنثـــى طائرة وهى قليلة[3] .

ولقد تناولت سورة النحل الطير فى موضع واحد فى قوله تعالى :

" أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ[4] مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " (٧٩)

(١) مقاييس اللغة (٣/٤٣٥ ـ ٤٣٦) .

(٢) الصحاح (٢/٧٢٧ ـ ٧٢٨) .

(٣) لسان العرب (٤/٥٠٨ ـ ٥٠٩) .

(٤) جو السماء : أى الهواء الذى بين السماء والأرض وأضيف الى السماء لارتفاعه ولأن الناظر اليها يراها فى جهة السماء .
من تفسير الألوسى (١٤/٢٠٣) بتصرف يسير .

وفيها يلفت الله عباده الى النظر الى تسخير الطير وامساكهـا فى جو الفضاء الواسع بين السماء والأرض وهو الهواء حال قبضها وبسطها لجناحيها أثناء طيرانها واصطفافهما فى الهواء [١] . بما زودها الله تعالى به من خصائص تساعدها على ذلك لخفة الأجنحة والأذناب وخفة الجسم [٢] . وبما جعل فى الهواء من خصائص تمكن الطير من اختراقه وبقائه معلقا دون أن يسقط على الرغم من ثقل جسم الطير مقارنا مع وزن الهواء [٣] .

والقلب المؤمن يدرك أن كل ذلك لم يكن حاصلا باختيار الطير أو أى مخلوق بل انه يقر بعد معاينة كل ذلك ببصره وحواسه بوجود الله وحده لاشريك له [٤] ،لاسيما وأنه سبحانه قد أضاف الامساك الى نفسه [٥] .

وختم سبحانه الآية بقوله :

"إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " النحل (٧٩)

فخص الآية بالمؤمنين لأنهم المنتفعون بها ،وان كانت هذه آيات لكل العقلاء [٦] .

عندما ينظر الانسان الى السماء نهارا يرى أن الله سبحانه وتعالى زينها بمناظر جميلة كالطيور التى تحلق فى الجو [٧] بقدرة الله ،لذا يقول الألوسى عند قوله تعالى : " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ" الملك (٥) انه سبحانه زين السماء الدنيا نهارا بطيور يطرن وحائمات

---

(١) تفسير الخازن (١٠٧/٤) بتصرف .

(٢) تفسير الألوسى (٢٠٣/١٤) بتصرف .

(٣) تفسير الرازى (٩٣/٢٠) بتصرف .

(٤) تفسير الطبرى (١٠٢/١٤) بتصرف .

(٥) تفسير الرازى (٩٣/٢٠) .

(٦) تفسير الرازى (٩٣/٢٠) .

(٧) ان الطيور وان اشتركت جميعها من حيث الشكل الا أنها تختلف فى النوع على اعتبار طبيعة البيئة التى تعيش فيها فبعضها مائى يقضى أكثر وقته فى الماء كالبط ولايمكنه الطيران لارتفاعات كبيرة ولمسافات طويلة ومثله أيضا الأرض كالدجاج أما الهوائى - وهو المقصود من بحثنا - فيقضى معظم وقته محلقا فى جو الفضاء أومتسلقا على غصون الأشجار . الجواهر فى تفسير القرآن (١٦٧/٣) بتصرف .

فيه تعطيها جمالا وبهاء .(١)

وفى ذلك زيادة لجمال منظر السماء وادخال الأنس والسعادة للانسان كما أنه مظهر من مظاهر تسخير الطير لخدمة الانسان وللدلالة على قدرة الله كما يقول سبحانه وتعالى فى سورة النحل :

"أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ"

فسبحانه يحث الانسان على النظر لرؤية الطير أثناء طيرانه ليست نظرة عابرة ولكن نظرة تأمل وتفكر وتعقل واعتبار خاصة وأن الكثيرين قد ألفوا رؤية الطيور وتحليقها فى جو السماء فذهبت روعة المنظر عنهم . فلم يدركوا مدى عظمة صنع الله من خلال تحليق الطيور فى جو السماء ،لذا حث الله عباده على النظر بتمعن وتفكر فى هذا المنظر فمن خلاله سيدرك الانسان عظيم صنع الله وقدرته وسينبهر ويسجد للخالق اجلالا وتعظيما ،فالذى أمسك بقدرة وعناية الأجرام فى السماء،أمسك أيضا الطير فى الهواء دون أن تقع على الأرض بالرغم من ثقل جسمها بالنسبة لوزن الهواء ،حيث لاشىء محسوس يمسكها ويعلقها فى الهواء ،ولادعامة من تحتها والمعروف أن الجسم الثقيل يمتنع أن يبقى فى الجو معلقا دون علاقة من فوقه أو دعامة من تحته .(٢) والأغرب من ذلك أن هذه الطيور قد ترتفع مئات الأمتار بل قد تطير وترتفع حتى تغيب عن النظر ولايعلم منتهاها الا الله سبحانه ،(٣) وتقوم أثناء طيرانها بحركات حيث تضم جناحيها وتضرب بها جنبها وقد تبسطها وقد تبقى مدة صافة جناحيها وفى كل الحالات ممسكها الله سبحانه " مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ" النحل (٧٩)

وكما يقول سبحانه فى سورة الملك : آية (١٩)

"أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ

---

(١) تفسير الألوسى (٩/٢٩) بتصرف .

(٢) تفسير الشوكانى (١٨٣/٣) بتصرف .

(٣) تفسير الألوسى (٢٠٣/١٤) بتصرف .

بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ" .

ولكن كيف أمسك الله تعالى الطيور محلقة فى جو السماء ؟

وللاجابة على هذا السؤال نقول : ان الله أوجد نواميس تعمل على امساك وتحليق الطير فى جو السماء فيقول سبحانه : " أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (٧٩)

فهى تطير ليس بمقتضى طبعها وارادتها بل بأمر من الله ،وهى طائعة له سبحانه ان أراد امساك أثقل الأشياء فى الهواء واستعلاءه الى العرش كان ذلك،وان أراد انزال ماهو أخف الى أسفل كان له ذلك (١) . ومن ذلك ماروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الطير تجرى بقدر وكان يعجبه الفأل الحسن " (٢) .

وقد هيأ الله الطير بمجموعة من المواصفات تمكنه من أداء وظيفة الطيران نجملها فيما يلى :

(١) جسم الطائر مغزلى الشكل،وهذا يساعده على الانسياب فى الهواء أثناء الطيران،ويقلل من مقاومة الهواء لاتجاه حركته .

(٢) خفة وزن الطير وذلك بسبب عظامه المجوفة،وهذه الخفة فى الوزن تساعد على حمله فى الهواء بسهولة،وتلائم وظيفة الطيران .

(٣) وجود الريش،وهذه الصفة خاصة بالطيور فقط فعندما يتخلل الهواء ريش الطائر يساعد على حمله،وريش الطيور قوى مثبت باحكام على جانبى الطير .

---

(١) تفسير الألوسى (٢١/٢٩) بتصرف يسير .

(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل (١٣٠/٦) المكتب الاسلامى - بيروت .
والحديث صحيح كما ذكره الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة - المجلد الثانى (ص ٥٤١) حديث رقم (٨٦٠) وقال أخرجه الحاكم (٣٢/١) وأحمد (١٢٩/٦- ١٣٠)،وابن أبى عاصم فى السنة (ص ٢٥٤) والبزار (ص ١٣١) ، وابن عدى (٩٩/١)،والسهمى فى تاريخ جرجان (ص ٣٥٧) .
المكتب الاسلامى - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

(٤) وجود غشاء خاص للطيران يغطى عينى الطير أثناء الطيران وذلك لمنع دخول الهواء اليهما، وهذا يلائم تماما وظيفة الطيران .

(٥) التوازن العام فى جسم الطير، وهذا التوازن من الأسرار التى حيرت علماء الحيوان حيث ثبت أن هناك توازنا عاما فى جسم الطير من حيث طول الرقبة، وقصر الأرجل، واستدارة الصدر، وكمية الريش، ولو اختل أحد هذه العناصر لفقد الطائر تكيفه فى عملية الطيران .(١)

فاذا نتف بعض الريش من أحد جناحى الطائر اضطرب فى مشيه وصعب عليه الطيران .

وفيما يلى سنتعرف على بعض أوجه الانتفاع بالطير وفوائدها والنعم المترتبة على وجودها . فمنها :

تسخير الطير لخدمة الأنبياء صلوات الله عليهم وفى مقدمتهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث سخر سبحانه تلك الحمامة التى وقفت على النسيج الذى نسجه العنكبوت على غار حراء عندما اختبأ الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق رض الله عنه خوفا من تتبع الكفار لهما أثناء هجرتهما من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، ومن ثم تأكد الأعداء أنهما ليسا فى الغار لأنهما لو دخلا فيه لتمزق النسيج ولطارت الحمامة، فحفظ الله نبيه وصاحبه بعنايته، ثم بدور هذه الحمامة كما أراد الله ،قال تعالى :

"إِنْ لَاتَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَاتَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ....الآية" التوبة (٤٠)

---

(١) الحكمة فى مخلوقات الله ـ أبى حامد الغزالى تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا قبانى (ص ٨٧ ـ ٨٩) بتصرف . دار احياء العلوم ـ بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م . كذلك علم الحيوان العام لطلبة الجامعات والمعاهد العليا ،د. فؤاد خليل ،د. محمد رشاد الطوبى د. أحمد الحسينى ،د. محمود حافظ ،د. عبدالله الدوينى (ص ٨٢٩-٨٣١) بتصرف . مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة ،الطبعة الرابعة ١٩٧٦م .

وكذلك دور طير الهدهد مع سليمان عليه السلام، واكتشاف القوم الذين تملكهم بلقيس ملكة سبأ، وعلمه بأحوالهم فيقول سبحانه على لسان الهدهد لسليمان :

"فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ" النمل (٢٢)

وهذه الخدمة خصوصية للرسول صلى الله عليه وسلم ولسليمان عليه السلام وليست للخلق عامة .

أما أوجه انتفاع الناس بصفة عامة بالطيور فهى كثيرة فضلا عن كونها غذاء، ويستفاد من بيض الدجاج باعتباره غذاء للانسان لاحتوائه على كثير من الفيتامينات . كذلك يستفيد الانسان من تربية الطيور حيث يمتع نفسه بالنظر الى كل جميل من مخلوقاته سبحانه، ومنها الطيور التى زينها الله تعالى بريش وأجنحة لونت بأبدع الألوان التى لن يتمكن رسام من مضاهاتها مما جعل بعض الناس يهوون جمع الكثير منها للاستمتاع بمناظرها، كما أن للطيور أهمية خاصة فى المزارع، ومن ذلك الاستفادة من بعضها فى حراسة المزرعة نهارا أو ليلا، ومنها مايمكنها حراستها ليلا ونهارا، فالخفاش والبوم أعدهما الله للهجوم على الحيوانات المضرة ليلا لما زود به من قوة سمعية، وبصرية، وقدرة على الطيران، والجرى السريع، وأعضاء تتناسب للهجوم فى الظلمة[1] . وبالتالى يؤدى الى بقاء الزرع واستمرار نموه .

ويستخدم ريشه أثاثا، ولتزيين الملابس ... الخ .

ومن الفوائد التى جناها الانسان من محاكاة الطير وتأمله هذه الطائرات الحديثة التى صنعها الانسان مقلدا شكل الطير، وطريقة سيره على الأرض، ثم تحليقه فى الهواء . فالطائر قبل طيرانه يجرى على الأرض فترة ثم يطير قليلا قليلا محركا جناحيه، وهذه العملية تسمى علمية (خلخلة الهواء)، وذلك بأن يخلو المكان من الهواء فيحل محله هواء آخر يحيط به، ومن ثم استفاد الانسان من هذه الحركة فى كيفية تحريك الطائرة

---

(١) تفسير الجواهر (١٦٥/٣) بتصرف .

التى تسير فترة فى مدرج المطار محركة مراوحها فى الجناح، ثم تصعد قليلا قليلا (١)، كما أنهم جعلوا للطائرة جناحين يساعدانها على الاعتدال والتوازن، فلو كان للطائرة جناح واحد لما اعتدلت ولمالت، ولما أمكن استمرار الطيران، ونجد أن هذه الحقيقة العلمية موجودة فى القرآن من قبل أربعة عشر قرنا (٢) فى سورة الأنعام بقوله سبحانه :

"وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ" (٣٨)

لذلك لانرى الشيخ عبدالمجيد الزندانى تجاوز الحقيقة عندما قال " لقد جاءت العلوم البشرية التجريبية شاهدة ومجلية لدقائق المعانى فى الآيات والأحاديث المتعلقة بالأمور الكونية ") ثم يوضح أن البحث فى العلوم الكونية اتجه اليه الكثير من العلماء فى الوقت الحالى من المسلمين أو من غير المسلمين، وأكدوا مطابقة ماتوصلوا اليه لما فى القرآن الكريم من حقائق كونية تثبت وجود الله ووحدانيته وصدق القرآن الكريم وصدق محمد صلى الله عليه وسلم مما أدى الى دخول الكثير من هؤلاء العلماء غير المسلمين فى الاسلام مثل البرفسور (تاجان تاجاث) الذى أعلن اسلامه فى قاعة المؤتمر الطبى السعودى الثامن فى نهاية أبحاث الاعجاز العلمى (٣) ..

كما أكدت البحوث العلمية أن هذا الحمام لديه شىء غير معروف يشبه البوصلة الداخلية التى يستطيع بها اكتشاف المجال المغناطيسى للأرض مما يسهل عليه معرفة الاتجاه الذى يسير فيه لاسيما اذا تعرف على

---

(١) تفسير الجواهر (١٨٣/١٣) بتصرف . كذلك كتاب الطيران ، اعداد جميل أبو ريه (ص ١٥) بتصرف . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

(٢) تفسير القرطبى (٤١٩/٦) بتصرف .

(٣) المعجزة العلمية فى القرآن والسنة ، الشيخ عبدالمجيد الزندانى (ص ٢٢) بتصرف يسير .

المكان من قبل مما يجعله يذهب ويعود بسرعة[١] . لذا اعتبر الحمام الزاجل أسرع الوسائل فى نقل الأخبار، مما جعل الكثيرين يعتمدون عليه فى نقل أخبارهم، ورسائلهم من أيام الرومان، والمسلمين خاصة فى العصر العباسى (القرن الرابع الهجرى)، وتنافس الرؤساء فى العراق وكان هَمُّ المسلمين فى ذلك الوقت التحدث والكتابة عنه، وعن سرعة نقلـه الأخبار، وأفردوا له الدواوين، وألفوا الكتب فى أنساب الحمام، وبالغوا فى ثمنه حتى صار ثمن الطائر الفار منها سبعمائة دينار، ومن أوائل من اهتم بهذا الموضوع الخليفة المهدى ثالث الخلفاء العباسيين[٢] .

وذكر أنه لما تقلد حامد بن عباس الوزارة عام ٣٠٤هـ/٩١٦م، وروسل بالقدوم على الخليفة كتب على عدة أطيار بخروجه فى يومه[٣] .

ذكر الثعالبى[٤] أن الرسائل كانت تصل فى ذلك العصر (القرن الرابع الهجرى) من الرقة والموصل الى بغداد وواسط والبصرة والكوفة بواسطة الأطيار فى يوم وليلة[٥] .

وقد كانت الرسائل تكتب بصيغة مقتضبة كالتى تستعمل فى البرقيات فى وقتنا الحاضر، وتكتب هذه الرسائل من صورتين ترسلان مع حمامتين، وتطلق احداهما بعد ساعتين من اطلاق الأخرى حتى ان ضلت احداهما أو قتلت تصل الأخرى، ثم تشد الرسالة تحت جناح الطائر، وفى ذيله، ولايرسل هذا الحمام فى الجو الممطر أو قبل تغذيته غذاء كاملا ويميز بعلامة خاصة

---

(١) العلم يدعو للايمان (ص ١٧٠) بتصرف يسير .

(٢) تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى ـ أبو زيد شلبى (ص ١٤٣) بتصرف . مكتبة وهبة ،مصر ،ط ٣ ـ ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .

(٣) انظر الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو (عصر النهضة فى الاسلام) آدم متز ،نقله الى العربية محمد أبو ريدة (٤٢٢/٢) ،دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة ،ط٤ ـ ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

(٤) الثعالبى : هو عبدالملك بن محمد بن اسماعيل أبومنصور من أئمة اللغة والأدب ،من أهل نيسابور،واشتغل بالأدب والتاريخ فنبغ،وصنف الكتب الكثيرة الممتعة، المتوفى ٤٢٩هـ . الأعلام (١٦٣/٤) .

(٥) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى (ص ٤٢٤) .

كقص ريشه بطريقة معينة[(١)] .

ومن عجيب هداية الله لهذا الحمام أنه اذا حمل الرسائل سلك الطرق البعيدة عن أعين الناس لئلا يصيده أو يتعرض له أحد حتى ان أراد الشرب لا يرد أو يشرب الا من المياه التى لا يردها الناس[(٢)] .

هذه الأمور التى عرفناها من خلال دراسة الطير لها دلالة كبيرة على عظم شأنه سبحانه، وقدرته فى تصيير الأمور بدقة وحكمة حسب قواعد مضبوطة وحساب دقيق، وما أروع قول الدكتور عبدالغنى الراجحى[(٣)] بهذا الصدد ما ملخصه : " ان العلم يدعو للايمان، هذا العلم يكون عن طريق الدراسة والغوص فى معرفة حقائق وأسرار الأمور، وكل ذلك يؤدى الى ادراك أن هذه المخلوقات الدقيقة الصنع، والكائنات التى تسير فى حياتها بسنن وقواعد مضبوطة وموضوعة بحساب دقيق لا يمكن أن تكون نتيجة صدفة عمياء أو حركة هوجاء، وانما لابد لها من صانع متصف بالحكمة، والعلم والقدرة، وهو الله جل جلاله"[(٤)] .

---

(١) تاريخ الحضارة الاسلامية (ص ١٤٣، ١٤٦) بتصرف .

(٢) العقيدة فى الله فى ضوء الكتاب والسنة د. عمر الأشقر (ص ١١٩) بتصرف مكتبة دار الفلاح - الكويت - ط٤ - ١٩٨٣م .

(٣) د. عبدالغنى عوض الراجحى . من مواليد سنة ١٩١٣م أستاذ بكلية أصول الدين بالقاهرة - كما عين أيضا عميدا لكلية أصول الدين بجامعة أسيوط . اشتغل مبعوثا للأزهر فى لبنان والعراق وكذا المملكة العربية السعودية حيث درس عام ١٤٠٤/١٤٠٥هـ فى مكة المكرمة فى جامعة أم القرى قسم الدراسات العليا الشرعية وله عدة مؤلفات فى تفسير القرآن الكريم .
من كتاب العلم والايمان فى بناء الأمم والمجتمعات - بقلم د. عبدالغنى عوض الراجحى . بتصرف واضافة .

(٤) العلم والايمان فى بناء الأمم والمجتمعات ، د. عبدالغنى الراجحى (ص ٨ - ٩) بتصرف واضافة . المكتبة العصرية - صيدا - بيروت .

الباب الثاني

تسخير الأرض للإنسان

وفيه ستة فصول

الباب الثاني

تسخير الأرض للانسان

وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : الأرض وارتباط الانسان بها – تذليلها وفرشها – تثبيتها بالجبال – نعمة الظلال والجبال واللباس – شواهد ذلك من الآيات وأثره في مخاطبة القلب البشري وفي توحيد الخالق عز وجل .

الفصل الثاني : الماء – أهميته للحياة – مظاهر تسخيره للانسان – كونه عذبا فراتا – وملحا اجاجا – تعدد فوائده – الحكمة من ذلك – شواهد ذلك من الآيات ودلالته على قدرة الخالق عز وجل وتوحيده .

الفصل الثالث : وجود النباتات المختلفة – أهميتها وفوائدها للانسان والحيوان – تعدد تلك الفوائد في الأغراض المختلفة – اختلاف التربة وآثار ذلك الاختلاف – الحكمة من ذلك كله – شواهد ذلك من الآيات .

الفصل الرابع : الأنعام – مظاهر تسخيرها للانسان – تعدد فوائد الانتفاع بها – شواهد ذلك من الآيات .

الفصل الخامس : النحل وأهميته للانسان – الشراب المستخرج منه – وكونه شفاء للناس – غذاؤه ومسكنه – ماورد من آثار تصدق أهمية هذا الشراب – الآية الواردة في ذلك – دلالة ذلك على توحيد الخالق عز وجل وقدرته .

الفصل السادس : البحار والأنهار مظاهر الانتفاع بهما – تسخيرهما للسفن وغيرها – تعدد أغراض النفع بهما من لحوم وحلي وعمل وغير ذلك – آثار ذلك في توحيد الخالق عز وجل – شواهد ذلك من الآيات .

الفصل الأول

الأرض

وارتباط الإنسان بها - تذليلها وفرشها وتثبيتها بالجبال - نعمة الظلال والجبال واللباس .. شواهد ذلك من الآيات وأثره في مخاطبة القلب البشري وفي توحيد الخالق عز وجل .

الفصل الأول

الأرض وارتباط الانسان بها

تذليلها وفرشها - تثبيتها بالجبال - نعمة الظلال والجبال واللباس شواهد ذلك من الآيات، وأثره فى مخاطبة القلب البشرى وفى توحيد الخالق عز وجل .

الأرض فى اللغة :

الهمزة والراء والضاد ثلاثة أصول : أصل يتفرع وتكثر مسائله، وأصلان لاينقاسان بل كل واحد موضوع حيث وضعته العرب . فأما هذان الأصلان فالأرض الزكمة (١) . الأصل الأول فكل شئ يسفل ويقابل السماء يقال : لأعلى الفرس سماء، ولقوائمه أرض (٢) .

وفى الصحاح : الأرض مؤنثة، وهى اسم جنس والجمع أرضات لأنهم قد يجمعون المؤنث الذى ليس فيه هاء التأنيث بالألف والتاء وقالوا أرضون وأُرُوض وأراضى (٣) .

وفى لسان العرب : الأرض التى عليها الناس أنثى، وهو اسم جنس والأراضى : البساط لأنه يلى الأرض (٤) .

والأرض الجرم المقابل للسماء، والأراضى جمع غير قياسى، ولم يأت بجمعها القرآن، وقد ذكرت الأرض فى القرآن على أربعة عشر وجها كأن يطلق

---

(١) الزكمة والزكام : الأرض . من لسان العرب (٢٦٩/١٢) .

(٢) مقاييس اللغة (٧٩/١ - ٨٠) .

(٣) الصحاح (١٠٦٣/٣ - ١٠٦٤) .

(٤) لسان العرب (١١٤/٧) .

لفظ الأرض ويراد به الجنة كما في قوله تعالى : " أنّ الأرض يرثها عبادى الصالحون ". الأنبياء (١٠٥) . أو بمعنى الأرض كما في قوله تعالى : " خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون " النحل (٣) (١)

وذكر لفظ الأرض في سورة النحل عشر مرات هي قوله تعالى :

١- " خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون " (٣)

٢- " وما ذرألكم في الأرض مختلف ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون " (١٣)

٣- " وألقى في الأرض رواسي أنّ تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون " (١٥)

٤- " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أنّ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين " (٣٦) .

٥- " أفأمن الذين مكروا السيئات أنّ يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون " (٤٥)

٦- " ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون " (٤٩)

٧- " وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون " (٥٢)

٨- " والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون " (٦٥)

٩- " ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون " (٧٣)

١٠- " ولله غيب السموات والأرض .... الآية " (٧٧).

والآيات رقم (٣ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٧٧) تتحدث عن وحدانية الله تعالى ، وتنزيهه عن الشرك ، وتوضح أنّ الله وحده خلق السموات والأرض بالحق لا للعبث . (٢)

وأنّ الكل يخضع ويستسلم لأمره تعالى ، وتسير جميع المخلوقات في طوع أمره وتحت تصرفه وقدرته .

---

(١) بصائر ذوى التمييز (٢ / ٥٣ - ٥٥) .

(٢) ابن كثير (٢ / ٦٠٨) .

قال ابن قتيبة (١) فى ذلك : "ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب فى حال الحياة أو بالموت الا الحق سبحانه ،فان طاعته واجبة أبدا لانه المنعم على عباده المالك لهم ،فكانت طاعته واجبة دائما" (٢) .

وعلى الانسان أن يقر بوحدانيته سبحانه ربوبيا ، وألوهيا فى السر والعلن ، وباختصاصه سبحانه بعلم الغيب ، ولا أحد غيره استقلالا ، ولا اشتراكا فى جميع الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين بحيث لا سبيل لهم الى ادراكها حسا ، ولا الى فهمها عقلا (٣) .

ولقد هدد الله سبحانه وتعالى المنكرين بالوعيد ، والعقوبة التى تلحقهم كما لحقت بالمتكبرين السابقين لهم بأنواع مختلفة من العذاب فكان الخسف بقارون ، والعذاب من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط ، والأخذ بتقلبهم فى الحضر والسفر أو بأخذهم على تخوف (٤) ، لانه من العجب أن تنحرف الفطرة الى هذا الحد فيتجه الناس بالعبادة الى مالا يملك لهم رزقا ، وما هو بقادر فى يوم من الأيام ، ولا فى حال من الأحوال ، ويدعون الله الخالق الرازق والآءه بين أيديهم لا يملكون انكارها ، ثم يجعلون لله الاشباه والأمثال (٥) . فكان جزاءهم من جنس عملهم .

والآيات رقم (١٣ ، ١٥ ، ١٦) من سورة النحل تحدثت عن تسخير الله تعالى للنعم الموجودة فى الأرض للانسان ، ومنها الدواب ، والانعام ، والأشجار ، والبحار ، والمعادن المختلفة الالوان والهيئة والكيفية ، فلا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه ، وذلك دليل قاطع على قدرة الله عزوجل (٦) . ومن النعم المسخرة أيضا أن جعل الأرض سبلا وفجاجا تسلكونها وتسيرون فيها لقضاء الحوائج وطلب المعاش ، كما انه أرسى الأرض بالجبال كى لا تميد وتضطرب (٧) وانزل من السماء المطر فأحيا به الأرض بعد موتها ، وذلك بالنبات

---

(١) ابن قتيبة : هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (بضم القاف وفتح التاء) الدينورى ، وقيل المرزوى . ولد عام ٢١٣ هـ فى بغداد وحدث بها عن اسحاق ابن راهويه ، من مؤلفاته (غريب القرآن) ، (غريب الحديث) ، وقيل توفى عام ٢٧٦ هـ .
من كتاب وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن خلكان ، المتوفى عام ٦٨١ هـ . حققه د. احسان عباس (٣/ ٤٢-٤٣) بتصرف . دار الثقافة - بيروت .

(٢) تفسير الخازن (٤/ ٩٥) .

(٣) تفسير الالوسى (٤/ ١٩٨) بتصرف .

(٤) تفسير القرطبى (١٠/ ١٠٩) بتصرف

(٥) انظر فى ظلال القرآن (١٤/ ١٨) .

(٦) تفسير الخازن (٤/ ٨٣) بتصرف .

(٧) تفسير الشوكانى (٣/ ١٥٤) بتصرف .

بعد أن كانت يابسة لا حياة فيها ، وفي ذلك دلالة على قدرته سبحانه على البعث وعلى وحدانيته (١).

الأرض وارتباط الانسان بها :

يعيش الانسان فوق سطح الأرض، ولكي يعيش فيها بسعادة وهناء لابد أن تتوفر فيها سبل الراحة المتمثلة في فرش الأرض وتذليلها للسير فيها وتثبيتها ....الخ، والله سبحانه اعلم بكل هذه الأمور، وقد وفرها من يوم أن خلق السموات والأرض، كما تشير الى ذلك الآية الكريمة :

"وَسَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ .....الآية" الجاثية (١٣)

وغيرها من الآيات الموضحة لتسخير مافي الأرض للانسان، ومن ذلك توفير الماء والغذاء والأنعام وغيرها. كما أنه سبحانه هيأ كل الظروف التي تضمن استمرار الحياة فيها، وتعميرها بيسر وسهولة، ولو تأمل الانسان الآيات القرآنية، ثم الآيات الكونية، فسيرى من عجيب صنع الله نعما كثيرة دالة على رحمته سبحانه بعباده ومنها :

تذليل الأرض وفرشها :

قال تعالى : " هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً ....الآية " . الملك (١٥)

فالله عندما خلق الأرض لم يجعلها كلها وديانا أو هضابا أو مرتفعات أو منخفضات أوجبالا أو بحارا، بل ولم تكن كلها حديدا أو ذهبا، لأنها لو كانت كذلك ماصلحت للحياة (٢).

فمن حكمة الله أن جعلها متنوعة المحتويات والأشكال والخلق من جبال وأنهار وسهول ورمال ....الخ (٣).

فكانت مذللة للانسان ينتفع بجميع أوجه الانتفاع، من حرث الأرض للزراعة، وصهر معادنها، وتفتيت ذراتها، وشق عيونها، والغوص في

(١) نفس المرجع السابق (٣/ ١٧٣) بتصرف .
(٢) تفسير الرازي (٢/ ١١٣) بتصرف .
(٣) نفس المرجع السابق (٣٠/ ٦٨ - ٧٩) بتصرف .

أعماق بحارها، والطيران فى أجواء فضائها، واستنشاق الهواء المنتشر فيها ....الخ، وهذا من لطف الله الذى مكنهم فى الأرض، وحثهم على استغلال خيراتها [(١)].

ومن تمام نعمته سبحانه أن جعل الأرض فراشا ومهادا، قال تعالى :
" أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً " . النبأ (٦)

انها آية فى غاية البلاغة، لأنه سبحانه جعل الأرض مكانا للراحة والسكون، وفى ذلك دليل على رحمة الخالق لكل من دب على ظهر هذه الأرض، كما يقول الأستاذ عباس العقاد [(٢)] : " ان الذى يجب علينا اعتقاده أن جميع الموجودات بأراضيها وسماواتها، وما فيها من صنوف المخلوقات من نباتاتها وحيواناتها ... صنع اله واحد قادر حكيم قد وسع كل شىء علما وأتقنه صنعا " [(٣)] ولايدرك مدى عظمة هذه النعم الا كل متفكر دائم التذكر فى آيات الله سبحانه القرآنية والكونية، كما يتضح ذلك من قوله سبحانه فى سورة آل عمران :

" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " (١٩١)

وقد ذم الرسول صلى الله عليه وسلم الممتنعين عن التفكر فى خلق السموات والأرض، وما فيهما من عجيب صنع الله، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : " ليلة أسرى بى لما انتهينا الى السماء السابعة

---

(١) تفسير الجلالين (٢٥٧/١) بتصرف .

(٢) عباس محمود العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٤م) .
أديب وكاتب عربى ولد فى أسوان بمصر كتب سلسلة سير لأعلام الاسلام (عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، عبقرية عمر رضى الله عنه، وغيرها) كما اتجه الى الفلسفة والدين. وكتبه (الله ، ابليس ، الفلسفة القرآنية) .
من الموسوعة العربية الميسرة (١٢٢٠/٢) بتصرف بسيط .

(٣) انظر الانسان فى القرآن الكريم ، عباس العقاد (ص ٩٠) دار الهلال مصر .

فنظرت فوق – قال عفان فوقى – فاذا أنا برعد وبرق وصواعق قال : فأتيت على قوم بطونهم كالبيوت ... فلما نزلت الى السماء الدنيا نظرت أسفل منى، فاذا أنا برهج[(١)] ودخان وأصوات فقلت ماهذا ياجبريل؟ قال : هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم أن لايتفكروا فى ملكوت السموات والأرض، ولولا ذلك لرأوا العجائب"[(٢)] . وكان عليه أفضل الصلاة والسلام دائم التفكر فى خلق السموات والأرض قبل بعثته عليه السلام وبعد بعثته، فعلينا التأسى به عليه السلام، والتفكر فى كيفية جعل الله الأرض مهادا، وارسائها حتى لاتميد كما يشير الى ذلك قوله تعالى :

"وَأَلْقَى فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ....الآية" النحل (١٥)

والمراد من إلقاء الرواسى فى الأرض تثبيتها بالجبال، يقال: رسى الشىء رسوا ثبت فهو راس وجبال راسية أى جبال ثوابت[(٣)] ، ومعنى لئلا تميد: لئلا تضطرب الأرض وتتحرك، فسبحانه أرسى الأرض بهذه الجبال حتى لاتميد بما عليها من مخلوقات، ذلك لأن استقرار وثبات الأرض ثبات واستقرار ماعليها لتستمر الحياة، كما أراد الله تعالى[(٤)] .

يوضح هذه النعمة العظيمة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :
"لما خلق الله عز وجل الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال، فألقاها عليها

---

(١) برهج : الرهج : الغبار . من لسان العرب (٢/٢٨٤) .
(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل (٢/٣٥٣) .
عن أبى هريرة، وفى اسناده على بن زيد وهو ضعيف كما قال الحافظ فى التقريب ترجمة رقم (٤٧٣٤) (ص ٤٠١) . تقريب التهذيب للامام ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ تحقيق محمد عوامه . دار الرشيد سوريا – حلب الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
(٣) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى المتوفى سنة ٧٧٠هـ (١/٢٢٧) المكتبة العلمية – بيروت – لبنان .
(٤) تفسير الطبرى (١٤/٦٢) .

فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال ...الحديث "[١] .

مما سبق يتضح أن الأرض كانت فى بداية خلق الله لها مضطربة مثل السفينة التى تتمايل ان لم يكن بها أجرام ثقيلة فى جانبيها بالتساوى تؤدى الى ثباتها، وعدم اضطرابها وميلانها، وكذا بالنسبة للأرض ثبتها سبحانه بالجبال الثقيلة فاستقرت[٢] . ولم يعرف العلماء هذه الحقيقة الا فى العصر الحالى بعد اجراء بحوث عديدة، لقد اكتشفوا أن كل قارة فى الكرة الأرضية بها سلسلة من الجبال تحفظ توازن الأرض[٣] . كما هو الحال فى الوتد الذى يساعد على ثبات الخيمة، والذى لابد أن يكون جزء منه خارج الأرض، والآخر منغرس تحت سطحه، فكذا الجبال، أثبت العلماء مؤخرا أن جذورها منغرسة تحت سطح الأرض[٤] ، بشكل نسبى قدره البعض بخمسين كيلو مترا، وقيل: بل مائة وخمسين كيلو مترا[٥] . وتختلف هذه النسبة حسب اختلاف ارتفاع الجبل فوق سطح الأرض، فينتصب الجزء الظاهر منه بتدعيم الجزء المختفى تحت سطح الأرض، ولولا ذلك لطفت القشرة الأرضية فوق سطح الماء، هذه الحقيقة لم تعرف الا فى العصر الحاضر، بينما بينها القرآن، وعبر عنها بكلمة واحدة بقوله (أوتادا)، فى قوله :

" أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا " . النبأ (٦ ـ ٧)

كما قال هؤلاء العلماء: بأن التعرجات الموجودة فى الأرض تتنوع أبعادها من الكيلو متر الى عشرات الكيلو مترات، ومن هذه التعرجات

---

(١) مسند الامام أحمد (٣/١٢٤) .
وأخرجه الترمذى برواية أنس بن مالك فى آخر التفسير حديث رقم (٣٣٦٩) وقال : غريب . سنن الترمذى تحقيق ابراهيم عطوة (٥/٤٥٤-٤٥٥) احياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان .
(٢) تفسير الرازى (٢٠/٧) بتصرف .
(٣) القرآن والعلم (ص ٣٢٢) بتصرف .
(٤) القرآن والتوراة والانجيل والعلم (ص ٢٠٦) .
(٥) (والجبال أوتادا) الشيخ عبد المجيد الزندانى (ص ١) بتصرف .
بحث مقدم لهيئة الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بمكة المكرمة .

ينتج ثبات القشرة الأرضية ،فالمواد الأقل وزنا ارتفعت على سطح الأرض،واجتمعت،وأما المادة الثقيلة فتوجد في خنادق هاوية على شكل بحار مثلا،ويقررون: أن الارتفاعات منها (الجبال)،والانخفاض كالبحار،يحافظان على توازن الأرض .(١)

فحمدا لله على هذه النعمة التي لايعرف مدى عظمتها الا من اضطربت به السفينة في البحر،أو الطائرة في الهواء،ثم ذهب ماكان به حين هدأ البحر،وسكن الهواء،عندها يشعر بالفرق بين نعمة الراحة،ووجود القلق .(٢)

تعرفنا على نعمة ثبات الأرض ،وأن أحد أسباب ثباتها هو وجود الجبال ،وذلك يدفعنا الى التطرق ولو بشكل موجز الى معرفة :

نعمة وجود الجبال وتسخيرها لخدمة الانسان :

لقد ذكر الله سبحانه لفظ الجبال في القرآن الكريم كثيرا ومن ذلك قوله سبحانه في سورة النحل :

" وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (١٥)

وقوله تعالى : " أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ . الغاشية (١٧-٢٠)

نجد في الآية الكريمة من سورة الغاشية ،أن الله لفت نظر عباده الى بعض مخلوقاته ،ومنها الجبال،كما أنه ذكر الجبال بعد ذكر السماء وقبل ذكر الأرض،فما علاقة الجبال بالسماء والأرض،وماسبب ذكر الآيات بهذا الترتيب ؟

---

(١) العلم الحديث حجة للانسان أم عليه - القسم الأول (ص ٤٨) بتصرف .

(٢) الاسلام في عصر العلم . محمد الغمراوي ، د. أحمد الكرداني (ص ٣٤٦) بتصرف .

قيل ذلك للتنبيه الى مابين رفع الله للسماء، وارتفاع الجبال من تناسب، ومابين نصب الجبال، وبسط الأرض من تقابل، والجبال جزء من الأرض .(١)

والجبال نعمة مسخرة للانسان، وتترتب على وجودها نعم كثيرة ذكرنا منها :

(١) تثبيت الجبال للأرض، ومنع اضطرابها .

(٢) الجبال علامات للهداية ومعرفة الطرق :

قال تعالى : " وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"

يقول الامام الطبرى مامفاده : " ان قوله سبحانه (علامات) من ضمن نعم الله هداية الانسان الى الطرق، ولم تخص الآية شيئا دون آخر بل هى عامة، ومن ثم تدخل فيها كل علاقة تؤدى الى معرفة الطرق والسبل، وكذا القبلة ، ومنها : الجبال خاصة فى النهار(٢) لاسيما وأنه ذكر (علامات) بعد ذكر الآية فى نعمة وجود الجبال .

كما أن من مظاهر تسخير الجبال لخدمة الانسان :

(٣) إن للجبال علاقة تدل على معرفة ماتحتويه من معادن :

يوضح ذلك قوله تعالى : " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ" فاطر(٢٧)

فاختلاف ألوان الجبال لم يكن عشوائيا، بل يرجع الى اختلاف العناصر التى تكونها من صخور ومعادن . فالجبال البيضاء تتكون من الطباشير والحجر الجيرى ،والحمراء تتكون من الحديد والذهب وغيرها من المعادن.

---

(١) انظر الاسلام فى عصر العلم (ص ٣٢٦) .

(٢) تفسير الطبرى(٦٣/١٤) بتصرف .

والجبال السوداء بها الفحم والمنجنيز ....الخ .[1]

ومن النعم المترتبة على وجود الجبال :

(٤) أنها المنابع الأصلية للأنهار غالبا حيث مساقط الأمطار :[2]

حيث أن السحب تصطدم بقممها مما يؤدى الى سقوط الأمطار مكونة الأنهار .[3] يشير الى ذلك قوله سبحانه :

" وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا " المرسلات (٢٧)

فالله جعل الجبال ثابتات ساقطات تتجمع على قممها السحب، وتنحدر عنها مساقط الماء العذب، وذلك بقدرة وتدبير الخالق جل جلاله .[4]

(٥) اتخاذ البيوت من الجبال :

فقد كانت الكهوف داخل الجبال مساكن الناس قديما ،قال تعالى :

" وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ..." (٨١)

(٦) اتخاذ الجبال مكانا للعبادة بعيدا عن مشاغل الحياة وصخبها :

فقد كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فى غار حراء الليالى ذوات العدد قبل بعثته ،كما تخفى عليه الصلاة والسلام وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه فى غار ثور عند هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة .

(٧) اتخاذها حصونا وقلاعا للتحرز من الأعداء، ومراقبة البلد من خلالها .

---

(١) ظواهر جغرافية فى ضوء القرآن (ص ٢٤٧) بتصرف .
(٢) فى ظلال القرآن (٥١/١٤) .
(٣) دراسات قرآنية (ص ١٥٤) بتصرف .
(٤) تفسير الظلال (٢٤٠/٢٩) بتصرف .

ولازال الانسان يستفيد من هذه الجبال، ومايترتب على وجودها من نعم الى اليوم، واستغلال صخورها لبناء المساكن .

(٨) اتخاذ النحل بيوتا فى الجبال :

وسنوضح هذا الأمر فى الفصل الخامس من هذا الباب ان شاء الله .

ومن النعم المترتبة على وجود الأرض والتى هى فى الوقت نفسه مظهر من مظاهر تسخيرها :

نعمة اختلاف الألوان فى الأرض :

قال تعالى : " وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ" . النحل (١٣)

ويتمثل فى اختلاف ألوان الجبال كما وضحناه سابقا، واختلاف ألوان الثمار والدواب والأنعام والمعادن وغيرها، قال قتادة قوله: وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى الأَرْضِ يقول :"وماخلق لكم فى الأرض مختلفا ألوانه من الدواب، ومن الشجر والثمار، نعم من الله متظاهرة، فاشكروها لله " .(١)

تتجلى هذه النعمة فى خلق الطيور التى لونت كل ريشة منها بشكل بديع لايمكن لأمهر رسام مضاهاته سبحانه فى كيفية تلوينها، وتداخل الألوان فى مئات وألوف الشعيرات بهذا التناسق، وتراها فى كل زهرة، وفى كل ورقة من أوراق الشجر وغيرها من الكائنات المتناسقة الألوان .(٢)

---

(١) انظر تفسير الطبرى (١٤/٦٠) .
(٢) دراسات قرآنية (ص ٣٥) بتصرف .

وأثبت علماء النفس أن لتناسق الألوان أثرا كبيرا على الحالة النفسية للانسان فألوان تجلب للنفس البهجة والانتعاش وحب الحياة وأخرى تجلب للنفس الكآبة والحزن وما الى ذلك . (١) وفيها من العبرة مايجعلنا نؤمن بوجود الخالق وقدرته .

نعمة وجود الظلال :

وهى نعمة عظيمة ذكرها سبحانه فى كتابه مذكرا عباده بها وبمدى أهميتها ،قال تعالى فى سورة النحل آية (٤٨) :

" أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُوا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ."

وقوله : " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ...". النحل (٨١)

والظل فى اللغة : الظاء واللام أصل واحد يدل على ستر شىء لشىء وهو الذى يسمى الظل . فالظل : ظل الانسان وغيره ويكون من الغداة والعشى والفىء لايكون الا بالعشى . (٢)

وفى الصحاح الظل معروف والجمع ظلال . والظلال أيضا ما أظلك من سحاب ونحوه وظل الليل سواده . (٣) وظل النهار لونه اذا غلبته الشمس والظل نقيض الضح وبعضهم يجعل الظل الفىء. والظل ماكان قبل الشمس والفىء ماكان بعد وظل الليل : جنحه وقيل:هو الليل نفسه . (٤) والظل أعم من الفىء فانه يقال ظل الليل وظل الجنة ويقال لكل موضع لم تصل اليه الشمس ظل ولايقال الفىء الا لما زال عنه الشمس والجمع ظلال ،وظلول، وأظلال . (٥)

---

(١) القرآن والعلم الحديث (ص ٧٣ - ٧٤) بتصرف .
(٢) معجم مقاييس اللغة (٤٦١/٣) .
(٣) الصحاح (١٧٥٥/٥ - ١٧٥٦) .
(٤) لسان العرب (٤١٥/١١ - ٤١٦) .
(٥) بصائر ذوى التمييز (٥٣٧/٣ - ٥٣٨) .

والظل ذكر فى القرآن على عدة معانى ،ففى الآية رقم (٤٨) من سورة النحل وهى قوله تعالى :

" أَوَلَمْ يَرَوا إِلَى مَاخَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَىْءٍ يتفيؤا ظِلَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِل.."

يقصد من الظل ظل السجدة والعبادة (١). أى ساجد بظله لله تعالى سجود خضوع لمشيئته تعالى وانقياد .

وذكر لفظ الظل فى سورة النحل فى موضعين هما :

(١) قوله تعالى : " أَوَلَمْ يَرَوا إِلَى مَاخَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَىْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ". (٤٨)

(٢) قوله تعالى : " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ " . (٨١)

والظل من النعم المسخرة للانسان حيث جعل الله له مايستظل به من شدة الحر والبرد كظلال الأبنية والجدران والأشجار (٢) . فيخبر سبحانه وتعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذى خضع له كل شىء،ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها جماداتها وحيواناتها ،كذلك كل ماله ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال أى بكرة وعشيا،فانه ساجد بظله لله تعالى كما قال مجاهد:"اذازالت الشمس سجد كل شىء لله عز وجل" (٣) ،ويذكر فى هذا الطبرى بقوله : " إن ظلال الأشياء هى التى تسجد،وسجودها ميلانها ودورانها من جانب الى جانب،وناحية الى ناحية" (٤) .

ولايدرك مدى أهمية هذه النعمة الا من سار تحت الشمس مدة طويلة، وشعر بالتعب والعطش،فأخذ يبحث عن شجرة أو أى شىء يستريح تحت ظله

---

(١) بصائر ذوى التمييز (٥٣٨/٣) .
(٢) تفسير الخازن (١٠٨/٤) بتصرف .
(٣) انظر ابن كثير (٦١٩/٢) .
(٤) انظر تفسير الطبرى (٧٩/١٤) .

فيشعر عند ذلك بالراحة النفسية، والسكون والجو الصافى على نحو ما كان من سيدنا موسى عليه السلام بعد أن سقى للبنتين ذهب الى ظل شجرة يستريح، وينعم بظلها ، فى هذا يقول الله تعالى :

" فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ " . القصص (٢٤)

ولايقتصر الظل على ظل الشجر بل يشمل ظل أى شىء، كما قال قتادة فى قوله تعالى :

" وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا " أى: من الشجر، ومن غيرها (١) .

والظل مسخر من الله تعالى لخدمة الانسان، ويتمثل ذلك فى :

معرفة الأوقات عن طريق تحرك الظل :

وسبب ذلك التحرك المنتظم للظل، أن ذلك يتم تبعا لتحرك الشمس، فمثلا يعرف المسلم وقت صلاة الظهر اذا كان ظل الرجل كطوله ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " وقت الظهر اذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله مالم يحضر العصر، ووقت العصر مالم تصفر الشمس ... الحديث " (٢) .

وأول وقت صلاة العصر عندما يصير الظل قامتين "مثليه" بعد الزوال وهكذا .

وقد رتب كثير من الناس أعمالهم فى نهارهم، وأوقات فراغهم وراحتهم من شغلهم على أوقات تحرك الظل، وفى خلق الظل وتحركه دلالة كبيرة على وجود الخالق العظيم الرحيم بعباده، فلوكان الظل ثابتا على حالة واحدة غير متحرك فى ساعات النهار لاختلت أمور كثيرة، ولفسدت حركة الحياة، ومن ثم لايمكن اتخاذه مقياسا لمعرفة الزمن (٣) .

---

(١) تفسير الطبرى (١٠٤/١٤) .
(٢) مسند الامام أحمد (٢١٠/١٢) .
راجع تخريجه فى الباب الأول ـ الفصل الأول ، ص
(٣) تفسير الآيات الكونية (ص ١٨٧) بتصرف .

ولأهمية هذا الظل وجب علينا أن نحذر من تعطيل نعمة الافادة منها، وذلك بالتبرز فى أماكن الظل كما قال صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الملاعن(١) الثلاثة : البراز فى الموارد(٢) وقارعة الطريق(٣) والظل(٤) " .

نعمة اللباس :

قال تعالى فى سورة النحل بعد ذكر نعمة الظل والجبال ذاكرا نعمة اللباس : " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ... (٥)

والسربال : القميص من أى جنس كان .

وقد اختص الله بهذه النعمة الانسان،لأنه يخرج الى الدنيا عاريا رقيق البشرة قليل شعر الجسم مجردا مما يستره، ويدفع عنه الحرارة والبرودة بخلاف أكثر الكائنات التى زودها الله بما تحميها من حين ولادتها كالريش أو الشعر أو القشور أو الحراشيف ...الخ .

لذا وهب الله الانسان العقل، ومنحه القدرة على التفكير والاختراع والعمل، فأخذ الانسان يفكر ويصنع، ومن ذلك صنعه للملابس سواء منها مايقيه من الحر كقماش القطن والكتان المصنع من النبات، أو مايقيه

---

(١) الملاعن : جمع ملعنة وهى الفعلة التى يلعن بها فاعلها كأنها مظنة اللعن ومحل لها .

(٢) الموارد : المجارى والطرق الى الماء .

(٣) قارعة الطريق : واسطه وقيل أعلاه والمراد هنا نفس الطريق ووجهه . حاشية سنن أبى داود ، تحقيق عزت الدعاس وعادل السيد (١ / ٢٨-٢٩) .

(٤) أخرجه أبو داود فى الطهارة، باب (١٤) (المواضع التى نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن البول فيها) حديث (٢٦) عن معاذ بن جبل (سنن أبى داود، تحقيق عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد (١/٢٨ - ٢٩) . دار الحديث ، حمص ، سوريا الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

وأخرج ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى فى الطهارة باب (٢١) باب النهى عن الخلاء على قارعة الطريق حديث (٣٢٨) (١/١١٩) ، دار الفكر - بيروت .

(٥) بصائر ذوى التمييز (٣/٢١٢) بصيرة فى سربال .

من البرد كالملابس المصنوعة من جلود وأصواف الأنعام[1] .

وهناك أيضا ملابس للزينة، سواء كانت من الريش أو غيره . أرشد سبحانه عباده اليها بقوله : " يَابَنِى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ". الأعراف (٢٦)

كما أنه سبحانه من رحمته بعباده أرشدهم الى لباس واق يقيهم من سهامهم وسيوفهم، ويكون حاميا لهم ولأجسادهم من هذه الأخطار، فلباس الحرب يختلف عن لباس السلم لأنها تكون من الحديد كالدروع وأشباهها . يقول الطبرى ماملخصه : " إن هذه الدروع تقيكم أيام الحرب فتحميكم من السلاح"[2] .

فالحمد لله على نعمائه التى مكنت الانسان من استمرار حياته على ظهر الأرض، وهيأت له كل أسباب الرزق والراحة والسعادة . قال تعالى فى ذلك :

" وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِى الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ". الأعراف (١٠)

---

(١) الجواهر فى تفسير القرآن (١٧١/٤ - ١٧٢) بتصرف .
(٢) تفسير الطبرى (١٠٤/١٤) بتصرف يسير .

الفصل الثاني

الماء

أهميته للحياة - مظاهر تسخيره للإنسان - كونه عذبًا فراتًا وملحًا أجاجًا - تعدد فوائده - الحكمة من ذلك .. شواهد ذلك من الآيات ودلالته على قدرة الخالق عز وجل وتوحيده.

الفصل الثانـي

المـــــاء

أهميته للحياة ـ مظاهر تسخيره للانسان ـ كونه عذبا فراتا ، وملحـا اجاجا ـ تعدد فوائده ـ الحكمة من ذلك ـ شواهد ذلك من الآيـات ودلالته على قدرة الخالق عز وجل وتوحيده .

ذكر فى البصائر أن الماء معروف وهمزة الماء منقلبة عن الـواو وسمع : اسقنى (ما) بالقصر والجمع أمواه ومياه .[1]

وذكر لفظ الماء فى سورة النحل فى موضعين هما :

(١) قوله تعالى : " هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنهُ شَرَابٌ وَمِنـهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ " . آية (١٠)

(٢) قوله تعالى : " وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" . آية (٦٥)

فالله أنزل من السحاب أو من جهة العلو ـ كما ذكره الشوكانـى ـ الماء ، فأحيا الأرض بالنبات بعد أن كانت يابسة لاحياة فيها .[2] فالاحيـاء والاماتة استعارة للانبات ، وليس المراد اعادة اليابس بل انبات مثله .[3]

فالله سبحانه يذكر عباده بانزال المطر من السماء ، وهو من أعظـم النعم على العباد لما يترتب عليه من استمرار حياة الأحياء على وجـه المعمورة ، حيث يشرب منه الانسان والحيوان ، وينبت به الزرع سواء منـه

---

(١) بصائر ذوى التمييز (٥٤١/٤) .
(٢) تفسير الشوكانى (١٧٣/٣) .
(٣) تفسير الآلوسى (١٧٥/١٤) .

مايكون غذاء للبهائم أو الانسان، لأن المراد من كلمة تسيمون أى: ترعون مواشيكم[(١)] .

ولقد أورد الطبرى فى تفسيره : " أن الماء عماد الحياة، فالله أنزل من السماء مطرا منه يشرب الانسان ويطعم، وكذلك الحيوان، والنبات، فالأشجار تختزن الماء بداخلها، ومنها يطعم الحيوان والانسان، فالماء اذا سبب لاطعام الحيوان والانسان على السواء، فهو أساس الحياة"[(٢)] .

أهمية الماء فى حياة الأحياء :

أولا : بالنسبة لحياة الانسان :

يستخدم الانسان الماء للشراب وغيره من الطهارة المفروضة والمسنونة، وغير ذلك مما تقتضيه ظروف الحياة ،قال تعالى :

"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " البقرة (٢٢٢)

ومن رحمته سبحانه أن جعل الماء عذبا سائغا للشرب، وجعل مصدره ماء المطر الذى ينزل من السماء، وهذا مايفهم من كلمة أنزل فى سورة النحل . فى قوله : " هوالذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون"، فالانسان لاتستمر حياته اذا منع عن الماء لبضعة أيام، لأن جسمه يحتوى على حوالى ٧٠٪ من وزنه ماء، لأن الماء يعمل على توصيل العناصر الغذائية الى خلايا الجسم وافراز المواد الضارة، كما يعمل على تلطيف درجة حرارة الجسم عن طريق رشحه من مسام الجسم[(٣)]، ويعتبر مكونا آساسيا للدم، ويحتوى الماء العذب على صفات ومركبات تجعله أفضل المواد للقيام بكل المهام السابقة الذكر[(٤)] . كما أنه أفضل مادة تروى ظمأ الانسان، ولو

---

(١) تفسير الخازن (٨٢/٤) بتصرف .

(٢) تفسير الطبرى (٥٩/١٤) بتصرف .

(٣) القرآن واعجازه العلمى ـ محمد اسماعيل ابراهيم (ص ٩٥) بتصرف . دار الفكر العربى .

(٤) معجزة خلق الانسان بين الطب والقرآن ـ د. نبيه عثمان (ص ٣٦٦) بتصرف . سلسلة دعوة الحق ـ ادارة الصحافة والنشر برابطة العالم الاسلامى ـ عدد ٥٠ السنة الخامسة ـ ١٤٠٦هـ .

شرب ماء البحر فانه لن يرتوى[1] .

اذا المعجزة تكمن فى :

(١) كون ماء المطر عذبا فراتا، وعدم كونه ملحا اجاجا :

وفى ذلك دلالة على عظيم نعم الله ورحمته بعباده، كما قال سبحانه مذكرا عباده بأهمية هذه النعمة : " أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ . أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ " . الواقعة (٦٨ - ٧٢)

وقد ذكر الله فى آية واحدة من سورة النور كيف يتكون السحاب وينزل المطر فقال : "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ" . (٤٣)

لم يتوصل العلماء الى معرفة تفاصيل هذه العملية الا فى العصر الحديث، وتبينوا عظيم قدرة الله فى تحويل الماء من ملح اجاج الى عذب فرات، فقالوا ما ملخصه : " انه بتسليط أشعة الشمس على البحار والمحيطات الموجودة على سطح الكرة الأرضية يتبخر جزء منه، ويتصاعد الى طبقات الجو العليا، فيتجمع ويتكاثف ويشكل سحبا، عندها تدخل الرياح لتؤدى دورها فى نقل السحب الى مسافات بعيدة، وقد تختفى السحب دون أن تعطى مطرا أو تلتقى مع سحب أكثر كثافة فتسقط الأمطار"[2] . (ملحق رقم ٦)

يقول الشيخ محمد الغزالى[3] : " ان الماء عذب بطبيعته، وماء المطر معروف أنه أنقى المياه، لكن طبيعة تكونه من السحاب تعرضه لأن ينقلب

(١) من كل شئ موزون - د. عبد المحسن صالح (ص ١٢٢) .

(٢) الماء والحياة بين العلم والقرآن - د. عبد العليم خضر (ص ٤٣) بتصرف الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة - ط١ - ١٤٠٥هـ .

(٣) الشيخ محمد الغزالى : من مواليد جمهورية مصر العربية عام ١٩١٧م . تخرج من الأزهر عام ١٩٤١م . جاهد فى ميدان الدعوة الاسلامية خلال نصف قرن تقريبا، وشغل عدة مناصب دينية وشارك فى مؤتمرات اسلامية =

أجاجا لاينتفع به الانسان" (١) .

فالحمد لله الذى سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا وهذا مظهر من مظاهر تسخير الماء للانسان .

(٢) نزول المطر بقدر معلوم :

من الفوائد والنعم المترتبة على وجود الماء العذب نزول المطر بقدر معلوم وهذا من رحمته بعباده لأنه لو نزل بكمية كبيرة لغرقت الأرض ومن فيها من الاحياء ولو نزل بكمية قليلة جدا لهلكت الأحياء عطشا ،قال تعالى :

"وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ" الحجر (٢١)

قال القرطبى :

يقول ابن عباس رحمهما الله تعالى : يريد قدر الكفاية (٢) . ويقول أيضا : انه ليس عام بأكثر مطرا من عام يصرفه حيث يشاء فما زيد لبعض نقص من غيرهم غيره من الأعوام (٣) .

= كثيرة وتولى التدريس فى جامعات الأزهر، الملك عبد العزيز،وأم القرى وقطر وحاليا المدير الأكاديمى لجامعة الأمير عبد القادر الاسلامية فى الجزائر . وهو يرى الاستفادة من جميع الاتجاهات الفكرية على أساس من فقه سليم للكتاب والسنة .
من كتبه :هموم داعية، مستقبل الاسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه ؟ (من غلاف كتابه مستقبل الاسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه ؟).

(١) انظر نظرات فى القرآن ــ محمد الغزالى (ص ١٤٦) ،دار الكتب الحديثة ــ مصر ــ ط٤ ــ ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

(٢) تفسير الرازى (١٧٨/١٩) .

(٣) تفسير القرطبى (٥٧/١٣) .
وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مامن عام بأمطر من عام،ولكن الله يصرفه حيث يشاء من البلدان،ومانزلت قطرة من السماء ولاخرجت من ريح الابمكيال أو بميزان" . كما ذكره السيوطى فى تفسير الدر المنثور فى التفسير المأثور (٧٠/٥) . دار الفكر الطبعة الأولى١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

قال تعالى : " وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ" . المؤمنون (١٨)

يذكر ابن كثير فى تفسيره : يعنى بحسب الحاجة، لاكثيرا فيفسد الأرض والعمران، ولاقليلا فلا يكفى الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة اليه من السقى والشرب، والانتفاع به، حتى ان الأراضى التى تحتاج ماء كثيرا لزرعها يسوق اليها الماء من بلاد أخرى (١). وقد يتغير الحال بسبب أحوال العباد .

فالله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم، غير أنه يصرفه عن من يشاء حيث يشاء وكما يشاء، ومن تمام رحمته أن جعل فى الأرض وسائل لحفظه، وذلك لكى ينتفع منه الأحياء لأطول وقت ممكن، ويتمثل ذلك فى :

(أ) تكون الينابيع والعيون كما قال سبحانه :

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ..." . الزمر (٢١)

والينابيع جمع ينبوع من نبع الماء ينبع ، والينبوع عين الماء، والأمكنة التى ينبع منها الماء، والمعنى: أدخل الماء النازل من السماء فى الأرض، وجعله فيها عيونا جارية ، أو جعله فى ينابيع ، أى: فى أمكنة ينبع منها الماء (٢) .

(ب) تكون الآبار الجوفية ، قال تعالى :

" وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ" . المؤمنون (١٨)

فالله أنزل المطر بحكمته وتدبيره، فليس بالكثير الذى يغرق ويفسد مافى الأرض، ولا بالقليل فيجدب الأرض، وأمسكه وأسكنه فى الأرض حتى تكون بعد ذلك المياه الجوفية، وفى الآية دليل على العلاقة بين المياه

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٥٥) .

(٢) انظر تفسير الشوكانى (٤/٤٥٨) .

الجوفية، والمياه السطحية، وعظمة الله .[1]

(ج) تكون الأنهار، قال تعالى :

" أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً .....الآية " النمل (٦١)

فالله جعل الأرض مستقرا يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء، ودحوها وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم، وجعل أوساطها أنهارا جارية تنتفع بها المخلوقات .[2]

فماء المطر يستقر فى الأرض بعامل الجاذبية، ومافى الأرض من تعاريج تعمل على حفظ الماء، وتكون النهر .[3]

فاذا ماحفظت المياه العذبة بهذه الوسائل والطرق - كما أراد الله - تمكن الانسان من الاستفادة منها دائما سواء بالشرب-كما ذكرنا سابقا-أم بالوضوء أم الاستحمام، وازالة النجاسة، وغسل الملابس..... الخ .

(٣) أثر الماء فى حياة النبات ومايترتب عليه من نعم للانسان :

فالماء ضرورى لحياة النبات ضرورته لحياة الانسان، كما يقول سبحانه :

" هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ ....الآية " . النحل (١٠-١١)

وقوله : " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ " . الأنبياء (٣٠)

سبحانه جعل هذا الماء أحد عوامل نمو الزرع المختلف الأشكال والألوان والطعوم على الرغم من أن خصائصه واحدة، ومجراه واحد[4]، وفى ذلك

---

(١) تفسير الظلال (٢٠/١٨) بتصرف .
(٢) تفسير الألوسى (٦/٢٠) بتصرف .
(٣) التفسير العلمى للآيات الكونية (ص ٤٣٣ - ٤٣٤) بتصرف .
(٤) تفسير ابن كثير (٦١١/٢) بتصرف يسير .

دلالة على عظيم صنع الله وقدرته حيث قال : "وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" . الرعد (٤)

ويتعرف أخيرا علماء النبات على هذه الحقائق العظيمة، ويؤكدون أن للماء أهمية ضرورية لحياة النبات يتمثل فى أمور منها :

أهمية الماء فى عملية التمثيل الضوئى (البناء الضوئى) فى النبات :

وهى أهم عملية لاستمرار حياة النبات، بل وحياة الأحياء جميعا، فمنها يتكون أهم دعامات الحياة : الطاقة والأكسجين . والماء أساس فى اتمام هذه العملية حيث يأخذ النبات الأخضر الماء، وما يذوب فيه من أملاح وغيرها من التربة، وفى الوقت نفسه يأخذ ثانى أكسيد الكربون من جو الأرض، اضافة الى الأمونيا التى تنزل مع المطر مع وجود المادة الخضراء، وضوء الشمس (١) .

فالمطر يغذى كل ورقة شجر، ويجرى فى تجاويفها . ويروى العرق، ومن ثم يجرى من هذا العرق الكبير الى العروق الصغيرة المنتشرة فيها ليغذيها وينميها، ومن ثم تبقى طراوتها ونضارتها (٢)، كما يعمل الماء على تعويض مايفقده الزرع من الماء فى عملية النتح، حيث يخرج الماء فى هذه العملية على هيئة بخار عن طريق الثغور المنتشرة فى الأوراق (٣) .

ويتم التعويض أثناء عملية البناء الضوئى، فالماء أساس لحياة الأرض الميتة حيث تحيا بنزول المطر، ونمو النباتات يتضح ذلك من قوله تعالى : " وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ . وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ" يس (٣٣-٣٤)

(١) كتاب التوحيد - الشيخ عبد المجيد الزندانى (٣٩/٣) بتصرف .
دار السلام، دار المجتمع - جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
(٢) احياء علوم الدين (٣٧٨/٤) بتصرف .
(٣) ظواهر جغرافية فى ضوء القرآن الكريم (ص ٢٨٩) بتصرف .

فليعتبر كل منشغل عن ذكر الله، وليرجع الى ذكره سبحانه، وقراءة القرآن ففي ذلك احياء للقلوب الميتة .

(٤) أثر الماء في حياة الأنعام، وما في ذلك من فوائد تعود على الانسان:

فالماء أحد أسباب استمرار حياة الأنعام كبقية الأحياء، يشير الى ذلك قوله تعالى : "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ" . النحل (١٠)

والسوم في اللغة أصله الذهاب في ابتغاء الشيء، فهو لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء للشيء، فأجري مجرى الذهاب في قولهم : سامت الابل فهي سائمة ، وقيل: سمت الابل في المرعى وأسمتها وسومها .(١)

فالمراد من كل ذلك، أن الأنعام تتغذى ببعض أنواع النباتات، وهذا الكلأ لاينبت الا بوجود الماء . فالغذاء سبب من أسباب استمرار حياة الأنعام، كما يقول ابن عباس في قوله : " وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ" : (شجر يرعون فيه أنعامهم وشاءهم) .(٢)

كما تحتاج الأنعام الى شرب الماء لاستمرار حياتها، قال تعالى :
"وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا" . الفرقان (٤٨ -٤٩)

وبشرب هذه الأنعام للماء، وأكلها للكلأ تستمر حياتها بارادة الله، ويترتب على ذلك كله سعادة الانسان، لأنها من النعم التي يتغذى بها الانسان ويتمتع بها .

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٢٨٢/٣) (بصيرة في سوم) بتصرف يسير .
(٢) تفسير الطبري (٧٦٠/١٤) .

فالسبب الرئيسى لاستمرار حياة الأحياء على وجه الأرض هو المطر النازل من السماء حيث يقول سبحانه :

" وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ" الذاريات (٢٢-٢٣)

ان من قرأ وتأمل فى هاتين الآيتين سوف يلهج لسانه بذكر الله والنطق بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله كما حصل للأعرابى الذى تعرف عليه الأصمعى (١) ،حيث يحكى ماحدث بقوله : "أقبلت من جامع البصرة ،فطلع أعرابى على قعود له فقال : ممن الرجل ؟ قلت : من بنى اصمع . قال : من أين أقبلت ؟ قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. فقال : اتل عليّ . فتلوت "والذاريات" ... فلما بلغت قوله تعالى "وفى السماء رزقكم وماتوعدون " قال : حسبك ! فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر،وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى ،فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف ،فاذا أنا بمن يهتف بى بصوت دقيق. فالتفت فاذا أنا بالأعرابى وقد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة. فلما بلغت الآية صاح وقال : قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا،ثم قال : وهل غير هذا ؟ فقرأت (فورب السماء والأرض انه لحق) فصاح وقال : ياسبحان الله من الذى أغضب الجليل حتى حلف ؟ لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه الى اليمين ،قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه " (٢) . اهـ

---

(١) الأصمعى (١٢٢ - ٢١٦هـ) الأصمعى - بمفتوحه وسكون مهمله وفتح الميم واهمال عين منسوب الى جده أصمع - .
هو عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن على بن أصمع بن مطهر بن رباح ابن عمرو الباهلى أبو سعيد الأصمعى البصرى أحد الأعلام وراوية العرب عالم باللغة والشعر والبلدان قيل انه حفظ ستة عشر ألف أرجوزة كان كثير التطواف فى البوادى يقتبس علومها ويتلقى أخبارها ويتحف بها الخلفاء فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة . وكان من أعلم الناس فى وقته فى مختلف العلوم وكان يتقى تفسير حديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما يتقى أن يفسر القرآن،كان بحر فى اللغة مولده ووفاته بالبصرة . من تهذيب التهذيب (٤١٥/٦ - ٤١٧) بتصرف كذلك الاعلام (١٦٢/٤) بتصرف .

(٢) انظر فى ظلال القرآن (٢٧/٧) .

ان هذه القصة مهما كانت درجة صحتها تدل على أن كل مفكر متدبر في الآيات لابد أن يصل الى النتيجة،وهى ادراك مدى عظمة وقدرة الخالق سبحانه ووحدانيته ،قال تعالى :

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" محمد (٢٤)

ومن تمام نعم الله على عباده، أن أنزل ماء المطر عذبا سائلا، فلم يكن ملحا أو صلبا يصعب على الناس شربه أو استخدامه ،قال تعالى :

"أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ" الواقعة (٦٨ - ٧٠)

فى هذه الآية سؤال انكارى فيه تحد لكل منكر يدعى قدرته على انزال المطر بطريقة خلط نسبة من ذرات الأكسجين مع نسبة من ذرات الهيدروجين،وحاولوا بهذه الطريقة، الا أن محاولتهم باءت بالفشل لأن هذه العملية تتطلب درجة حرارة معينة يصعب توفيرها،ودقة كبيرة لم يتمكن أحد من تحقيقها[٢]، وفى ذلك قال هربرت سبنسر[٣] : "ان العالم الذى يرى قطرة الماء فيعلم أنها تتركب من الأكسجين والأيدروجين بنسبة خاصة،

---

(١) كتاب التوحيد (٣٣/١) بتصرف . كذلك آيات الله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق) محمد الأميرى (٢٦٢/٢) بتصرف .

(٢) آيات الله تعالى (٢٦٤/٢) بتصرف .

(٣) هربرت سبنسر (١٨٢٠ -١٩٠٣م) .

فيلسوف انجليزى درس الهندسة ثم تحول الى دراسة العلوم الطبيعية وعلم النفس . التقى بالامام محمد عبده فى أثناء زيارته لانجلترا سنة ١٩٠٣م . وبنى سبنسر آراءه التربوية على أسس علمية كما فعل فى فلسفته كلها وذهب الى أن غاية التربية هى اعداد الانسان للحياة الكاملة،ثم نقد مناهج التربية وأساليبها المألوفة فى عصره ،لأنها تعنى بالآداب واللغة وتهمل علوم الطبيعة . واهتم ببيان تأثير هذه العلوم فى تهذيب العقل والخلق بالاضافة الى فائدتها فى الحياة والفعالية الصناعية كما ألح على ضرورة العودة الى الطبيعة وكان له فضل كبير فى اشاعة الروح العلمية .

من الموسوعة العربية الميسرة (٩٦٠/١) بتصرف .

بحيث لو اختلت هذه النسبة لكانت شيئا آخر غير الماء، يعتقد عظمة الخالق وقدرته وحكمته وعلمه الواسع بأشد وأعظم وأقوى من غير العالم الطبيعى الذى لايرى فيها الا أنها قطرة ماء فحسب (١)، ومما يدعو للأسف أن نسمع ادعاء البعض مشاركتهم الله سبحانه وتعالى فى انزال المطر، وذلك عن طريق (المطر الصناعى) حيث يتم فيه التلقيح الصناعى للسحب عن طريق الطائرات أو المولدات الأرضية التى ترش المواد الكيماوية (بودرة الفضة، ومسحوق ملح الطعام الصخرى، وثانى أكسيد الكربون الجاف). من أعالى الجو على السحب مما يؤدى الى سرعة تكاثفها لكى ينزل المطر (٢) .

ونقول : ان كل عاقل يؤكد فساد ادعائهم بل وفشل تجاربهم، ومع ذلك نفترض نجاح تجربتهم ولو على نحو ضئيل لكن لايمكن الاعتقاد باشراكهم الله فى انزال المطر، لأن عملهم هو تحصيل حاصل، فهو سبحانه وحده سن السنن لنزول المطر، ومافعلوه هو العمل على الاسراع فى تحقيق سنة من هذه السنن . فلو أنه سبحانه أمر بتفرق السحب المتجمعة فلن ينزل المطر مهما حاول البشر، حتى أن علماء الأرصاد الغربيين قالوا : (انه لن يمكن أبدا اسقاط المطر من سحابة لاتحتوى على سمات السحابة القابلة للهطول، أو من سحابة لم تصل الى درجة ملائمة من التطور أو النضج) (٣) .

فعلى كل انسان شكر الله اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبالمؤمنين العارفين الشاكرين لخالقهم عند كل شربة ماء، ويدعوه سبحانه أن يديم هذه النعمة التى تبعث فى النفس الانتعاش، وتلطف وترطب الجو،

---

(١) انظر: الله فى العقيدة الاسلامية ـ حسن البنا (ص ٢١) . دار الشهاب القاهرة .

(٢) القرآن والعلم (ص ١١٢) بتصرف .

(٣) انظر القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم (ص ٢٠٣) .

وتطفىء العطش، وتحيى الأرض الجافة، وتبث فيها الحركة الدائبة، وتنضج الثمار، وتتفتح الأزهار، وتخرج الأنعام الى المرعى، فتأكل الكلأ، وتدخل البهجة والسعادة لكل من يعيش على ظهر الأرض .

(فالحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى، ولامودع، ولامستغنى عنه ربنا) (١).

---

(١) رواه البخاري عن أبي أمامة في الأطعمة من باب (٢٢) (كان يقول اذا فرغ من طعامه) حديث رقم (٥١٤٢) (٥/٢٠٧٨) . صحيح البخاري تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار القلم دمشق، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

الفَصْلُ الثَّالِث

وجود النبات المختلفة

أهميتها وفوائدها للإنسان والحيوان - تعدد تلك الفوائد في الأغراض المختلفة - اختلاف التربة وأثرها في ذلك - الحكمة من ذلك كله .

شواهد ذلك من الآيات .

الفصل الثالث

وجود النباتات المختلفة

وجود النباتات المختلفة ـ أهميتها وفوائدها للانسان والحيوان تعدد تلك الفوائد فى الأغراض المختلفة ـ اختلاف التربة وأثرها فى ذلك ـ الحكمة من ذلك كله ـ شواهد ذلك من الآيات ٠

النباتات فى اللغة :

النون والباء والتاء أصل واحد يدل على نماء الأرض فى مزروع ثم يستعار ،فالنبت معروف يقال نبت وأنبتت الأرض ٠ ونبت الشجر : غرسته ٠ (١)

وفى الصحاح : النبت : النبات يقال : نبتت الأرض وأنبتت ٠ والمنبت موضع النبات والينبوت : شجر ٠ (٢)

وفى اللسان : النبت : النبات وكل ما أنبت الله فى الأرض فهو نبت ٠ والنبتة : شكل النبات وحالته التى ينبت عليها ٠ والنبتة :الواحدة من النبات ٠ ونبت الزرع والشجر تنبيتا اذا غرسه وزرعه ونبتت الشجر تنبيتا : غرسته ٠ والنابت من كل شئ : الطرى حين ينبت صغيرا والتنبيت أول خروج النبات وأيضا مانبت على الأرض من نبات من دق الشجر وكباره ٠ (٣)

وفى البصائر النبات عام فى كل ماينبت ولقد اختص عند العامة بما يأكله الحيوان ٠ (٤)

---

(١) مقاييس اللغة (٣٧٨/٥) ٠

(٢) الصحاح (٢٦٨/١) ٠

(٣) لسان العرب (٩٥/٢ ـ ٩٧) ٠

(٤) بصائر ذوى التمييز (٩/٥ ـ ١٠) ٠

ولقد ذكر لفظ النبات بصيغة الفعل فى سورة النحل مرة واحدة فقط وبلفظ الزرع مرة واحدة أيضا وفى الآية نفسها وهى قوله تعالى :

"يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ" (١٠)

فالله تعالى ينبت بالماء النازل من السماء الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات أى من كل الفواكه أرزاقا لكم وأقواتا وادما وفاكهة نعمة منه على الانسان وتفضلا وحجة على من كفر به منهم (١)

وقد ذكر سبحانه فى الآية الكريمة الثمار تفصيل واجمالا فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذى يقتات به كالحنطة والشعير وما أشبههما لأن به قوام بدن الانسان ،وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادام والدهن والبركة وثلث بذكر النخيل لأن ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بالأعناب لأنها تشبه النخلة فى المنفعة من التفكه والتغذية . ثم ذكر سائر الثمرات اجمالا لينبه بذلك على عظم قدرته وجزيل نعمته على عباده وفى ذكر كل ذلك علامة دالة على قدرته سبحانه ووحدانيته (٢) . لذا ختم سبحانه الآية بقوله :

" إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" .

وفيها دعوة للتفكر فى الآيات القرآنية المعجزة بكل كلمة فيها والتفكر فى الآيات الكونية ومافيها من ابداع صنع الله (٣) .

إن الانسان أينما وجه نظره فى بقعة من بقاع الأرض فسيجد فيها - غالبا - نبتة خضراء ولو اقترب منها فسيجدها شجرة مثمرة أو غير مثمرة غذاء للانسان أو للحيوان أو لهما معا،وأنه يرى فى القطعة

---

(١) تفسير الطبرى (١٤/٥٩ - ٦٠) بتصرف يسير .
(٢) انظر تفسير الخازن (٤/٨٢) .
(٣) المرجع السابق (٤/٨٢) بتصرف .

الواحدة من الأرض أشجار متقاربة لكنها مختلفة الشكل والنوع واللون والرائحة والطعم على الرغم من أنها تسقى بماء واحد، قال تعالى :

" وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " الرعد (٤)

بيان أهمية النباتات، وتسخيرها للانسان والحيوان، ومافيها من فوائد عدة :

إن الآيتين السابقتين تشيران الى عظيم صنع الله فى خلق النباتات، وبيان أهميتها، وتسخيرها للانسان والحيوان .

ولقد أرشد الله سبحانه فى هذه الآية الى توفير الكلأ للأنعام حتى ينمو جسدها، ويتم الانتفاع بها فى الأغراض المختلفة، وهذا مايذكره ابن عباس عند تفسيره للآية، وهى قوله :"ومنه شجر فيه تسيمون"، أى : شجر يرعون فيه أنعامهم وشاءهم .(١)

وذكرنا سابقا أن السوم أصله الذهاب فى ابتغاء الشئ، فأجرى مجرى الذهاب فى قولهم : سامت الابل فهى سائمة .(٢)

فالمرشد هو الله موجد هذا الكلأ هو وحده اللطيف بعباده الخبير بأمورهم، ومايحتاجونه، والملاحظ أن هذا الرزق مستمر ودائم الى أن يشاء الله ،قال تعالى :

" الذى جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى. كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى " . طه (٥٣ – ٥٤)

(١) انظر تفسير الطبرى (٦٠/١٤) .
(٢) بصائر ذوى التمييز (٢٨٢/٣) (بصيرة فى سوم) .

ومن رحمته سبحانه أن يسر عملية الحصول على الكلأ حيث أخرج النبات والعلف[1] بلا تسميد ولاحرث للأرض .

والأعجب من ذلك كله أن هذه الحشائش على الرغم من ضعف بنيتها أوجد الله فيها قدرة وقوة تتكيف بها مع الجو، وتتحمل بها الحر والبرد، وفى بذورها قوة الانبات[2] .

وفى ذلك يلفت سبحانه نظر صاحب الحس المتبلد الى التفكر فى جليل نعم الله عليه فى قوله تعالى :

" فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ " عبس (٢٤ ـ ٣٢)

والمراد من قوله (وأبا) كل ماتأكله البهائم من العشب . فعن ابن عباس وجماعة : (أنه الكلأ والمرعى من أبه اذا أمه وقصده، لأنه يؤم ويقصد أو من أب لكذا اذا تهيأ له لأنه منتهى المرعى، ويطلق على نفس مكان الكلأ أيضا)[3] .

فسبحانه وهب الحياة والنماء لهذه الحشائش . من منحها القوة لتواجه العواصف والرياح، وتستمر فى الحياة، وتتغذى عليها الأنعام؟ اله مع الله أم اله غير الله صنع كل ذلك ما يدعى الملحدون المنكرون لوجود الله ؟ فالجواب عن هذه الاستفهامات أن الواهب والصانع والمدبر هو الله وحده لاشريك له، ولايمكن لغيره مهما أوتى من علم ايجاد الحياة فى كائن مهما ضعف وضؤل حجمه وان كانت أمثال الحشائش، كما اعترف بذلك العالم أوبارين[4] : " ان العلم الكيميائى عاجز عن ايجاد الحياة فى المختبر، وان الحياة لايمكن أن تبدأ من العدم ، والعلم لاشأن له الا بالمادة

---

(١) العلف : يقصد به علف الدابة والدجاجة والحمام وغيرها .

(٢) تفسير الجوهرى (١١٨/٨) بتصرف .

(٣) انظر تفسير الألوسى (٥٩/٣٠) .

(٤) أوبارين : رئيس المعهد الكيميائى فى الاتحاد السوفييتى ، وقد طلبت منه الحكومة السوفيتية التفرغ للبحث فى أمر واحد وهو امكانية ايجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيميائى وبعد بحث وعمل متواصل استمر مايقرب من سبعة وثلاثون عاما أعلن نتيجة فشله وذكر التقرير الرسمى الذى ذكرناه .

المحسـة" (١) .

أفلا يدل ذلك كله على أنه سبحانه وحده المختص بابداع الكون، وايجاد الحياة فيه ،قال تعالى :

" أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ " . العنكبوت (١٩)

أهمية النبات للانسان :

انه بالرغم من أن الانسان يحرث الأرض،ويضع البذرة ويسقيها بالماء العذب الذى أنزله الله،فان انبات النبات،واستمرار حياته هو بارادة وقدرة الله سبحانه وحده،فهو المنبت الحقيقى للنبت فى كل زمان ومكان لذا جاء الفعل بصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد (٢) ،فى قوله تعالى : فى سورة النحل :

"هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ" (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ... " (١١)

والله تبارك وتعالى بارادته يشق الحب كحبة الشعير أو الحنطة وغيرهما من الحبوب والنوى الموجود داخل الثمرة من تمر وخوخ وغيرهما من الثمار فى الظروف المهيئة لها،وتأتى ارادة الله ليتم لها النمو والحياة فتنشق الحبة أو النواة الميتة الجامدة من أعلاها،حيث يخرج الشجر الصاعد الى الهواء فوق سطح الأرض،وشق آخر من أسفلها،فيخرج الشجر الهابط تحت سطح الأرض،ويسمى بعروق الشجر،وتنمو الأشجار،وتظهر أوراقها،وباستمرار حياتها تزهر ثم تثمر (٣) . قال تعالى :

---

(١) انظر شبهات وردود ،عبدالله ناصح علوان (ص ٣١) . دار السلام بيروت ،حلب ، القاهرة ،ط الخامسة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢) تفسير الألوسى (١٠٦/١٤) بتصرف .

(٣) تفسير الرازى (٩٥/١٣) بتصرف .

"إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ " . الأنعام (٩٥)

هذه الحقيقة يجب أن يعرفها ويفهمها كل انسان، وأن يكون دائم التعلق بربه شاكرا له فلو شاء الله لجعل النبات حطاما، ولما أفاد منه الانسان كما يقول تعالى : "أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ. أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ. لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ . إِنَّا لَمُغْرَمُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ".

الواقعة (٦٣ - ٦٧)

بعض مظاهر تسخير النبات للانسان، والنعم المترتبة على وجوده .

(١) احتياج الانسان الى الغذاء النباتي :

ويتمثل في الزرع (أنواع الحبوب) والثمار من فواكه وغيرها، يشير الى ذلك قوله تعالى : " يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" . النحل (١١)

فالآية الكريمة ذكرت الغذاء النباتي، فقدم الأهم وما هو أصل الأغذية، وقوت أكثر أهل العالم ألا وهي الحبوب من قمح وشعير وحنطة ... الخ . يتضح ذلك من قوله تعالى : " يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ .." .

ثم أتبعه بذكر الزيتون والنخيل والأعناب وغيرها من الثمرات بشكل مجمل فقال : " وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ"[1] . لأنه مما يتفكه به والأصل يقدم على ما يتفكه به .

الحكمة من ذكر (الزيتون ، النخيل ، الأعناب) بعد ذكر الحبوب :

ان المتأمل في الآية الكريمة يجد فيها اشارة الى وجود القصد والعناية في الخلق، فالله خالق البشر، ومدبر أمرهم عالم أن الغذاء

(١) تفسير الخازن (٨٢/٤) بتصرف .

المتكامل للانسان لابد من اشتماله على المواد النشوية (السكرية)، والكربوهيدراتية، والمواد الدهنية، وهذه الثلاثة توجد في النباتات، فالمواد النشوية نستخرجها من الحبوب على اختلافها، والدهنية من الزيت، وأفضلها زيت الزيتون، والسكرية، والكربوهيدراتية أهم مصادرها النخيل والأعناب .

فسبحانه خاطب العرب بأشياء يعرفونها ويتناولونها، ولكن القرآن الكريم لم يقتصر على مخاطبتهم وحدهم بل يخاطب كل الناس في كل زمان ومكان، ويلفت نظرهم الى هذه الأنواع من الحبوب والفواكه لعظم فوائدها، وليحرصوا على تناولها، فيكتمل بناء أجسادهم كما ثبت لدى علماء العصر الحديث، وفي ذلك كله دلالة على أن القرآن الكريم كلام الله .[1]

اضافة الى أنه مما يتفكه به .

الحكمة من تقديم ذكر الزيتون على أنواع الثمرات :

ذكر الامام الرازي في تفسيره ماملخصه : " أن الزيتون غذاء، فهو ادام لكثرة مافيه من الدهن فيغمس فيه الخبز، كما أنه نوع من أنواع الفواكه . وللزيتون فوائد عظيمة حيث يستخدم زيته في الادهان، والطلي، واشعال السرج، ويعتبر أفضل أنواع الزيوت " .[2]

كما قال تعالى في سورة النور آية (٣٥) : " اَللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" .

وأقسم سبحانه بالزيتون فقال : " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ" التين (١)

ويكتشف العلماء في العصر الحديث فوائد أخرى للزيتون، ويجمعون على أنه غذاء جيد لما فيه من نسبة كبيرة من البروتين، واحتوائه على

---

(١) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ،نديم الجسر(ص ٣٦٢- ٣٦٣) بتصرف . المكتب الاسلامي - بيروت - ط الثالثة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

(٢) تفسير الرازي (٢٤٠/١٩) بتصرف .

الأملاح الكلسية والحديدية والفسفورية، وهي مواد هامة وأساسية في غذاء الانسان ،كما يحتوي على فيتامينات (أ)، (ب)، (د) . ويستخرج من ثمار الزيتون الزيت الذي يحتوي على نسبة عالية من الدهون السائلة، ويستخدم بكثرة في التغذية، وتفيد الأبحاث الطبية أن لزيت الزيتون أثرا جيدا على الجهاز الهضمي والكبد، وأنه ملطف للجلد، (١) بالاضافة الى ذلك فان زيت الزيتون يدخل في صناعة الصابون، وقد عرفت الشعوب قديما وحديثا أهمية هذه الشجرة المباركة حتى جعلها بعض الأقوام رمز الحكمة والخصب والمجد والسلام (٢) . وقد شكلت دول العالم المنتجة له مجلسا يسمى بالمجلس الدولي للزيتون حيث أبرمت اتفاقية لتحسين انتاج وزراعة الزيتون (٣) .

الحكمة من تقديم النخيل والأعناب على غيرها من الثمرات بعد ذكر الزيتون في الآية الكريمة من سورة النحل :

لاشك أن لنعمة وجود النخيل فوائد كثيرة، فقد ثبت طبيا أن ثمارها غذاء كامل يحوي كل أنواع المواد الغذائية التي يحتاج اليها جسم الانسان (٤) . يتضح ذلك من تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم لها بالرجل المسلم فقال : " ان من الشجر شجرة لايسقط ورقها، وانها مثل المسلم فحدثوني ماهي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي قال عبدالله : ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت . ثم قالوا : حدثنا ماهي يارسول الله

(١) ظواهر جغرافية في ضوء القرآن (ص ٢٧٢ -٢٧٣) بتصرف .
(٢) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن (ص ٣٦٣) بتصرف .
(٣) كتاب الزيتون - تربية الأشجار وتصنيع الثمار - عبداللطيف واكد (ص ٩٨) بتصرف . مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة .
(٤) معجزة القرآن - نعمت صدقي (ص ٦٩) . دار الاعتصام ،القاهرة ، ط ٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

قال : هي النخلة [1] .

وثمرة النخلة أهم مصدر نباتي لدى العرب،لاسيما وأنها دائمة الخضرة، وذات عمر طويل،وتنمو في المناطق الحارة والمعتدلة والجافة،وتتحمل الجفاف والملوحة [2] ، ومن ثم فهي لاتكلف المزارع سوى جهد بسيط،بل وقد تزرع من غير حاجة الى زارع،ولاتحتاج الى سقيا لأن جذورها تمتد في أعماق الأرض،فترتوي من الماء الذي أسكنه الله في الأرض ،ولأنها مرتفعة فقد جعل الله حول جذعها سلما ليصعد عليها الانسان بيسر وسهولة ليصل الى أعلاها،ويجني ثمارها [3] . ولها عدة مسميات حسب مراحل نضجها،فمن أسمائها المعروفة بُسْر أو بُسُر : عندما تكون الثمرة خضراء صلبة،ولها أطوار ،فقد يصفر لونها أو يحمر،وتسمى رطبا عندما تصبح الثمرة طرية لينة ،وبلحا وذلك إن لم تكن الثمرة رطبا أي:أن الثمر مازال أخضرا . وثمرا:حين الانعقاد الى حين الادراك،وتقابل الزبيب في العنب،وهذا النوع يحتوي على نسبة عالية من المواد الكربوهيدراتية والدهن والماء والأملاح المعدنية والفيتامينات مما يجعله ذا قيمة غذائية كبيرة [4] . لذلك كان أغلب طعام الرسول صلى الله عليه وسلم التمر،يؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (بيت لاتمر فيه جياع أهله) [5] . ويحبب الرسول صلى الله عليه وسلم أمته الافطار على حبات

---

(١) صحيح البخاري (٢٢/١) كتاب العلم ،باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا أو أنبأنا .

(٢) نباتات في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ـ د. كمال الدين البتانوني (ص ٥٢ ـ ٥٣) بتصرف .

(٣) معجزة القرآن (ص ٦٩) بتصرف .

(٤) نباتات في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (ص ٥٦ ـ ٥٧) بتصرف .

(٥) في مسند أحمد (١٨٨/٦) المكتب الاسلامي ،بيروت . وفي صحيح مسلم بلفظ آخر:عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايجوع أهل بيت عندهم التمر (١٦١٨/٣) كتاب الأشربة باب (٢٦) باب في ادخال التمر ونحوه من الأقوات للعيال حديث رقم ٢٠٤٦/١٥٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى =

من التمر فيقول عليه الصلاة والسلام :(اذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر) (١) .

ويكشف العلم الحديث عن أهمية هذا الارشاد من الرسول صلى الله عليه وسلم، ويذكر بعض الفوائد المترتبة على الافطار بحبات التمر لما فيه من الطعم الحلو، ومايحتويه من السكر مثل الفركتوز والمعادن والبروتين، ومن ثم يزود الانسان بما يحتاجه من الطاقة والقوة ،فيعتبر أحسن غذاء، كما أنه سهل الامتصاص، ولايحتاج الى وقت للهضم لاسيما أن المعدة تكون خالية ساعة الافطار (٢) .

ولهذه الأسباب كان الرطب أفضل غذاء للحامل، كما أوضح ذلك سبحانه وأرشد اليه مريم أم عيسى عليهما السلام عندما اجاءها المخاض الى جذع النخلة ،قال تعالى :

" وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا . فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا" مريم (٢٥ - ٢٦)

= ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م . وفى سنن أبى داود (١٧٤/٤) كتاب الأطعمة باب (٤٢) باب فى التمر حديث رقم (٣٨٣١) تحقيق عزت عبيد الدعاس دار الحديث حمص - ط١ - ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م . وفى سنن الترمذى (٢٦٤/٤ - ٢٦٥) كتاب الأطعمة باب (١٧) ماجاء فى استحباب التمر حديث رقم (١٨١٥) تحقيق ابراهيم عطوة عوض دار احياء التراث العربى ،بيروت . وفى سنن ابن ماجه (١١٠٤/٢) كتاب الأطعمة باب (٣٨) باب التمر حديث رقم (٣٣٢٧) ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ،دار الفكر بيروت (عن عائشة رضى الله عنها) .

(١) رواه الترمذى فى سننه (٧٨/٣ - ٧٩) كتاب الصوم باب رقم (١٠) ماجاء مايستحب عليه الافطار حديث رقم (٦٩٥) وقال حديث حسن صحيح .
وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصوم باب رقم (٢١) باب مايفطر عليه حديث رقم (٢٣٥٥) عن سلمان بن عامر الظبى .

(٢) خلق الانسان بين الطب والقرآن د. محمد على البار (ص ٤٥٨) بتصرف . الدار السعودية للنشر - جدة - ط٤ - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

وهذا ماشجع أطباء العالم على نصح كل حامل بتناوله، وعدم اللجوء الى دواء آخر لما يحتويه من مواد قابضة للرحم تقبض العضلات الرحمية مما يساعد على اتمام عملية الولادة بسهولة، ويحتوى على مواد ملينة تنظف الأمعاء من الفضلات، فيساعد أيضا فى تسهيل الولادة، ويمنع النزيف الذى يحصل للكثيرات بعد الولادة (١) . لأنه يعمل على خفض ضغط الدم عند الحامل فترة ثم يعود لطبيعته، وهذا أمر فى غاية الأهمية (٢) .

وقد عرف العرب منذ زمن بعيد القيمة الغذائية للتمر، فكان المصدر الرئيسى لغذاء المجاهدين، وتزويدهم بالقوة الجسدية، حيث لم يكن لهم غذاء غيره فى أغلب الأحيان، وتنبهت الولايات المتحدة الأمريكية حاليا الى أهمية التمر فأخذت من شبه الجزيرة العربية غرس النخيل، وغرستها فى احدى ولاياتها (٣) .

ومن الفوائد المترتبة على وجود النخيل الافادة من خواصها وجريدها لبناء الأكواخ، وصنع بعض أنواع الأثاث .

ولاتقل أهمية الأعناب عن النخيل، وقد ذكرها سبحانه بعد النخيل فى الآية الكريمة من سورة النحل فى قوله تعالى :

"يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ ..." (١١)

وهى من الأشجار التى ينتفع بها الانسان من أول بدء ثمرها الى نهايتها وبعد قطافها من حيث كونها غذاء، حيث يظهر على الشجرة خطوط خضراء دقيقة حامضة لذيذة الطعم، ثم يظهر الحصرم (٤) وهو طعام مفيد

---

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٤٥٨) بتصرف .

(٢) مع الطب فى القرآن (ص ٢٩) .

(٣) التمر خير غذاء وأفضل علاج ، يوسف جبريل أبو فرج الله (ص ١٣) بتصرف دار الأنصار – القاهرة .

(٤) الحصرم : بكسر الحاء وسكون الصاد وكسر الراء هو أول العنب ولايزال العنب مادام أخضر حصرما . لسان العرب (١٢/١٣٧) .

للأصحاء والمرضى، ويتخذ شرابا لعلاج بعض الأمراض، وغذاء مفيدا حتى اذا صار عنبا صار ألذ فاكهة وأشهاها، ويمكن أن يدخر بشكل زبيب أو دبس أو خل (١) .

ولأهمية النخيل والأعناب، وفوائدهما الجمة فقد كرر الله ذكرهما في آية أخرى من سورة النحل بقوله : "وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" . (٦٧)

والسكر : مايسكر وهو الخمر، وهو نبيذ التمر، والرزق الحسن : ما أحل من ثمره من الأعناب والتمور (٢) ، وفى اللسان هو الخمر قبل أن يحرم، والرزق الحسن الزبيب والتمر، وما أشبههما (٣) .

وقد نزلت هذه الآية فى معرض الامتنان، فبينت أن من النعم المترتبة على وجود النخيل والأعناب فى السكر والرزق الحسن. لأن الآية نزلت قبل آية تحريم الخمر، كما يتضح ذلك من قول ابن عباس : (نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر وأراد بالسكر الخمر، وبالرزق الحسن جميع مايؤكل ويشرب حلالا من هاتين الشجرتين (٤)) . ومايؤكد ذلك أن هذه الآية نزلت قبل نزول آية تحريم الخمر، وهى مكية باتفاق العلماء، وآية تحريم الخمر مدنية (٥) . وان كان لابن عباس قول آخر فى موضع آخر فى تفسير الآية نفسها قال : " فأما الرزق الحسن فما أحل من ثمرتهما، وأما السكر فما حرم من ثمرتهما (٦) " .

وليس فى القولين تعارض لأن الآية نزلت قبل تحريم الخمر، وهذا أمر متفق عليه، كما أن فى الآية اشارة وتنبيه على تحريم الخمر . فسبحانه

---

(١) تفسير الرازى (١١٥/١٣) بتصرف .
(٢) بصائر ذوى التمييز (٢٣٤/٣) .
(٣) لسان العرب (٣٧٤/٤) .
(٤) تفسير القرطبى (١٢٨/١٠) .
(٥) المرجع السابق .
(٦) تفسير الطبرى(٩٢/١٤) .

ميز بين السكر والرزق والحسن فى الذكر فوجب ألايكون السكر رزقا حسنا(١) وفى ذلك دليل على أن السكر ليس فيه حسن ولاخير حتى اعتبرها البعض أنها أول آية نزلت فى تحريم الخمر(٢)(٣) .

يتضح ذلك من أن الله تعالى ختم الآية بقوله :

" إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " . النحل (١١)

فناسب ذكر العقل ههنا لأنه أشرف مافى الانسان والخمر مفسدة للعقل لذا كان فى الآية اشارة الى تحريمه صيانة للعقل(٤) .

أما بالنسبة لوصفه سبحانه (النخيل والأعناب) بأنهما رزق حسن فلكونهما فاكهة يتغذى بهما الانسان لكنه تعالى ميزهما وشرفهما بذكرهما فى القرآن الكريم كثيرا .ويتميز هذان النوعان بكثرة أصنافهما،فالعنب

---

(١) تفسير الرازى (٢٠/٧٠) بتصرف .

(٢) التفسير الواضح ،د. محمد حجازى (٤/٥٢) بتصرف .

(٣) نزلت آية تحريم الخمر على مراحل وهى :

١ - من اعتبر ان هذه الآية " وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" النحل (٦٧) . وفيه اشارة للتحريم كما ذكرنا .

٢ - قوله تعالى : " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ...الآية" البقرة (٢١٩) فتركها البعض وقالوا لاحاجة لنا ولم يتركها البعض وقالوا : نأخذ منفعتها ونترك اثمها فنزلت الآية :

٣ - قوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَاتَقُولُونَ ....الآية" النساء (٤٣) فتركها البعض أيضا وقالوا لاحاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة وشربها البعض فى غير أوقات الصلاة حتى نزل قوله تعالى محرما الخمرقطعيا :

٤ - "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" المائدة (٩٠)

من تفسير القرطبى (٦/٢٨٦) بتصرف .

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٦٢٣) بتصرف .

مثلا قد يزيد على خمسين صنفا تقريبا، والتمر يقرب من ثلاثمائة صنف تقريبا (١) .

هذه بعض مظاهر تسخير بعض أنواع النباتات (الزرع والزيتون والنخيل والأعناب)، ولكنه سبحانه أحاط بكل شئ علما، فاشتمل القرآن على ذكر جميع أنواع الثمار والنباتات، وأنها من صنعه تعالى وقدرته، فقال بعد ذكر النباتات السابقة بالتفصيل: كلمة (الثمرات)، ويقصد بها سائر الثمرات اجمالا .

(٢) عملية التمثيل الضوئي، وأهميتها للانسان :

وهى عملية مهمة جدا للنبات بشكل خاص، وللانسان والحيوان بشكل عام، فهى أحد أسباب استمرار حياة الأحياء، لما فيها من عملية اتزان بين الانسان والحيوان من جهة، والنباتات من جهة أخرى، والمتمثل فى ثبات نسبة الأكسجين وثانى أكسيد الكربون فى الهواء الجوى دائما .

وهذه العملية لاتتم الا بوجود المادة الخضراء (الكلوروفيل) الموجودة فى النبات، وهذه الحقيقة ذكرها سبحانه فى سورة الأنعام آية (٩٩) قال تعالى : "وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ .."

فانفلاق الحب والنوى، وظهور الشجرة واستمرار حياتها، وتكون الأزهار والثمار ينبنى على وجود المادة الخضراء (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا) ثم قال " نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا" وفى ذلك دلالة على أهمية هذا الجزء للنبات يقول الامام الرازى فى تفسيره للآية الكريمة : " يخرج من هذا العود الأخضر الذى يخرج أولا، ويكون السنبل فى أعلاه، وفى سائر أنواع الحبوب (٢)،

(١) تفسير الألوسى (١٠٦/١٤ - ١٠٧) بتصرف .
(٢) تفسير الرازى (١١٣/١٣) .

وكذلك تخرج منه الجنات المتنوعة الأشجار والثمار، وترجع تلك الأهمية لأن المادة الخضراء (أوراق النباتات) يتم فيها صنع غذاء النبات[1]، ومن ثم يضمن الانسان استمرار غذائه النباتي .

وتتم عملية التمثيل الضوئي في أربع خطوات نلخصها في النقاط التالية :

(١) دخول ثاني أكسيد الكربون الموجود في الهواء الى أنسجة الورقة الخضراء .

(٢) امتصاص النبات الماء من التربة، ورفعه الى الأوراق بواسطة الجذور والسيقان .

(٣) امتصاص الكلوروفيل (اليخضور) جزءا من الضوء الواقع على الأوراق .

(٤) الطاقة المكتسبة بواسطة الكلوروفيل من الضوء، واستخدامها في إحداث تفاعل كيميائي ينتج عنه الكربوهيدرات في الورقة ، وطرد الأكسجين .

وبهذه الخطوات السابقة ينتج الكربوهيدرات (السكريات).
أي:غذاء النبات بقدرة الله تعالى وقوته

كما أن هذه العملية تعمل كما ذكرنا سابقا على ثبات نسبة الأكسجين الذى يستنشقه الانسان والحيوان من الهواء الجوى، ويعوضه النبات الذى يخرجه أثناء هذه العملية، ويأخذ ثاني أكسيد الكربون الخارج مع زفير

---

(١) أوجه الاعجاز (تصنيع الحبوب والثمار والنباتات والأشجار وغذاء الكائنات الحية في مادة خضراء يصنعها النبات) . للشيخ عبد المجيد الزنداني (ص ١ ـ ٢) بتصرف . (بحث مقدم لهيئة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة) . كذلك ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم (ص ٢٦٧) بتصرف .

الانسان والحيوان،وبالتالى نضمن استمرار حياة الأحياء[١] .

(انظر ملحق رقم ٨)

(٣) استخدام النباتات فى الأغراض الأخرى :

(أ) استخدام بعضها دواء للشفاء من بعض الأمراض مثل الحبة السوداء (حبة البركة)[٢] .

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الحبة السوداء:شفاء من كل داء الا السام ،قال ابن شهاب : والسام الموت ،والحبة السوداء الشونيز[٣] . (الكمون الاسود) .

(ب) يعتبر بعضه مصدرا لصنع الكساء كالقطن والكتان .

(ج) الافادة من الأخشاب لصنع الأثاث،والمنازل .

(د) تعتبر مصدرا هاما للوقود[٤] ،يشير الى ذلك قوله تعالى :

" الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ" .

يس (٨٠)

ومنها البترول ومشتقاته لأنه مواد متحولة من نبات مطمور[٥] .

بالاضافة الى كل ذلك فان فى رؤية وتأمل الأشجار والثمار أكبر نعمة للانسان،حيث تدخل البهجة والسرور والمتعة عليه ،قال تعالى :

" أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَاكَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ" . النمل (٦٠)

(١) الاسلام والنظر فى آيات الله الكونية (ص ١٥٠ - ١٥٢) بتصرف .
(٢) نباتات فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (ص ١١٨) .
(٣) صحيح البخارى (١٤/٧) كتاب (٧) (كتاب الطب) ،صحيح مسلم (١٧٣٥/٤) حديث رقم (٢٢١٥) كتاب السلام باب التداوى بالحبة السوداء .
(٤) كتاب التوحيد (٦٨/٢) بتصرف .
(٥) المنهج الايمانى للدراسات الكونية فى القرآن الكريم (ص ١٣) بتصرف .

وقبل أن نختم الحديث عن نعمة وجود النباتات، وتسخيرها للانسان، نود أن نوضح عظمة الخالق فى أمر حير الناس قديما وحديثا، وهو سر اختلاف أشكال النباتات وثمارها من حيث الطعم واللون والرائحة والأنواع على الرغم من كونها فى قطعة أرض واحدة وتسقى جميعها بماء واحد . قال تعالى : "وَفِى الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الْأُكُلِ ..." الرعد (٤)

قال ابن عباس رضى الله عنهما : قطع متجاورات العذبة، والسبخة متجاورات جميعا تنبت هذه وهذه الى جانبها لاتنبت (١)، ويترتب على ذلك أن يكون بعضها صالحا للزراعة بعكس الأخرى، وبعضها يصلح لأنواع من الزرع دون الأخرى ودون أن يكون حاجز بينها يفصلها كما يحصل الاختلاف من ثمار التربة الواحدة، فتجد ثمرة ناضجة وبجانبها ثمرة غير ناضجة، وثمرة طعمها حلو وأخرى بجانبها طعمها مر ....الخ (٢) .

ويذكر الشيخ نديم الجسر نتيجة خلاصة دراسات وأبحاث مستفيضة لعلماء النبات فى كتابه قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن" أن ذلك يرجع الى قدرة الله تعالى، لأنه أوجد فى بذور النباتات صفات وعناصر للتخطيط الشووى للخلية حسب نوع النبات، ومن ثم يتبع سيره فى تكوين الثمرات، وعجزوا عن معرفة بقية الأسباب (٣) . فظاهرة هذه الاختلافات تدل على عظمة الخالق سبحانه وقدرته العجيبة على الأحياء التى تجعل هذه المشاهد كلها حية فى الوجدان تهزه من أعماقه ليشعر بعظمة الله الخالق الذى أنشأ كل هذه العجائب" (٤) .

---

(١) تفسير الطبرى (١٤/٦٤) .
(٢) التفسير الواضح (٧/٨٣) بتصرف .
(٣) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن (ص ٣٦٢) بتصرف .
(٤) دراسات قرآنية (ص ١٥٦) بتصرف .

الفصل الرابع

الأنعام

مظاهر تسخيرها للإنسان - تعدد فوائد الانتفاع بها
شواهد ذلك من الآيات .

الفصل الرابع

الأنعـــــــام

مظاهر تسخيرها للانسان ـ تعدد فوائد الانتفاع بها ـ شواهد ذلك من الآيات .

الأنعام فى اللغة :

النون والعين والميم فروعه كثيرة، ويدل على أصل واحد يدل على الترف، وطيب العيش والصلاح منه . النعمة : ماينعم الله تعالى على عبده به من مال وعيش . والنَّعَم : الابل لما فيه من الخير، والنعمة . والنعم : ذكر لايؤنث . والانعام : البهائم . (١)

والنَّعَم : واحد الأنعام، وهى المال الراعية، وأكثر مايقع هذا الاسم على الابل . والأنعام : تذكر وتؤنث . (٢)

وفى لسان العرب : النعم : الابل خاصة ، والأنعام الابل والبقر والغنم . قال الفراء وفى قوله تعالى : " وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهِ " أن الأنعام هنا بمعنى النعم ، والنعم : تذكر وتؤنث والعرب اذا أفردت النعم لم يريدوا بها الا الابل ، فاذا قالوا الأنعام أرادوا بها الابل والبقر والغنم . (٣)

وفى البصائر : النَّعَم مختص بالابل، وقيل: بها وبالشاء، قيل: وبالبقر، والجمع أنعام، وأناعيم جمع الجمع ، قيل: ولايقال الأنعام حتى يكون فى جملتها الابل . (٤)

---

(١) مقاييس اللغة (٤٤٦/٥) .

(٢) الصحاح (٢٠٤٣/٥) .

(٣) لسان العرب (٥٨٥/١٢) .

(٤) بصائر ذوى التمييز (٩٠/٥ ـ ٩١) .

وقد ذكر لفظ الأنعام ثلاث مرات فى سورة النحل وهى فى :

(١) قوله تعالى : " وَالأَنعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ " .

الآية (٥ - ٦)

يمتن الله تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام ((الابل والبقر والضأن والمعز كما فصلها فى سوة الأنعام) .(١)

والمنافع المترتبة عليها منها ضرورية، ومنها غير ضرورية، وقد بدأ سبحانه فى الآية الكريمة بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى :" لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ" وهو مايستدفأ به من اللباس والأكسية ونحوها المتخذة من الأصواف والأوبار والأشعار الحاصلة من النعم.(والمنافع) مثل الانتفاع من نسلها بالأكل أو بالركوب والحمل عليها،والانتفاع بلبنها،وغير ذلك من المنافع." وَمِنهَا تَأْكُلُونَ" ويراد به أكل لحومها (٢) ،ويدخل ضمن المراد من قوله تعالى "مِنهَا تَأْكُلُونَ" أكل لحوم الأنعام وكبدها،والطحال وغيرها، كما يراد منها عدم حصر أكل اللحوم على لحوم الأنعام فقط،بل يشمل أكل لحوم الطير، وغير ذلك مما أحله الله تعالى،وان كان المعنى يفيد الحصر لكنه ليس كذلك . (٣) (والحصر هنا اضافى وليس حقيقى)

وقد قدم سبحانه ذكر اللباس على الأكل فى الآية الكريمة من سورة النحل لأن منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الأكل . (٤)

ثم أتبع سبحانه ذكر المنافع الأقل ضرورة فى وجود الأنعام وأهميتها للانسان،فذكر نعمة الزينة فقال : " وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ"،والاراحة تكون حين رد الابل بالعشي الى مراحها،حيث تأوي

---

(١) تفسير القرطبى (١٢٣/١٠) .

(٢) تفسير الخازن (٨٠/٤) بتصرف .

(٣) تفسير الفخر الرازى (٢٣٣/١٩) بتصرف .

(٤) انظر تفسير الخازن (٨٠/٤) .

اليه بالليل والسرح يكون حين ذهابها الى المرعى بالغدوة والمتتبع لها ببصره يشعر بالسعادة وتعلق القلب ويرغب فى الاستمرار بالنظر (١)

وقد قدم سبحانه ذكر الاراحة على التسريح لأن منظر الأنعام عند الاراحة أجمل،وذواتها أحسن لكونها فى تلك الحالة قد نالت حاجتها من الأكل والشرب ،فعظمت بطونها وانتفخت ضروعها، (٢) وخص هذين الوقتين لأنهما وقت نظر الناظرين اليها لأنها عند استقرارها فى الحظائر لايراها أحد بينما يراها الجميع فى هذين الوقتين ،ويفرح أربابها وتتجمل بها الأفنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس. (٣)

ثم ذكر سبحانه وجها آخر من أوجه تسخير الأنعام وذلك بالحمل عليها فتحمل الأحمال الثقيلة التى يعجز الانسان عن نقلها وحملها فى السفر والانتقال وفى الحج والعمرة والغزو والتجارة وماجرى مجرى ذلك . (٤)

كما ذكر سبحانه الأنعام وتسخيرها للانسان فى الآية (٦٦) من سورة النحل فقال تعالى :

" وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ " .

ذكر سبحانه فى الآية الأنعام باعتبار بعضها وهى الاناث التى يكون منها اللبن (٥) ،وفى ذلك عبرة لكل من اعتبر من حيث تسخيرها لأربابها وطاعتها لهم . (٦)

---

(١) تفسير ابن كثير (٦٠٩/٢) .
(٢) انظر تفسير الشوكانى (١٤٨/٣) .
(٣) تفسير الخازن (٨٠/٤) .
(٤) تفسير ابن كثير (٦٠٩/٢) .
(٥) تفسير الألوسى (١٧٦/١٤) .
(٦) تفسير القرطبى (١٢٣/١٠) .

ومنها خروج اللبن من ضروع الأنعام[1] مستخلصا من بين فرث مما تبقى في الكرش بعد الهضم، وامتصاص الأمعاء للعصارة التي تتحول الى دم يذهب الى كل خلية في الجسم، فاذا صار الى غدد اللبن في الضرع تحول الى لبن ببديع صنع الله، الذي لايدرى أحد كيف يكون[2]. ومن عظيم صنع الله تعالى أن يتصف هذا اللبن بالبياض ويكون خالصا من حمرة الدم وقذارة الفرث، لذيذا هنيئا لايغصّ به من شربه يسهل مدخله الى الحلق[3].

والآية الثالثة في سورة النحل، والتي ذكرت لفظ الأنعام قوله تعالى : " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ "

(٨٠)

فالله تعالى جعل للناس البيوت التي هي من الحجر سكنا يسكنون فيها أيام اقامتهم في دورهم وبلادهم[4]، وجعل لهم من جلود الأنعام بيوتا

---

(١) ان قوله في الآية من سورة النحل في اخراج اللبن من بطون الأنعام بالتذكير في سورة النحل فقال تعالى : " مِمَّا فِي بُطُونِهِ " وبالتأنيث في سورة المؤمنين فقال تعالى : " مِمَّا فِي بُطُونِهَا " يوضح الرازي في تفسيره عن السبب في الاختلاف بقوله : ان قوله تعالى (مِمَّا فِي بُطُونِهِ) الضمير عائد الى الأنعام فكان الواجب أن يقال (مِمَّا فِي بُطُونِهَا) وذكر النحويون فيه وجوها . الأول : أن لفظ الأنعام لفظ مفرد وضع لافادة جمع كالرهط والقوم والبقر والغنم، فهو بحسب اللفظ لفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد، وهو التذكير، وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع، وهو التأنيث، فلهذا السبب قال ههنا في بطونه، وقال في سورة المؤمنين (فِي بُطُونِهَا) . الثاني : قوله (فِي بُطُونِهِ) : أي في بطون ماذكرناه وهذا جواب الكسائي . الثالث: أن فيه اضمارا، والتقدير : نسقيكم مما في بطونه اللبن اذ ليس كلها ذات لبن . من تفسير الرازي (٢٠/٦٦) .

(٢) انظر تفسير الظلال (١٤/٧٧) .

(٣) تفسير الشوكاني (٣/١٧٤) بتصرف .

(٤) تفسير الطبري (١٤/١٠٣) بتصرف .

وهى البيوت المتخذة من أصواف الغنم وأوبار الابل وأشعار المعز يستخفون حملها يوم سفرهم ويوم اقامتهم فى بلادهم كما تستخدم متاعا للبيوت بصنع الأكسية والبسط[(١)] . وفرق الامام الخازن فى تفسيره بين الاثاث والمتاع من خلال ذكر واو العطف بينهما لأن واو العطف يوجب المغايرة فقال :

" والفرق بين الأثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فالأثاث : ماكثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ماينتفع فى البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين "[(٢)] .

فالله خلق الانسان ليعمر الأرض ويعلى كلمة الله فى أرجائها لذا كان لزاما على الانسان أن يقوى جسده وينمى بدنه بتناول الغذاء سواء كان غذاء نباتيا أو حيوانيا بأكل لحوم الأنعام التى أباح الله لنا أكلها كما قال تعالى :

" وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ" . النحل (٥ - ٦)

والأنعام هى الأزواج الثمانية المذكورة فى سورة الأنعام بقوله تعالى : "ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ .." (١٤٣، ١٤٤)

اذن الأنعام هى الابل والبقر والضأن والمعز . ومن مظاهر تسخيرها للعباد :

---

(١) تفسير الجلالين (٢٤٧/١) بتصرف .

(٢) انظر تفسير الخازن (١٠٨/٤) . بتصرف .

(١) آكل لحومها :

يقول الامام الطبري في تفسيره للآية الكريمة الخامسة من سورة النحل ماملخصه :

ان الأنعام مسخرة للانسان وجعل الله له من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس وليشرب الانسان لبنها ويركب ظهرها ويأكل لحمها [(١)] . ونلاحظ في الآية أن الله قدم ذكر المنافع على ذكر الأكل فقال : "لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ" ،وفي ذلك دلالة على أن الأكل أعظم المنافع يقول صاحب الكشاف : " والأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل أن طعمتكم منها،لأنكم تحرثون بالبقر ،فالحب والثمار التي تأكلونها وتكتسون بأكراء الابل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها [(٢)] .

ويذكرنا سبحانه بهذه النعمة أيضا في قوله تعالى :

" أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ . وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ" يس (٧١-٧٢)

ومن رحمة الله بعباده أن سخرهذه الأنعام وذللها على الرغم من ضخامتها وقوتها وجعلها غير مستعصية على الانسان في ذبحه لها [(٣)] .

ويعتبر أكلها من الحلال الطيب وأنها من طيبات الرزق وليست من المحرمات لأنه سبحانه جعل فيها من الصفات والخصائص مايؤدي الى نفع الانسان واستمرار عافيته وسعادته بينما هناك بعض ماحرم أكله وعظم ضرره

---

(١) تفسير الطبري (١٤/٥٥٠) بتصرف .

(٢) تفسير الكشاف (٢/٣٢٢) .

(٣) تفسير الألوسي (٢٣/٥١) بتصرف .

وفى تحريمه دليل على رحمة الله بعباده الذى أحل لهم أكل الطيبات، وحرم عليهم الخبائث،فكل ماحرمه الله هو مما تستقذره الفطرة السليمة من الناحية الحسية،وينفر منه قلب المؤمن [١] .

قال تعالى : " فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْكُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" . النحل(١١٤)

فهذه النعمة وغيرها من النعم تستوجب الشكر لله تعالى .

ويعتبر أكل لحوم الأنعام مصدرا ممتازا للغذاء والقوة لاحتوائها على مادة البروتين الحيوانى،وتوجد أعلى نسبة منها فى لحم الضأن ثم العجل ثم الجدى ثم الماعز والبقر [٢] .

(٢) الاستفادة من شرب لبن الأنعام :

يقول الامام الطبرى : أن من ضمن المنافع الانتفاع من ألبان الأنعام [٣] .

ويقول سبحانه فى آية أخرى من سورة النحل :

" وَإِنَّ لَكُمْ فِى الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ " (٦٦)

فوجه سبحانه نظر عباده الى هذا الشراب المغذى المفيد ،أول غذاء يتناوله كل مولود من الأحياء،ومنهم الانسان الذى لايستغنى عن شربه فى مراحل طفولته،لأن اللبن لايعدله غذاء،نظرا لعظيم فوائده . وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :" اذا أكل أحدكم طعاما فليقل : اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرا منه،واذا سقى لبنا فليقل اللهم بارك لنا

---

(١) تفسير الظلال (٩١/٦) بتصرف .
(٢) أسرار العافية ـ مسلم غازى (٦٩/١) بتصرف يسير . سبتا ـ دمشق ١٩٨١م ط الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
(٣) تفسير الطبرى (٥٥/١٤) بتصرف .

فيه، وزدنا منه ،فانه ليس شيء يجزيء من الطعام والشراب الا اللبن "[١] .

سبحانه كيف أوجد هذا الشراب، وزوده بتلك الخصائص ؟ كيف يتحول الغذاء الذى تأكله الأنعام الى لبن أبيض خالص سائغ للشاربين ؟

وكم من الأسئلة تدور فى ذهن من تأمل قوله تعالى :

" وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ" النحل (٦٦)

والفرث مافى الكرش مما بقى من المأكول[٢] ،والجمع فروث[٣] .

والدم معروف وقوله (بين) يشير الى خروج اللبن من بين الفرث والدم ،قال الشوكانى : " المراد من قوله بين عند النحويين ظرف مكان، فيكون المراد أن الطعام الذى تأكله الأنعام يكون منه مافى الكرش، وهو الفرث، ويكون منه الدم، فيكون أسفله فرثا، وأعلاه دما، وأوسطه لبنا، فيجرى الدم فى العروق، واللبن فى الضروع، ويبقى الفرث كما هو"[٤] قال ابن عباس رضى الله عنهما فى ذلك : " ان الدابة تأكل العلف فاذا استقر فى كرشها طبخته، فكان أسفله فرثا، وأوسطه لبنا، وأعلاه دما، والكبد مسلط على هذه الأصناف، فتقسم الدم وتميزه وتجريه فى العروق، وتجرى اللبن فى الضرع، ويبقى الفرث كما هو فى الكرش "[٥] . لكن المشاهد والمعروف لدى كل من ذبح هذه الأنعام أنه يرى فى كرشها دما وليس لبنا، فالثابت كما يذكره علماء علم وظائف الأعضاء، أن الأنعام عند تناولها الغذاء يصل الى كرشها، ويحصل الهضم بواسطة الجهاز الهضمى فينجذب

---

(١) سنن الترمذى (٥/٥٠٦) كتاب الدعوات باب مايقول اذا أكل طعاما رقم الباب (٥٥) الحديث رقم (٣٤٥٥)، رواه عبدالله بن عباس وقال الترمذى حديث حسن .

(٢) مفردات غريب القرآن (ص ٣٧٤) .

(٣) بصائر ذوى التمييز (١٧٧/٤) .

(٤) انظر تفسير الشوكانى (١٧٤/٣) .

(٥) انظر تفسير القرطبى (١٢٤/١٠) .

ماكان صافيا، وينزل الباقى الى الأمعاء ، والذى فى الكبد يصير دما يسير فى مجاريه فى الأوردة والشرايين حتى يصل الى غدتين صماوتين تسميان بالثديين، تقومان بقدرة الله بتحويل الدم الأحمر ذا التركيب والصفات المميزة الى لبن أبيض ذا تركيب وصفات خاصة به يستسيغ كل انسان شربه .

سبحانه كيف حصل ذلك فى تلك الغدة ، انه لايمكن لأكبر مصانع الألبان تحويل الدم الى لبن، انها غاية فى الاعجاز تجعل كل متأمل يقف مبهورا لقدرة هذا الخالق العظيم الجليل (١)، ومع ذلك نقول أن القائلين بأن (بين) ظرف مكان، وتفيد أن مكان الضرع بين الفرث والدم فيه وجه من الصواب، لأننا نجد ضروع الأنعام بين الفخذين، بينما الدم يجرى فى سائر البدن داخل الأوردة والشرايين، ومنها مايكون محيطا بالضرع ، والفرث فى الأمعاء بعد أن دفعته المعدة اليها، وبعد أن جذبت العروق خلاصة الطعام وصار دما، والمعروف أن الأمعاء فى مؤخرة جسم الأنعام، فصح أن تكون البينية باعتبار المكان (٢) ، فكل فى مكانه، ولايختلط اللبن بالدم أو الاثنين بالفرث حتى تحصل الفائدة من هذا اللبن ، فقال سبحانه (خالصا) لأنه مصفى عما يصحبه من الأجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه، فالملاحظ أن حلمة الأنثى ذات ثقوب صغيرة بمنزلة المصفاة، فيخرج منها اللبن خالصا وقت الحلب، ويبقى الكثيف (٣) ، كما أنه خالص من حمرة الدم، وقذارة الفرث (٤) ، فيسهل شربه، ولايغص شاربه، وتميل اليه النفس لاشتماله

---

(١) تفسير الرازى (٢٠/٦٦ - ٦٧) بتصرف .
كذلك القرآن واعجازه العلمى - محمد اسماعيل ابراهيم (ص ١٤٨) بتصرف

(٢) تفسير الجواهر (٨/١٣٩) بتصرف .

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن محمد النيسابورى بهامش تفسير الطبرى (١٤/٨٦) بتصرف .

(٤) تفسير القرطبى (١٠/١٢٥) .

على اللون الأبيض،والمذاق الحلو بشكل مناسب،وعندما يخرج من الضرع يكون بنفس درجة حرارة الجسم،وهو غذاء كامل يحتوى على العناصر الغذائية الضرورية للجسم (١) . فالثابت أن اللحوم والألبان أكبر مصادر البروتين ،كما أن السمن والزبدة واللبن تشتمل على المواد الدهنية بمقدار مايحتاجه جسم الانسان لانتاج الحرارة،وكذلك المواد المعدنية وكثير من الفيتامينات (٢) ، فهو مفيد لكل انسان،ويستحب لبعض الأشخاص الحرص على تناوله بشكل أكبر مثل المصاب بضعف فى الجهاز الهضمى، أو من به قرحة فى المعدة أو الأمعاء، ولمن أصيب بمرض القلب،ويفيد الحوامل،وينصح بمداومة شربه من به ضغط الدم ....الخ (٣) .

لذا فضل الرسول صلى الله عليه وسلم شربه على شرب العسل والخمر فى الجنة حيث يقول : " ... ثم رفعت لى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر،واذا ورقها مثل آذان الفيلة ،قال : هذه سدرة المنتهى، واذا أربعة أنهار نهران باطنان،ونهران ظاهران فقلت ماهذان ياجبريل؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة،وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك،ثم أوتيت باناء من خمر،واناء من لبن،واناء من عسل فأخذت اللبن فقال : هى الفطرة أنت عليها وأمتك ...." الحديث (٤) .

---

(١) مع الطب فى القرآن ـ د. عبدالحميد دياب ،د.أحمد قرقور (ص ١٥٧) بتصرف .

(٢) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن (ص ٣٦٨) بتصرف .

(٣) آيات الله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) (١/٧٣- ٧٤) بتصرف .

(٤) صحيح البخارى (١٤١٠/٣) كتاب فى فضائل الصحابة باب المعراج (٧١) ، حديث رقم (٣٦٧٤) .

(٣) صنع الملابس والسكن والأثاث :

يشير الى ذلك قوله تعالى :

"وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ" .

النحل (٥)

وقوله أيضا فى الآية (٨٠) من سورة النحل :

" وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ "

قال ابن عباس فى قوله تعالى : " وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ" أى الثياب .(١)

والدفء : بالكسر نقيض حدة البرد،وهو اسم لما يدفىء أى ألبسه مايدفئه . والدفء أيضا نتاج الابل وأوبارها والانتفاع بها،وما أدفأ من الأصواف والأوبار (٢) ،والصوف من الضأن،والأوبار من الابل،والأشعار من المعز،تصنع منها الملابس والأكسية وغيرها (٣) .

فسبحانه جعل لنا بيتا تسترنا من جميع النواحى ذا سقف انتظم واتصل بعضه ببعض فيحمل لنا السكون الجسدى لما فيه من سقف يظلنا، ومايحيط بنا من عازل عن الآخرين من الناس والحيوانات وغيرهما،وتحمينا من البرد والحر والسرقة،فننام ونتحرك فيه بكل سكون وأمان،نجد فيه السكون النفسى حيث الراحة النفسية،والشعور بالطمأنينة،والراحة والأمان،أيا كان هذا المسكن سواء كان مبنى من خشب أوحجر ....الخ (٤) . كما ذكر لنا نوعا آخر من السكن يسهل حمله فى اقامة الانسان فى بلدته

---

(١) تفسير الطبرى (١٤/٥٥) .

(٢) بصائر ذوى التمييز (٢/٦٠٤) بصيرة فى دفء .

(٣) تفسير الألوسى (١٤/٢٠٤) بتصرف .

(٤) تفسير القرطبى (١٠/١٥٢) بتصرف .

أو ترحاله، وهى البيوت المصنوعة من جلود الأنعام، تظلهم من حرارة الشمس أيام الترحال، وتجلب لهم الراحة والطمأنينة، ويترتب على هذه الأصواف والجلود والأشعار استخدامها فى صنع بعض أنواع الأثاث، مثل الغطاء والبسط، أو المتاع، حيث إن الناس قديما وحديثا يزينون بيوتهم بمثل هذه المنتوجات ليتمتعوا بها طوال حياتهم الى أن تبلى . هذه كلها من نعم الله وحده لاشريك له (١) .

(٤) الشعور بالسعادة والجمال عند رؤية الأنعام :

وذلك عندما تسرح أو تروح كما قال سبحانه :
" وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ" .
النحل (٦)

فالمتتبع ببصره لها يشعر بالسعادة، وتعلق القلب، ويرغب فى استمرار النظر اليها، وهى رائحة بالعشى الى مراحها ملأى البطون حافلة الضروع باللبن متجمعة بعضها الى بعض تتجاوب الرغاد (٢) والثغاء (٣)، ثم تتفرق فى مدة بسيطة كل منها فى جانب تمتلىء بها الأفنية والطرقات، ويعظم وقعها عند الناس، لذا قدم سبحانه الفعل (تريحون) على الفعل (تسرحون)، وان كان أيضا فى التسريح جمال فى منظرها، وهى خارجة بالغداة الى المرعى، وأكثر مايكون هذا الجمال، والاستمتاع فى أيام الربيع، حيث يسقط الغيث، وينبت العشب والكلأ مع رؤية منظرها، وهى مختلفة الألوان معا يزيد جمال المنظر . وسبق أن ذكرنا بأن الله

---

(١) تفسير الشوكانى (١٨٤/٣) بتصرف .
(٢) الرغاء : صوت ذوات الخف وهو صوت الابل ، البعير، الناقة . لسان العرب (٣٢٩/١٤) .
(٣) الثغاء : صوت الشاء والمعز وماشاكلها . نفس المرجع السابق (ص ١١٣).

تعالى خص هذين الوقتين بالذكر لأنهما وقت نظر الناظرين اليهما عند خروجها ورجوعها، لأنها وهى فى الحظائر – فى غير هذين الوقتين – لايتسنى لكل انسان رؤيتها، كما أنها فى المرعى تتفرق فيتمكن الناظر المتأمل فى كل منها على حدة معرفة مدى عظمة وقدرة الله سبحانه وتعالى[1] .

(٥) تسخير الأنعام للحمل والركوب عليها :

قال تعالى : "وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ " النحل (٧)

قيل المراد من الأنعام الصالحة للحمل والركوب الابل لأن الأنعام جميعها وان اشتركت فى الاستفادة من لحومها ولبنها، لكن ميزة الغنم والضأن فى التسريح، والذبح، والبقر فى الحرث، والابل فى الحمل[2] . يشير الى ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " بينما رجل راكب على بقرة التفتت اليه فقالت : لم أخلق لهذا خلقت للحراثة . قال : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر ... الحديث "[3] .

وتنقسم الأنعام الى قسمين :

(أ) الحمولة : وهى الكبيرة الحجم الصالحة للحمل، والعمل، والركوب لما تتصف به من صفات تؤهلها لذلك مثل الابل .

(ب) مايكون فرش : أى صغيرات ذات أرجل قصيرة قريبة من الأرض مثل الفرش، والمفروش عليه، ويتخذ من صوفها ووبرها وشعرها فرشا، وتفترش

---

(١) تفسير الشوكانى (١٤٨/٣) بتصرف .
(٢) تفسير القرطبى (٧٢/١٠) بتصرف يسير .
(٣) صحيح البخارى (٦٧/٣) كتاب الحرث والمزارعة باب استعمال البقر للحراثة الحديث رقم (٤) .

على الأرض عند ذبحها كالضأن والمعز (١) ،يتضح ذلك من قوله تعالى :

"وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ " الأنعام (١٤٢)

ويهمنا فى هذا الموضع القسم الأول،وهو الحمولة من الأنعام مثل الابل .

فمن رحمته تعالى أن ملك هذه الأنعام للانسان،وذللها لخدمته ،فعلى الرغم من ضخامة وكبر حجمهايحمل عليها أثقاله من متاع وأطعمة،ويقودها للمكان الذى يريد وتسير طائعة ،وان كان الذى يسيرها طفلا ،بينما لن يتمكن انسان من تذليل وتسخير ذبابة . ومن تمام نعمة الله بعباده أن زود الابل بصفات تمكنها من تحمل مشاق السفر والجوع والعطش وحمل الأثقال مدة طويلة اذ مكنها الله من ادخار الطعام والشراب بطريقة معينة،وزودها بالأهداب الطويلة التى تحمى عينيها من الرمال عند هبوب العواصف ،والأرجل الطويلة،وخف ملائم للسير فى الرمال دون أن يغوص فيها وغيرها من الصفات (٢) التى زودها الله بها لتكون مسخرة غاية التسخير لخدمة الانسان ،لاسيما أن العرب كانوا مشهورين بكثرة رحلاتهم التجارية فى الشتاء والصيف،وكانت وسيلة نقلهم،ونقل تجارتهم الابل، ولولاها لعانوا مصاعب كثيرة ومشقة عظيمة ،يشير الى ذلك قوله تعالى :

" وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ " النحل (٧)

والأعظم من ذلك أن الابل تتصف بالفطنة حيث تتمكن من حفظ طرق السير

---

(١) تفسير الرازى (١٣/٢٢٧) بتصرف .
كذلك تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا (٨/١٣٩) بتصرف . دار المعرفة بيروت ،ط الثانية .

(٢) الله بين الفطرة والدليل ،محمد آل ياسين (ص ٥٣) بتصرف .

التى تسير فيها من أول مرة كما حكى فى ذلك الامام الرازى حيث قال :كان مع جماعة فى مفازة فضلوا الطريق،فقدموا جملا وتبعوه،فكان الجمل ينعطف من تل الى آخر،والجميع يتبعونه حتى وصلوا الى الطريق المراد (١) .

ولايقتصر الحمل والركوب على الابل فقط،بل ان هناك من الدواب مايصلح لذلك ،قال تعالى :

" وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالَاتَعْلَمُونَ" .

النحل (٨)

وكما سخر الله للانسان الدواب والأنعام،فانه سبحانه قد سخر له الحديد والمعادن وقوة البخار،وأعطاه عقلا تمكن بواسطته من الانتفاع بما سخر الله له،فاستخدم الانسان قوة البخار فى السير،فصنع القطارات الكبيرة السريعة،ثم طور الفكرة باستخدام قوة (الاحتراق الداخلى) للبنزين الذى خزنه الله للانسان بكميات كبيرة هائلة فى بطن الأرض ،فصنع الانسان باذن ربه السيارات،والطائرات،ثم استخدم الصواريخ، والمركبات الفضائية،وغيرها من الوسائل التى ستكتشف على مر الزمان، وتستخدم فيما يستخدم فيه الخيل والبغال (٢) والحمير (٣) ،يشير الى ذلك قول الله تعالى : " ويخلق مالاتعلمون" ،وقال تعالى فى سورة يس :

" وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَايَرْكَبُونَ " يس (٤١ - ٤٢)

لذا يلفت سبحانه نظر كل غافل عن ذكر الله،وعن آياته الكونية وعظيم ابداعه وصنعه بقوله تعالى :

"أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِى السَّمٰوَاتِ وَمَافِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً" ....الآية" لقمان (٢٠)

(١) تفسير الرازى (١٥٨/٣١) بتصرف .

(٢) البغل : هو المتولد من بين الحمار والفرس . مفردات غريب القرآن (ص ٥٥) .

(٣) كتاب التوحيد (٣٣/٢) بتصرف يسير .

يقول الامام الغزالى ماملخصه : "ان الناظر الى الأنعام وأشكالها وصورها، وأوجه تسخيرها للانسان ليعجب من حكمة خلقها، وعظمة خالقها، ومصورها الذى لم يخلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها "[١] .

ويقول د. البرت ماكومب ونشتر[٢] فى مقالته (العلوم تدعم ايمانى بالله) ماملخصه : ان الانسان لايستطيع دراسة أعمال صانع من الصناع دون أن يحيط بقدر من المعلومات عن الصانع الذى أبدع تلك الأعمال، واننا كلما تعمقنا فى دراسة هذا الكون ازددنا معرفة بطبيعة الخالق الأعلى[٣] .

---

(١) احياء علوم الدين (٣٧٦/٤) باب التفكر فى خلق الله ،بتصرف .

(٢) د. البرت ماكومب ونشتر : متخصص فى علم الاحياء ،حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة تكساس ،أستاذ الأحياء بجامعة بايلور ـ عميد أكاديمية العلوم بفلوريدا سابقا ـ أخصائى فى علم الوراثة وفى تأثير الأشعة السينية على الدروسوفيلا .
من كتاب الله يتجلى فى عصر العلم ـ ألفه نخبة من العلماء الأمريكيين ـ ترجمة د. الدمرداش عبدالمجيد سرحان (ص ١٠٤) .

(٣) الله يتجلى فى عصر العلم (ص ١٠٥) بتصرف .

الفصل الخامس

ٱلنَّحۡل

وأهميته للإنسان - الشراب المستخرج منه وكونه شفاء للناس - غذاؤه ومسكنه - ما ورد من آثار تصدق أهمية هذا الشراب - الآية الواردة في ذلك ودلالة ذلك على توحيد الخالق عز وجل وقدرته .

الفصل الخامس

النحل

أهميته للانسان – الشراب المستخرج منه وكونه شفاء للناس – غذاؤه ومسكنه – ماورد من آثار تصدق أهمية هذا الشراب – الآية الواردة فى ذلك – دلالة ذلك على توحيد الخالق عز وجل وقدرته .

النحل فى اللغة :

النون والحاء واللام كلمات ثلاث الأولى تدل على دقة وهزال، والأخرى على عطاء، والثالثة على ادعاء، ويهمنا الثانية وهى : نحلته كذا أى : أعطيته . والاسم النُّحل . والنُّحل : أن تعطى شيئا بلا استعواض، ونحلت المرأة مهرها نحلة ، أى : عن طيب نفس من غير مطالبة، وهذا ماذكره المفسرون فى قوله تعالى :

"وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ...." [1] النساء (٤)

النحل والنحلة : الدبر ، يقع على الذكر والأنثى والنُّحلى : العطية [2] .

وفى اللسان : النحل ذباب العسل ، واحدته نحلة . والنحل : دبر العسل ، الواحدة نحلة قال أبو اسحاق الزجاج فى قوله تعالى

" وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ " النحل (٦٨)

جائز أن يكون سمى نحلا لأن الله عز وجل نحل الناس العسل الذى يخرج من بطونها، والنحل بالضم : اعطاؤك الانسان شيئا بلا استعاضة وعم به بعضهم جميع أنواع العطاء . وقيل : هو الشئ المعطى ، وقد أنحله

---

(١) مقاييس اللغة (٤٠٢/٥ – ٤٠٣) .
(٢) الصحاح (١٨٢٦/٥) .

مالا،ونحل المرأة : مهرها[(١)] . وفى البصائر : النحل : ذباب العسل،واحدته نحلة . والنحل : العطاء تبرعا بلا عوض،وأيضا الشىء المعطى .واشتقاقه من النحل لأنه يقول : أعطاه عطاء النحل ،فان النحل يقع على الأشجار كلها،ولاتضر شيئا منها بوجه أصلا،وينفع أعظم نفع ،فانه يعطيهم ماشفاؤهم فيه،كما وصفه الله فى القرآن[(٢)] .

وقد أورد سبحانه ذكر النحل والهام الله لها فى اتخاذ بيوتها وأكلها وصنعها للعسل فى آيتين كريمتين من سورة النحل فقال تعالى :

" وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ " (٦٨-٦٩) (٣)

فالوحى فى الآية الكريمة وحى الهام ،والمراد من الالهام كما يقول الامام الرازى : انه تعالى قرر فى أنفسها هذه الأعمال العجيبة التى تعجز عنها العقلاء من البشر ،وبيانه من وجوه :

أولا : بناء النحل بيوتها بالشكل المسدس من أضلاع متساوية ،ولايمكن للبشر بناء مثلها ،ولابآلات وأدوات مثل المسطرة والفرجار .

الثانى : أنه ثبت فى الهندسة أن تلك البيوت لو كانت مشكلة بأشكال سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة .

الثالث : أن النحل يحصل فيما بينها واحد يكون كالرئيس للبقية .

الرابع : أن النحل اذا نفرت من وكرها ذهبت مع الجماعة الى موضع آخر .

---

(١) لسان العرب (٦٥٠/١١ - ٦٥١) .
(٢) بصائر ذوى التمييز (٢٧/٥) .
(٣) تفسير الجلالين (٢٤٦/١) .

فهذه المميزات التى امتازت بها تلك الحشرة من الخواص العجيبة الدالة على ذكائها، وهذا لايكون الا بالهام من الله تعالى (١) .

وقد سمى الله تعالى النحل بهذا الاسم، لأن الله نحله العسل الذى يخرج منه (٢) ، فأوحى الله لها أن تتخذ بيوتها من كوى بعض الجبال، وتجاويف بعض الأشجار لأن (من) تفيد التبعيض فتسكن فى مساكن توافق مصالحها، وتليق بها، وفى العروش التى يبنيها بنو آدم الاجناح والحيطان وغيرها وأكثر مايستعمل مما يكون من الخشب (٣) .

وأرشدها الى بناء بيوتها على شكل مسدس من أضلاع متساوية لايزيد بعضها على بعض، وعند اتصالها ببعضها تصير كالقطعة الواحدة بعكس بقية الأشكال من المثلث الى المعشر اذا جمع كل واحد منها الى أمثاله لم يتصل وجاءت بينهما فرج (٤) .

ثم أمرها سبحانه أن تأكل من بعض الثمرات لأنها لاتأكل من جميع الثمار فلفظة كل هاهنا ليست للعموم (٥) (٦) ، وأن تسلك الطرق التى جعلها الله تعالى مذللة لها مسهلة حيث شاءت من هذا الجو العظيم، والبرارى الشاسعة، والأودية والجبال الشاهقة ، ثم عودة كل واحدة منها الى بيتها لاتحيد عنه يمنة ولايسرة (٧) .

قال مجاهد : لايتوعر عليها مكان سلكته ، وقد أول مجاهد الذلل من نعت السبل، ومنهم من قال: الذلل من نعت النحل ، وكلا القولين غير بعيد عن الصواب ، غير أن الطبرى يرى أن يكون نعتا للسبل لأنها اليها أقرب (٨) .

---

(١) تفسير الرازى (٢٠/٧٠ - ٧١) بتصرف .
(٢) تفسير الشوكانى (٣/١٧٦) .
(٣) تفسير الرازى (٢٠/٧٣) بتصرف .
(٤) تفسير القرطبى (١٠/١٣٤) بتصرف .
(٥) تفسير الخازن (٤/١٠١) .
(٦) ان (كل) لها ما يخصصها لأن العموم هنا ليس على اطلاقه لأن العقل يحيل أن تأكل النحل من كل الثمرات .
(٧) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٢٣) . بتصرف يسير .
(٨) تفسير الطبرى (١٤/ ٩٤) بتصرف يسير .

(يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ) هو العسل(١) سمى شرابا لأنه مما يشرب(٢) مختلف الألوان، فمنه الأبيض والأحمر والأصفر والأسمر، والأبيض الذى يضرب الى الحمرة(٣)، وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلاف مراعيها ومأكلها منها(٤) .

(فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) ففى العسل وتناوله شفاء، وقد اختلف فى هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على الخصوص لمرض دون مرض على قولين :

أحدهما : أن العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض، ثانيهما : أن فيه شفاء لبعض الأمراض، والراجح كما يوضح الخازن فى تفسيره أن العسل شفاء لبعض الأمراض، لأن تناوله يضر بأصحاب الصفراء، ويهيج الحرارة مثلا .

ان قوله تعالى (فِيهِ شِفَاءٌ) خرج مخرج الأغلب، وأن فى الأغلب فيه شفاء، ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء، ولكنه فى الجملة دواء ، وان نفعه أكثر من مضرته(٥) . وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم العسل دواء للرجل الذى أتاه (فقال : يارسول الله ان أخى استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه عسلا ثم جاء، فقال : سقيته عسلا فما زاده الا استطلاقا قال : اذهب فاسقه عسلا فسقاه عسلا ثم جاء فقال : مازاده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " صدق الله تعالى وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلا" فذهب فسقاه فبرأ)(٦) . وقد شرحه بعض المختصين فى الطب شرحا فنيا(٧)، وهو ثابت فى صحته بنص القرآن عليه .

---

(١) تفسير الجلالين (٢٤٦/١)، كذلك تفسير الشوكانى (١٧٦/٣) .
وقد وضح دكتور محمد البنبى فى كتابه (نحل العسل فى القرآن والطب) (ص ٥٥) ماملخصه أن كلمة (شراب) المستخرج من بطون النحل غير قاصر على العسل بل يشمل لبن النحل (سم النحل)، الغذاء الملكى، الشمع.. الخ .

(٢) تفسير الألوسى (١٨٤/١٤) .

(٣) تفسير الطبرى (٩٤/١٤) بتصرف يسير .

(٤) تفسير ابن كثير (٦٢٣/٢) .

(٥) تفسير الخازن (١٠٢/٤) بتصرف يسير .

(٦) تفسير الألوسى (١٨٥/١٤ - ١٨٦) . وأصل الحديث فى صحيح البخارى باختلاف يسير .

(٧) تفسير الظلال (٧٨/١٤) .

ان نعم الله على الانسان كثيرة وعظيمة لاتعد ولاتحصى أوجدها سبحانه، وسخرها لخدمة الانسان ولسعادته، وأرشده الى كيفية الاستفادة منها . واستغلال ماسخر له لأنه سيجنى من خلال ذلك أعظم الفوائد فلما أخرج سبحانه وتعالى اللبن من بطون الأنعام وأخرج الرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، أخرج غذاء عظيم الفائدة من بطن حشرة صغيرة مباركة أذهلت كل مفكر ومتأمل فى كيفية خلقها ونظام حياتها، وكيفية الحصول على غذائها، وماتخرجه من بطونها غذاء فيه شفاء للناس لكثير من الأمراض، وهذه الحشرة هى النحلة. من أجل كل ذلك سمى الله سبحانه سورة فى القرآن الكريم باسمها وهى (سورة النحل) وتحدث عنها ومافيها من عظيم صنعه فى آيتين كريمتين غاية فى الايجاز والاعجاز يدركها كل متأمل وباحث فى قوله تعالى :

"وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" النحل(٦٨-٦٩)

فلنتفكر فى كل كلمة من الآيتين، وندرك مدى أهمية النحل .

أهمية النحل :

وتتجلى فى كل ماتقوم به من عمل ليس من عندها أو بمحض الصدفة، بل ان كل عمل أو حركة تقوم بها انما هو بوحى والهام وارشاد من عند خالقها، ومدبر شئونها، وشئون عباده، كما يتضح من قوله تعالى :

" وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ......"

النحل (٦٨)

فالخطاب وان وجه للنبى صلى الله عليه وسلم الذى نزل عليه القرآن، لكن المراد منه أن يتأمل كل فرد من الناس عظمة الخالق المدبر فى خلق النحلة، وتسخيرها، والنعم المترتبة على وجودها (١) .

وقد اشتمل وحى الله وارشاده للنحل على ثلاثة أمور هى :

اختيار المسكن - جمع الغذاء - تصنيع الغذاء لإخراج مافيه شفاء للناس .

أولا : اختيار المسكن (البيت) .

وأصل البيت مأوى الانسان، وانما استعمل هنا فى خلايا النحل تشبيها له بما يبنيه الانسان لما فيه من حسن الصنعة ودقته وصحة القسمة (٢)، كما وأن فى الآية اشارة الى أنواع مساكن النحل كل حسب سلالته، فسلالات تسكن الجبال، وتتخذ من مغاراتها مأوى لها، وتسمى بالنحل الوحشى، وسلالات تعيش فى الغيافى، وتسكن فى التجاويف أو الثقوب الموجودة فى جذوع الأشجار، وسلالات يستأنسها الناس ويتعهدونها ويصنعون لها من الطين أو الخشب الخلايا، وتسمى بالنحل الأهلى (٣) .

وسر التعبير بمن فى قوله (من الجبال ...الخ) قالوا : أن (من) تفيد التبعيض، وفيه تنبيه على أن النحل لاتبنى بيوتها من كل جبل أو شجر أو كل مايعرشه الانسان لها، بل تبنيه فى أماكن تتلاءم مع مصالحها، وتليق بها، وهذا ما أكده العلماء حديثا (٤) .

كما ألهمها سبحانه اتخاذ شكل خاص لخلاياها، وهو الشكل السداس .

---

(١) تفسير الخازن (١٠٠/٤) بتصرف .
(٢) تفسير الألوسى (١٨٢/١٤) بتصرف يسير ،وصحة القسمة : صحة التنظيم .
(٣) تفسير الخازن (١٠١/٤) بتصرف ،تفسير الرازى (٧١/٢٠) بتصرف القرآن واعجازه العلمى (ص ١٤٦) بتصرف .
(٤) تفسير الجواهر (١٢٨/٨) بتصرف .

وعرف العلماء الحكمة من ذلك بعد تفكير وتجارب وبحوث عرفوا أن الشكل السداسي هو الوحيد بالمقارنة بالأشكال الأخرى من المربع أو الدائرى ...الخ الذى اذا جمع الى أمثاله اتصل بحيث يصير كالقطعة الواحدة دون أن يحصل بينها فرج (١) . فالمربع تخرج منه زوايا ضائعة، وشكل النحل مستدير مستطيل، وبالتالى ستبقى زوايا فارغة ،ولو بنيت بالشكل المستدير لبقيت خارج البيت فرج ضائعة لأن الأشكال المستديرة لو تجمعت لم تجمع متراصة (٢) . ومن ثم فالشكل السداسى أفضلها، لأنها تمكن للنحل بناء أكبر عدد من الخلايا فى أقل مساحة ممكنة، كما أنه شكل ملائم لنمو اليرقة (٣) .

والأعجب من كل ذلك ماثبت لدى العلماء من أن النحل فى كل أرجاء الدنيا منذ غابر الأزمان تبنى بيوتها بمقياس موحد خاص وثابت سواء فى ذلك النحل المستأنس أو غير المستأنس . وقد يبنى بيوتا غير متقنة الصنع فى أطراف القرص لاستخدامها مخازن لحفظ العسل، وحبوب اللقاح وبيوت أخرى خاصة لتربية النحل الذكر . وأخرى لتربية النحلة الملكة، كما كشف العلماء أيضا أن تلك الخلايا اذا امتلأت بالعسل غطتها النحل بالشمع الخالص حتى لايمتص العسل الرطوبة التى تؤدى الى تلفه ، أما ان كانت تحتوى على حضنة (اليرقات)، فان المادة الشمعية تكون مخلوطة بحبوب اللقاح لكى يتسرب الهواء من بين ذراتها (٤) .

ولقد خاطبها القرآن الكريم مخاطبة العقلاء الأذكياء مع أنها غير عاقلة وغير مكلفة (٥)، وهى الوحيدة التى خاطبها بهذا العقل فقال :

"أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ....".

---

(١) تفسير القرطبى (١٣٤/١٠) بتصرف .

(٢) تفسير الجواهر (١٤٨/٨) بتصرف .

(٣) النحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع ـ محمد حسن الحمصى (ص ٥٧) بتصرف . دار الرشيد ،دمشق ،ط الرابعة .

(٤) النحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع (ص ٢٦ ـ ٢٨) بتصرف .

(٥) تفسير الألوسى (١٨١/١٤) بتصرف .

ثانيا: جمع الغذاء وتصنيعه :

ألهم الله تعالى النحل الأكل من كل الثمرات فقال تعالى :
" ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ......".

النحل (٦٩)

ولفظ (كل) فى الآية الكريمة المراد منها أكل الثمار والأزهار ذات الطعم الحلو فتمتص عصاراتها وتتغذى على رحيق الأزهار وحبوب لقاح النباتات . وهذا ماكشفه العلماء [١]، ولقد أكدوا أن النحل لاتتجه الى الزهرة ذات الرحيق السام ،قال الرسول صلى الله عليه وسلم :" ان مثل المؤمن لكمثل النحلة أكلت طيبا ووضعت طيبا ووقعت فلم تكسر ولم تفسد ....الحديث " [٢] .

ويتغذى النحل على طريقتين :

(١) الطريقة الطبيعية وتشمل رحيق [٣] الأزهار وطلعها الذى يعرف بحبوب اللقاح [٤] .

(٢) الطريقة الصناعية : فالمربى يقوم بتغذية النحل فى حالات كأن يرى صاحب المنحل ضرورة تنشيط النحل لانتاج العسل بشكل أسرع [٥] .

---

(١) تفسير الخازن (١٠١/٤) بتصرف .

(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل (١٩٩/٢) اسناده صحيح كما قال أحمد شاكر (٩٠/١١) حديث رقم (٦٨٧٢) . دار المعارف بمصر ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

(٣) الرحيق : يمثل عصارة النبات التى تتجمع فى الزهرة عند تكوينها لتمدها بالعناصر الضرورية لعقد الثمار،وهو سائل حلو المذاق يوجد فى جميع النباتات المزهرة داخل الزهور،وأحيانا فى مواضع أخرى كقواعد الأوراق فى بعض النباتات . تربية النحل فى القرى والمدن أحمد عطية غراب (ص ٩٧) .

(٤) حبوب اللقاح (الطلع) : يتكون فى زهور النباتات من الخلايا المذكرة المزهرة ،ويعتبر من ألزم الضروريات لغذاء النحل فيتوقف عليها نمو اليرقات . نفس المرجع السابق (ص ٩٩) .

(٥) تربية النحل فى القرى والمدن ـ أحمد عطية غراب (ص ٩٧-٩٩) بتصرف .

وطائفة من النحل (الشغالات وهن الاناث) يقمن بجمع الرحيق، وتصنيعه، وبكافة الأعمال فى مملكة النحل، بينما تتربع الملكة، وهى أنثى على عرش تلك المملكة، لذا قيل أن أحد أسباب توجيه الخطاب للأنثى (اتخذى، كلى) لأن اعداد الاناث أكثر من الذكور فى مملكة النحل، كما أن أعمالهن أفضل بعكس الذكور فأعدادهم قليلة وأعمالهم قاصرة على تلقيح الملكة ثم يهلكون جميعهم ولايبقى الا الاناث (١). ولكى تقوم الشغالات بمهمة جمع الغذاء بيسر وسهولة ذلل لها سبحانه وتعالى المسالك للتعرف على مكان الغذاء، وطرق الذهاب اليه، ثم العودة الى خليتها، وهى محملة بالغذاء لذا أضاف سبحانه هذا الأمر اليه فقال:

" ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" النحل (٦٩) (٢)

وتذليل الله مسالك حصول النحل على الغذاء يكون عن طريق استدلال النحلة الجمّاعة للرحيق على مكان وجود الغذاء بشم الرائحة، وضوء الشمس أو الزاوية الموجودة فى الضوء فان استدلت على ذلك فانها تعود الى الخلية لتخرج الشغالات لجمع الغذاء، تلك الشغالات اللاتى يقدر عددهن فى الخلية الواحدة بما يقرب من مائة ألف (١٠٠,٠٠٠)، بينما يقدر عدد الذكور بالمئات، وعلى رأس كل طائفة ملكة واحدة (٣). وتدل النحلة التى تكشف بستان الزهور زميلاتها على المكان بنوعين من التعبير - وذلك بالهام من الله تعالى -.

وقد عرف العلماء هذين التعبيرين فى العصور الأخيرة وقالوا:

---

(١) عسل النحل شفاء نزل به الوحى. د. عبد الكريم نجيب الخطيب (ص ٤٤)، بتصرف. الدار السعودية - جدة - الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٢) تفسير الشوكانى (١٧٥/٣) بتصرف.

(٣) عسل النحل شفاء نزل به الوحى (ص ١٠٦) بتصرف.

ان التعبير الأول يعبر عن المسافة، والثانى عن الاتجاه ،وذلك عن طريق الرقص ،وكل منها محدد، وتختلفان فى حركتها وسرعتها .

وللتعبير عن المسافة :

تلجأ النحلة الى نوعين من الرقص ،فبعد أن تتخلص من حمولتها داخل الخلية تقوم :

(أ) بالرقص الدائرى :

للتعبير عن مقدار المسافة بين الرحيق ومركز الخلية، فلو كانت المسافة لاتتجاوز خمسين مترا يكون رقصها على أحد الأقراص الشمعية، حيث تبدأ بالدوران حول نفسها فى دائرة ضيقة مغيرة اتجاهها بثبات فتدور تارة الى اليمين، وأخرى الى اليسار فى تتابع سريع محدثة ضجيجا فى الخلية يجعل النحل الجالس بجانبها ترقص خلفها مترابطة بعضها ببعض لثوان قد تمتد قليلا الى نصف دقيقة أو تزيد حسب بعد المسافة ، ثم تطير لتعود بالغذاء (١) .(ملحق رقم ٨) .

(ب) بالرقص الاهتزازى :

وذلك ان تجاوزت المسافة بين الرحيق ومركز الخلية الخمسين مترا، فان الشغالة تسير لمسافة قصيرة فى خط مستقيم، وتحرك بطنها بسرعة من جانب لآخر ،ثم تتحرك فى قوس الى اليسار ثم فى خط مستقيم ثانية ، ثم تتحرك فى قوس الى اليمين (٢) . (انظر الملحق رقم ٩) .

ونلاحظ أن عدد الرقصات تختلف حسب بعد المسافة أو قربها، فان كانت المسافة مائة متر فان عدد اللفات الكاملة أثناء الرقص الاهتزازى فى خلال خمسة عشر ثانية يكون من (٩ ـ ١٠) لفات ،كما وأن النحلة الراقصة

---

(١) النحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع (ص ٩٥) بتصرف .

(٢) نفس المرجع السابق (ص ٩٩) بتصرف .

لاتشير فى رقصها الى المكان المطلوب فقط بل انها تعبر عن وفرة الرحيق، ومدى تركيز المواد السكرية فيه، لأنه كلما ازدادت كمية الرحيق ارتفعت نسبة المواد السكرية فيه، ومن ثم تزداد مدة الرقص للدلالة على الحاجة لخروج عدد أوفر من النحل الشغال ،كما تتضمن لغة النحل تعبيرا خاصا لكل نوع من أنواع الزهور، وتستخدم النحل الشمس بوصلة للوصول الى مسكنها ،أو البستان فان كان رأس الشغالة أثناء الرقص الاهتزازى الى أعلى فمعنى ذلك أن مصدر الغذاء فى اتجاه الشمس، أما ان كان اتجاه رأسها الى أسفل فيعنى أن مصدر الغذاء فى اتجاه مضاد للشمس.(١)

(انظر الملحق رقم ١٠)

ثم انه سبحانه ذلل للنحل طريق العودة الى خليتها بعد الحصول على الغذاء دون أن تضل الطريق مهما بعدت المسافة، والتى قد تبلغ عشر كيلو مترات.(٢)

قال مجاهد فى تفسير قوله تعالى : " فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا" أى: لايتوعر عليها مكان سلكته.(٣) كما أنها تكون مذللة مطيعة لصاحبها، لأن المستأنس الأهلى منها تتبع صاحبها . يقول ابن زيد : الذلول الذى يقاد ويذهب به حيث أراد صاحبه فهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها، ويذهبون وهى تتبعهم.

كما أنها مطيعة لله الذى سخرها للانسان، ومن أجل خدمته، ويتمثل ذلك فى :

---

(١) النحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع (ص ١٠١ - ١٠٣) بتصرف .
(٢) تفسير الألوسى (١٨٣/١٤) بتصرف .
(٣) تفسير الطبرى (٩٤/١٤) .
(٤) نفس المرجع السابق (٩٤/١٤) .

ثالثاً طاعة الله فى صنع الشراب الذى فيه شفاء للناس :

وذلك حسب ارشاد الله لها ،قال تعالى :

" ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" النحل (٦٩)

ولقد ذكر أكثر المفسرين بأن المراد من الشراب هو العسل كما ذكر فى تفسير الجلالين (هو العسل) (١) وفى تفسير الشوكانى قال : العسل وعن مجاهد فى الآية قال : هو العسل فيه الشفاء وفى القرآن (٢) . وقال الرازى آن فيه قولين : القول الأول وهو الصحيح أنه صفة للعسل (٣) .

ولكن لماذا لم يذكر سبحانه لفظ العسل صراحة كما هو الحال فى اللبن المستخرج من بطون الأنعام كما فى قوله تعالى :

" وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ " النحل (٦٦)

والاجابة على ذلك هو والله أعلم أن حقيقة هذا الشراب لم يكن معروفا من سابق ــ حين نزول القرآن الكريم والعصور الأولى التى بعدها ــ سوى أنه العسل . لكن القرآن الكريم معجز فى كل زمان ومكان ،ومعجز بكل كلمة فيه ،وهو كتاب مفتوح يتأمله ويتفكر فيه كل انسان ذى لب فى كل عصر ،وانما لم يذكر ويفسر ويوضح الرسول صلى الله عليه وسلم كل مافيه ليترك لكل انسان مجالا للتأمل والتفكير فى كل العصور،حتى لايتعطل الاجتهاد فى آى عصر من العصور لذا يختم سبحانه كثيرا من آيات القرآن الكريم التى تتحدث عن الكون وتدعونا الى النظر فى الكون بقوله :

" إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ .... " " ...يَتَفَكَّرُونَ ...". الخ

---

(١) تفسير الجلالين (٢٤٦/١) .

(٢) تفسير الشوكانى (١٧٦/٣) .

(٣) تفسير الرازى(٧٥/٢٠) .

قـــال الرسول صلى الله عليه وسلم عند وصفه القرآن :

(كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم، وخبر مابعدكم، وحكم مابينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذى من تركه من جبار قصمه الله ،ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ،فهو حبل الله المتين ،وهو الذكر الحكيم ،وهو الصراط المستقيم ،وهو الذى لاتزيغ به الأهواء ولاتلتبس به الألسنة ولايشبع منه العلماء لايخلق عن كثرة الرد ولاتنقضى عجائبه ،وهو الذى لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا : (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) هو الذى من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا اليه هدى الى صراط المستقيم ... الحديث) (١) .

صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن عجائب ماكشفه العلماء فى القرن العشرين الميلادى أن كلمة شراب غير قاصرة على العسل، بل يشمل سم النحل ، الغذاء الملكى ،والشمع ... الخ، وكل منها يخرج على هيئة شراب، وكل منها لها قيم علاجية (٢) .

أنواع الشراب المستخرج من النحل :

(١) العسل :

يسيل العسل كاللعاب حيث يقول تعالى : " يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا " ذلك لأن كل تجويف داخل البدن يسمى بطنا (٣) ، كما وأن هذا العسل ناتج عما هضم

---

(١) سنن الدارمى (٨٣١/١) ،كتاب فضائل القرآن ، الباب الأول باب فضل من قرأ القرآن . وأخرجه الترمذى وقال : هذا حديث لانعرفه الا من هذا الوجه واسناده مجهول ،وللحارث الهمذانى مقال عن على بن أبى طالب لكن المعنى صحيح .

(٢) نحل العسل فى القرآن والطب (ص ٥٥) بتصرف .

(٣) المعجم الوسيط (١٤٨/١) . ادارة احياء التراث الاسلامى بقطر .

فى بطن النحل من الغذاء بدليل أنه سبحانه قال لها : "ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ" وعقبه بقوله : "يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ" ،كما أن قصة النبى صلى الله عليه وسلم عندما سقته حفصة رضى الله عنها عسلا ثم ذهب الى احد زوجاته فقالت : أكلت مغافير قال : لا ،قالت فما هذا الريح التى أجد منك قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت : جرست نحلة العرفط ،والعرفط شجرة الطلحوله صمغ يقال له مغافير كريه الرائحة وفى ذلك دليل على أن النحلة أكلت ورعت من العرفط وبالتالى آثر على طعم العسل ورائحته اذا فالعسل ناتج عما هضم منغذاء النحلة أى فى بطنها ثم خرج من فمها .(١)

وكذلك ماروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال فى تحقيره للدنيا :(أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة ،وأشرف شرابه رجيع نحلة)(٢) ذلك لأنه يصنع فى بطنها ثم يخرج من فمها كما يقول الفيروزبادى : العسل : لعاب النحل .(٣)

وما أجمل قول القائل : ورق التوت يأكله الدود فيخرج منه الحرير ويأكله الظبى فيخرج منه المسك ،ويأكله النحل فيخرج منه العسل ويأكله المعز فيخرج منه الروث .(٤)

(٢) شراب الشمع :

وتقوم شغالات النحل بافرازه على شكل شراب (سائل) فاذا ماتعرض للهواء تحول الى قشور تمضغها النحل بفكوكها ليصير على الحالة المطلوبة.(٥)

---

(١) تفسير الخازن (١٠١/٤) بتصرف يسير .والحديث رواة البخارى فى كتاب الطلاق باب(٨) باب (لم تحرم ماأحل اللهلك) حديثرقم ٤٩٦٧ (جه ص ٢١٧ صحيح البخارى تحقيق د . مصطفى د يب البغا) .
وفى صحيح مسلم كتاب الرضاعة حديث رقم ٨٨ ،ابوداود كتاب الاشربة باب رقم (١١) ومسند احمد جـ٦ ص ٥٩ - ٨٦ .

(٢) تفسير القرطبى (١٣٥/١٠) .

(٣) بصائر ذوى التمييز (٦٥/٤) .

(٤) التفسير الواضح (٥٢/١٤) .

(٥) نحل العسل فى القرآن (ص ١٣) بتصرف

(٣) غذاء الملكة :

وتفرزه أيضا شغالات النحل ،وهو سائل أبيض اللون يسمى لبن النحل لأنه يشبه اللبن الكثيف أو القشدة،وهو طعام الملكة واليرقات (١) .

(٤) سم النحل :

وهو أنه حين خروج شغالة النحل من الخلية يكون كيس السم فيها محتويا على كميات قليلة منه ثم تتزايد الكمية من السم تدريجيا بزيادة نسبة المواد البروتينية والكربوهيدراتية فى غذاء النحل،ويفرز على شكل شراب (سائل) (٢) .

صفات الشراب المستخرج من بطون النحل :

(أ) اختلاف الألوان :

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى هذا الشراب باختلاف ألوانه فقال : "مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ" فنرى العسل متعدد الألوان فمنه الأبيض والأصفر والأحمر، أو الأسمر كالأبيض الضارب الى الحمرة مثلا،وهكذا الحال فى بقية أنواع الشراب (٣) . ويرجع اختلاف الألوان الى اختلاف مراعى النحل ومآكلها منه فلون عسل التفاح أصفر باهت،ولون عسل التوت الأسود أبيض ...الخ (٤) . وكذلك تختلف الألوان حسب اختلاف سن النحل فالأبيض لفتيها،والأصفر لكهلها، والأحمر لمسنها (٥) . وكذلك بحسب اختلاف سلالات النحل،واختلاف فصول السنة،

---

(١) نحل العسل فى القرآن (ص ١٣٥) بتصرف .
(٢) نفس المرجع السابق (ص ١٦٠) بتصرف .
(٣) تفسير الطبرى (٩٤/١٤) بتصرف .
(٤) عسل النحل شفاء نزل به الوحى (ص ١٢٩) .
(٥) تفسير الألوسى (١٨٥/١٤) .

وكذا بالنسبة للخلية اذا كانت قد بنيت حديثا أو قديما .(١)

يحصل الاختلاف فى ألوان الشراب على الرغم من أنها كلها تصنع فى بطون النحل، وبطريقة واحدة .

يؤكد هذه الحقائق علماء تربية النحل مؤخرا، وأن الاختلاف يرجع الى اختلاف نوع الرحيق المترتب على اختلاف نوعية الأزهار، كذلك يرجع الى اختلاف التركيب الكيماوى للتربة، لأن رحيق أزهار النباتات ناتجة من جذور تلك النباتات التى تمتص من التربة الماء، وبعض المواد منها كمية من المعادن التى تختلف باختلاف بقاع الأرض الى غير ذلك من المواد التى تدخل فى اختلاف ألوان الشراب المستخرج من النحل .(٢)

ويترتب على اختلاف ألوان العسل مثلا اختلاف خصائصه من حيث الطعم والرائحة، ونسبة المواد المركبة منه، ومن ثم أثر ذلك فى شفاء الأمراض ،فقد يكون نوع أنسب من آخر فى علاج مرض معين .(٣)

فعسل البرسيم والتوت والموالح شهى حلو ،وعسل التبغ طعمه مر نوعا ما ..الخ .(٤)

وينطبق هذا القول أيضا على الشمع، وغذاء الملكة للأسباب نفسها فسبحانه كيف حصل كل ذلك فى بطن هذا المصنع الصغير داخل الحشرة الصغيرة جدا ،لقد حاول الكثيرون معرفة ذلك لكنهم عجزوا حتى قيل أن (أرسطاطاليس)(٥)

---

(١) عسل النحل شفاء نزل به الوحى (ص ١٢٧) بتصرف .

(٢) النحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع (ص ١٧٢) بتصرف .

(٣) نحل العسل فى القرآن والطب (ص ٧٢) بتصرف .

(٤) عسل النحل شفاء نزل به الوحى (ص ١٢٩) بتصرف .

(٥) أرسطوطاليس . ولد عام ٣٨٤ قبل الميلاد فى ستاجيرا احدى قرى مدن طراقيا ،ولما بلغ عشرة أعوام من عمره ذهب الى أثينا ليدرس أكاديمية أفلاطون وكان من أكفأ وأشهر من تعلم ذلك ،اشترك فى حركة كل العلوم التى كانت معروفة اذ ذاك ماعدا الرياضة . ظلت نظرياته فى العلوم الطبيعية قائمة حتى الستطاعت الآلات الحديثة كالتلسكوبات والميكروسكوبات أن تكشف الكون بدقة واحكام أكثر . وأرسطوطاليس أول من وضع كتابا فى المنطق مايسمى علم التعليل العقلى، اشتهر فى علم الفلك والاحياء . توفى عام ٣٤٧ قبل الميلاد فى أثينا .
من المعرفة ــ أكمل موسوعة علمية ــ د. محمد فؤاد ابراهيم (٣/٥١٣) الشركة الشرقية للمطبوعات ــ بيروت .

صنع بيتا من زجاج لينظر الى كيفية صنع العسل فى بطون النحل فأبت النحل أن تعمل شيئا حتى لطخت باطن الزجاج بالطين وذلك لتمنع المشاهدة.(١)

سبحانه من ألهم النحل كل ذلك . ان أكبر المصانع اليوم لايمكنها مهما حاولت صنع مايماثل العسل فى جميع خصائصه لأن الصانع الحكيم لايمكن أن يماثله فى صنعه خلق من مخلوقاته ..

" بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاإِلَهَ إِلاهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ " . الأنعام (١٠١ - ١٠٢)

(ب) فيه شفاء للناس :

فقال سبحانه : " فيه شفاء للناس " فذكر كلمة الشفاء بصيغة النكرة وليست المعرفة لحكمة توصل لها العلماء بعد جدل وتفكير وملاحظة لقد أكدوا أن هذا الشراب ليس شفاء لكل داء (على العموم) بل لطائفة منه فينفع لعلاج بعض الأمراض.(٢)

والمعروف أن شراب النحل هو الشراب الوحيد بل والشىء المادى الوحيد الذى وصف فى القرآن الكريم بأنه شفاء بينما لم يذكر لفظ الشفاء فى القرآن الكريم الا فى ثلاث آيات(٣) أخرى نسب فيه الشفاء الى القرآن. أى أن القرآن الكريم شفاء النفوس والأرواح مما يصيبها من الأمراض النفسية والجسدية بينما وصف مايخرج من بطون النحل شفاء للأبدان

---

(١) تفسير القرطبى (١٣٥/١٠) بتصرف يسير .

(٢) تفسير الشوكانى (١٧٦/٣) بتصرف .

(٣) الآيات الثلاث التى نسب فيها الشفاء الى القرآن الكريم هى :

١ - قوله تعالى : " قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِى الصُّدُورِ " . يونس (٥٧)

٢ - قوله تعالى : " وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ" الاسراء (٨٢)

٣ - قوله تعالى : " وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ فِى آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ" . فصلت(٤٤)

عن طريق التداوى بمنتجاته من عسل ،شمع ، سم النحل ،غذاء الملكة [(١)] .

(١) الفوائد العلاجية للعسل :

ومن ذلك قلما نجد معجونا من المعاجين – دواء – الا وتمامه وكماله يحصل بالعجن بالعسل ،كما أن شرب العسل يترتب عليه فوائد عظيمة ان أخذ بكميات مناسبة ،فهو غذاء يستحسنه كل انسان لما يتميز به من مذاق حلو، وطعم شهى ولذيذ ،وفى الوقت نفسه دواء وتحصين للانسان السليم من أن يصيبه المرض ،لاحتوائه على العناصر الغذائية التى تفيد فى منع متناوله من الاصابة بكثير من الأمراض ،ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " عليكم بالشفائين العسل والقرآن " [(٢)] .

حيث جمع عليه الصلاة والسلام بين الطب البشري والطب الالهى، وبين طب الأبدان، وطب الأرواح ،وبين الدواء الأرضى، والدواء السماوى ،وكونه سبحانه يقرن بين القرآن والعسل ،فى ذلك تقرير وتنبيه لعباده بمدى عظمة هذين الدوائين القرآن الكريم والعسل [(٣)] .

لذا يصف الرسول صلى الله عليه وسلم العسل بأنه : دواء للرجل الذى كان يشتكى أخوه من بطنه كما يقول أبو سعيد الخدرى : ان رجلا أتى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : أخي يشتكى بطنه فقال : اسقه عسلا ثم أتى الثانية فقال : اسقه عسلا ثم أتاه الثالثة فقال : اسقه عسلا ثم أتاه فقال : فعلت فقال صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ [(٤)] .

---

(١) نحل العسل فى القرآن والطب (ص ٦٤ – ٦٥) بتصرف .
(٢) سنن ابن ماجه (١١٤٢/٢) كتاب الطب باب رقم (٧) باب العسل حديث رقم (٣٤٥٢) ،فى الزوائد : اسناده صحيح رجاله ثقات .
(٣) عسل النحل شفاء نزل به الوحى (ص ٦٥) بتصرف .
(٤) صحيح البخارى (١٢/٧) كتاب الطب باب الدواء بالعسل رقم (٤) .

ويؤكد هذه الحقائق الأطباء قديما وحديثا فنجد مثلا (ابن سينا)(١) ينصح مرضاه بشرب العسل، ويصفه دواء لبعض الأمراض، ويوضح لهم طريقة استعماله، ويذكر بعض هذه الفوائد: بأنه (الشراب العسلى) ينفع من الحمى المزمنة، ويلين البطن، ويدر البول، وينفع المعدة، ومن كان به وجع المفاصل والكلى .... الخ (٢) .

ويضيف أطباء العصر الحديث أنه مفيد فى علاج الجروح والحروق، وبعض الأمراض الجلدية، وبعض أمراض العيون، والتهاب الأنف والحنجرة، ويعمل على تقوية القلب، ويرفع الضغط المنخفض، ومن ذلك مالاحظه د. محمد على البنبى (٣) مع أحد الأطباء أن المريض اذا تناول عسلا عند نهوضه من النوم مباشرة قبل قيامه بأى مجهود لايتعرض للصداع، والقىء اللذين ينتجان عن انخفاض ضغط الدم (٤) .

---

(١) ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨هـ / ٩٨٠ - ١٠٣٧م) .
هو الحسين بن عبد الله بن سينا : أبو على، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف فى الطب والمنطق والطبيعيات والالهيات .
ومولده فى احدى قرى بخارى، نشأ وتعلم فيها . تقلد الوزارة فى همذان . ثم صار الى أصفهان، صنف فيها أكثر كتبه وعاد فى أواخر أيامه الى همذان فمرض فى الطريق ومات بها .
أشهر كتبه القانون فى الطب (وترجمه الفرنج الى لغاتهم وكانوا يتعلمونه فى مدارسهم وطبعوه بالعربية فى رومة فى أربع مجلدات، ومن كتبه أيضا الشفاء فى الطب، أسرار الحكمة المشرقية، أسرار الصلاة .
من الأعلام (٢/٢٤١ - ٢٤٢) .

(٢) القانون فى الطب - الشيخ أبو على بن على بن سينا (٣/٣٧٥) . دار صادر - بيروت - طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة بولاق .

(٣) د. محمد على البنبى . أستاذ علم النحل بكلية الزراعة جامعة عين شمس .

(٤) نحل العسل فى القرآن والطب (ص ١٠٧) بتصرف يسير .

وقد أقيمت فى العصر الحالى العديد من المستشفيات التى تصف العسل علاجا لمرضاها،ومن ذلك أول مركز طبى عالمى متخصص للاستشفاء بواسطة منتجات النحل أقيم فى بخارست برومانيا عام ١٩٧٥م تردد عليها فى العام الأول لانشائها أكثر من اثنى عشر مريضا، وأخذ هذا العدد يتزايد نظرا لنجاح العلاج ،وكذلك أقيمت مراكز مثلها فى الصين واليابان (١) .

ويشترط لأن يستمر العسل فى صفة كونه علاجا بقاؤه على الصفة التى خرج بها من بطون النحل فلا يتعرض للتسخين ونحوه (٢) .

ومافى العسل من صفة الشفاء ينطبق كذلك على باقى الشراب المستخرج من بطون النحل ،وان كان المتعارف عليه هو العسل بشكل أكبر نظرا لكثرة الكمية المستخرجة من العسل مقارنة بغيره .

(٢) الفوائد العلاجية لشمع النحل :

وقد ثبت لدى الأطباء بأنه يمكن استخدام الشمع المستخرج من بطون النحل لازالة القروح ،واذا ما استعمل مع زيت البنفسج الحلو فانه يشفى الدمامل ،كما يستخدم لعلاج مرض الثعلبة بعد خلطه بالزبدة،ويفيد المصابين بتورم أنسجة الأنف بمضغ قطعة من الشمع أو تمييعه وتنقيطه فى الأنف ،وغير ذلك من الأمراض ،وسبب ذلك توفر الخاصية العلاجية فيه لمكوناته الأساسية من الكحولات الدهنية والصبغات وفيتامين (أ) والمواد المانعة لنمو البكتريا، وغيرها من المواد التى من خواصها كونها ملطفة ومهدئة ومضادة للالتهابات (٣) .

ومن النعم المترتبة على وجود النحل والشراب المستخرج منها

---

(١) عسل النحل شفاء نزل به الوحى (ص ١٤٣) بتصرف .

(٢) نحل العسل فى القرآن والطب (ص ٦٦) بتصرف .

(٣) نفس المرجع السابق (ص ١٢٥ ــ ١٣٤) بتصرف،كذلك أسرار العافية ــ مسلم غازى (ص ١٢٥) بتصرف .

ومظهرا من مظاهر تسخير النحل :

(٣) الفائدة العلاجية للغذاء الملكى :

حيث ذكر الأطباء أنه يفيد فى علاج الأمراض الجلدية ،مثل الأمـــــراض التى تعملعلى تغيير لون الجلد وزيادة كثافته،وقلة مرونته بسبـــــب اضطراب افرازات الغدد ،فلو أعطى المصاب جرعات من غذاء الملكة مـــع التدهن بشىء منه مكان الاصابة فان النتيجة الحتمية هو الشفاء . كمـــا أنه يعمل على تنشيط أعضاء الجسم،ويزيد من سرعة التحول الغذائـــى، ويحسن الحالة النفسية،ويزيل الارهاق،وينشط الغدد،وغيرها من الفوائد (١).

(٤) الفوائد العلاجية لسم النحـــل :

يصلح لبن النحل لعلاج الحمى الروماتيزمية،وكذلك فى حالات التهـــاب الأعصاب وآلامها،وعرق النسا عن طريق حقن تحت الجلد فى الأماكن المؤلمة (٢).

سبحان الله كيف اجتمعت كل تلك الفوائد فى الشراب المستخرج مـــن بطون النحل المزودة بتلك الخصائص العلاجية ؟ كيف طبخ هذا الشـــراب المختلف الألوان والأشكال والأنواع داخل بطن هذه الحشرة المباركـــة ؟ ان التفكر فى ذلك كله يدلنا على وجود الله سبحانه وتعالى،وان أنكرهـــا بعض الناس غرورا وتكبرا . ولكن كل مفكر متأمل منصف يراعى الأمانـــة ومايمليه عليه ضميره فى كل علم وحقيقة يتوصل اليها،وان كان غير مسلـــم ان لكل مخلوق خالق ولكل مصنوع صانع،وان مدبر هذا الكون ومافيه هـــو

---

(١) نحل العسل فى القرآن والطب (ص ١٤٥ — ١٤٦) بتصرف .
(٢) نفس المرجع السابق (ص ١٦٣ — ١٦٤) بتصرف .

الله وحده لاشريك له كما يؤكد ذلك الدكتور واين ادلت [١] في مقالته التوافق بين العلوم بقوله : " لاشك أن اعتقاد وجود اله خالق لكل شيء يعطينا تفسيرا بسيطا سليما واضحا عن النشأة والابداع والحكمة في هذا الكون ،ويساعدنا على تفسير جميع مايحدث من الظواهر . أما النظريات التي ترمي الى تفسير الكون تفسيرا آليا فانها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون " .

ثم يضيف قائلا : " ونود أن نؤكد هنا أن الايمان الذي نقصده هو الايمان البصير، وليس الايمان الأعمى أي الايمان الذي يقوم على العقل والتدبير " [٢] .

---

(١) د. واين ادلت :
مختص في الكيمياء الجيولوجية ،حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا ،زميل بحوث بالمعمل الكيماوي الجيولوجي بنيويورك ،عضو الجمعية الجيولوجية الأمريكية .
من كتاب الله يتجلى في عصر العلم (ص ١٢٩) .

(٢) الله يتجلى في عصر العلم (ص ٣١) بتصرف .

الفصل السادس

البحار والأنهار

مظاهر الاستفادة بهما - تسخيرهما للسفن وغيرها - تعدد أغراض النفع بهما من لحوم وحلى وعمل وغير ذلك - آثار ذلك في توحيد الخالق عز وجل - شواهد ذلك من الآيات .

الفصل السادس

البحار والأنهار

مظاهر الاستفادة بهما ـ تسخيرهما للسفن وغيرها ـ تعدد أغراض النفع بهما من لحوم وحلى وعمل وغير ذلك ـ آثار ذلك فى توحيد الخالق عز وجل وشواهد ذلك من الآيات .

البحار فى اللغة :

بحر : الباء والحاء والراء أصل واحد ،قيل سمى البحر بحرا لاستبحاره وهو انبساطه وسَعَته . ويقال أبحر القوم اذا ركبوا البحر وقال : والأنهار كلها بحار، وقال بعضهم: البحرة الفجوة من الأرض تتسع. وأن ماء البحر لايشرب فان شُرب أورث داء كذلك كل ماء ملح، وان لم يكن ماء بحر .(١)

وفى الصحاح : البحر : خلاف البر ،يقال : سمى بحرا لعمقه واتساعه، والجمع أبحر وبحار وبحور، وكل نهر عظيم بحر . وماء بحر : أى ملح. وأبحر الماء : ملح . أبحر فلان اذا ركب البحر .(٢)

وفى اللسان بحر : البحر : الماء الكثير ،ملحا كان أو عذبا، وهو خلاف البر سمى بذلك لعمقه واتساعه ،وقيل كل نهر لاينقطع ماؤه فهو بحر. مثل دجلة والفرات والنيل وما أشبهها من الأنهار العذبة الكبار ،فهو بحر . وأما البحر الكبير الذى هو مغيض هذه الأنهار فلايكون ماؤه

---

(١) مقاييس اللغة (١/٢٠١ ـ ٢٠٣) .

(٢) الصحاح (٢/٥٨٥) .

الاملحا أجاجا، ولايكون ماؤه الا راكدا ،وأما هذه الأنهار العذبة فماؤها جار، وسميت هذه الأنهار بحارا لأنها مشقوقة فى الأرض شقا، وسمى البحر بحرا لاستبحاره، وهو انبساطه وسعته . والبحر فى كلام العرب الشق[1]

وأصل البحر : كل مكان واسع جامع للماء الكثير وسعته المكانية . وسموا كل متوسع فى شئ بحرا، وقال بعضهم : البحر فى الأصل الملح دون العذب وسمى العذب بحرا لكونه مع الملح[2] .

النهر فى اللغة :

النون والهاء والراء أصل صحيح يدل على تفتح شئ أو فتحه .

وأنهرت الدم : فتحته وأرسلته . وسمى النهر لأنه ينهر الأرض أى: يشقها وجمع النهر أنهار ونهر، واستنهر النهر : أخذ مجراه، وأنهر الماء : جرى ونَهَرٌ نَهِر : كثير الماء ومنه النهار :انفتاح الظلمة عن الضياء مابين طلوع الفجر الى غروب الشمس[3] .

وفى الصحاح : نهر الماء : اذاجرى فى الأرض، وجعل لنفسه نهرا، وكل كثير جرى فقد نهرواستنهر ،واستنهر الشئ : اتسع . والنهر (بسكون الهاء وفتحه) : واحد الأنهار، وقد يعبر بالواحد عن الجمع[4] .

وفى اللسان : نهرت النهر : حفرته وأنهرت الدم : أى أسلته والأنهار : الاسالة والصب بكثرة[5] .

وقد ذكر لفظ البحر مرة واحدة فى سورة النحل فى قوله تعالى :

" وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" النحل (١٤)

---

(١) لسان العرب (٤١/٤ - ٤٣) .
(٢) بصائر ذوى التمييز (٢٢٥/٢ -٢٢٦) .
(٣) مقاييس اللغة (٣٦٢/٥) .
(٤) الصحاح (٨٤٠/٢) .
(٥) لسان العرب (٢٣٧/٥) .

فقد ذلل الله تعالى البحر لركوبه، والغوص فيه، وليأكل الناس منه اللحم الطرى وهو السمك، الذى عبر عنه باللحم مع كونه حيوانا للاشارة الى قلة عظامه، وضعفها فى أغلب مايصطاد للأكل بالنسبة الى الانعام الممتن بالأكل منها، وقيل للتلويح بانحصار الانتفاع به فى الأكل من اللحم الطرى لحم السمك، ووصفه بذلك للاشعار بلطافته، والتنبيه الى أنه ينبغى المسارعة الى أكله فانه لكونه رطبا مستعدا للتغير فيسرع اليه الفساد.[(١)] [(٢)]

كما سهل، ومكن سبحانه العباد من استخراج مافيه من اللآلى، والجواهر النفيسة مثل اللؤلؤ والمرجان، التى يتخذها الناس زينة يتزينون بها، والمنفعة الثالثة هى مخر السفن للماء، قال قتادة مقبلة ومدبرة، وذلك أنك ترى سفينتين احداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة، وأصل المخر فى اللغة الشق يقال مخرت السفينة مخرا اذا شقت الماء بجؤجؤها.[(٣)]

كذلك يوجهنا السياق الى الاستفادة من البحار لغرض التجارة فيحصل الربح من فضل الله سبحانه، فاذا وجد الانسان فضل الله عليه فعليه شكر الله تعالى وحده مسخر البحر ومافيه لخدمة العباد.[(٤)]

ان الماء أحد عوامل استمرار الحياة، ذلك لأن الحياة والماء فى كوكب الأرض شيئان متلازمان. وأثبت العلم أن واحدا وسبعين فى المائة (٧١٪) من مساحة الكرة الأرضية أى مايعادل ثلاثة أرباعها تقريبا

---

(١) تفسير الجلالين (٢٤١/١) بتصرف.
(٢) تفسير الألوسى (١١/١٤ - ١١٢) بتصرف.
(٣) تفسير الخازن (٨٣/٤) بتصرف.
والجؤجؤ: مجتمع رؤوس عظام الصدر، وصدر السفينة. المعجم الوسيط (١٠٢/١).
(٤) تفسير الشوكانى (١٥٣/٣) بتصرف.

مغطى بمياه البحار والمحيطات[١] . ونقصد بالبحر فى هذا البحث الماء الملح دون العذب، وهو المشهور فى كلام العرب[٢] ، وقيل ان كل ماء عذب على الأرض أصله الماء الأجاج أى ماء البحر[٣] ، وفى ذلك دلالة على مدى أهمية ماء البحر وتسخيره للانسان .

أولا : بعض مظاهر تسخير البحر والاستفادة منه .

والتسخير سياقة الى الغرض المُخْتَص قهرا ، والمُسخَّر هو المُقيَّض للفعل[٤] .

ولقد لفت الله تبارك وتعالى نظر العباد الى أربعة من مظاهر تسخير البحر فى قوله تعالى من سورة النحل :

" وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (١٤)

وهى :

(١) الأكل من الثروات الغذائية الموجودة فى البحر كالأسماك، وغيرها .

(٢) استخراج مافيه من حلى .

(٣) تسخير البحر لجريان الفلك فيه بما ينفع الناس .

(٤) الابتغاء من فضل الله بركوب البحر لغرض التجارة ، والسفر للعمرة والحج مثلا .

وسأوضح كل مظهر من المظاهر المترتبة على تسخير البحر ، ومافى ذلك من دلالة على وجود الخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته ورحمته بعباده .

---

(١) العلم الحديث حجة للانسان أم عليه ـ د. عبدالله العبادى (ص ٥٣) بتصرف يسير .

(٢) بصائر ذوى التمييز (٢/٢٢٦) .

(٣) انظر الاسلام فى عصر العلم (ص ٣٥١) .

(٤) المفردات فى غريب القرآن ـ كتاب السين (ص ٢٢٧) .

المظهر الأول : الأكل من الثروات الغذائية الموجودة فى البحر .

مثل الانتفاع بأكل اللحم الطرى (السمك)[(١)] .

وسبب التعبير عن السمك باللحم الطرى مع كونه حيوانا الاشارة الى قلة عظامه فى أغلب مايصطاد للأكل بالنسبة الى الأنعام ،وقيل : لانحصار الانتفاع به فى الأكل[(٢)] . ووصفه سبحانه بأنه طرى للدلالة على عظمة ورحمة الله بعباده، وأنه أخرج من البحر الملح[(٣)] لحما طريا،وفى غاية العذوبة وأن هذا العمل ليس بطبع السمك أو بقدرته بل بقدرة وارادة الخالق سبحانه الذى لايعجزه شئ القادر على اخراج الضد من الضد ،وقد بدأ سبحانه بذكر نعمة الأكل لأهميته لقوام البدن[(٤)] . قد ينسى البعض مدى عظمة الخالق فى خلقه السمك ،ومدى أهميته فى الأكل نظرا لطول الألفة لذا يذكرهم تعالى بهذه النعمة ،ويلفت نظرهم اليها ليتأملوها ويتفكروا فيها، ويعرفوا أن الأسماك أكبر مصدر للبروتين الغذائى بعد البروتين المستخرج من الحيوانات البرية بمختلف أنواعها[(٥)] . كما أن بروتينات الأسماك سهلة الهضم اذا قارناها باللحوم التى نحصل عليها من الحيوانات الأخرى ،وتحتوى اضافة الى ذلك على كمية كبيرة من الفوسفور ذى الأهمية للنمو الصحيح خاصة للأطفال ،وزيت السمك المحتوى على فيتامين (أ ، ى) والبروتينات والأحماض الأمينية الهامة للانسان[(٦)] . مما جعل الكثير يعتبر الأسماك أهم الثروات المائية ،وأولى الكائنات المائية بالدراسة ،لاسيما

---

(١) تفسير الشوكانى (١٥٣/٣) .

(٢) تفسير الألوسى (١١١/١٤) بتصرف يسير .

(٣) يقال لماء البحر : الماء الملح وليس الماء المالح لأن هناك فرقا بينهما فالماء الملح : الماء الذى فيه الطعم المعروف من أصل الخلقة كماء البحر . والماء المالح : هو الذى وضع فيه ملح فتغير طعمه . تفسير الألوسى (١٨٩/٢٢) بتصرف يسير .

(٤) تفسير الخازن (٨٣/٤) بتصرف .

(٥) جغرافية البحار،د.عبد العزيز شرف (ص ٢٥٩) بتصرف يسير . مكتبة الخريجى ،الرياض ط الأولى ١٤٠٥هـ .

(٦) الماء والحياة بين العلم والقرآن (ص ٩٠) بتصرف .

أن فى البحار أنواعا أخرى من الثروات الغذائية الصالحة للأكل ، والله سبحانه لم ينص على أن مايؤكل هو السمك فقط بل قال : (لحما) لأن مايصاد من البحر ثلاثة أجناس . قال بعض المفسرين : (الحيتان وجميع أنواعها حلال ، والضفادع وجميع أنواعها حرام ، وماسوى ذلك اختلفوا فيه فقال البعض : حرام وقال البعض : حلال .[(١)] قال الرسول صلى الله عليه وسلم : أحلت لنا ميتتان : الحوت والجراد .[(٢)] وغير ذلك من الكائنات البحرية كالجنبرى ، وغيرها لاسيما أن المساحة المائية أكبر من اليابسة على وجه الكرة الأرضية ، فالبحار والمحيطات تحيط بمعظم دول العالم وقلما توجد دولة الا وتشرف على بحر ، وتستفيد من النعم المترتبة على وجوده ، ومن ذلك استخراج الثروات الغذائية وغيرها .

المظهر الثانى : استخراج الحلى من البحار .

ولقد أشار الى ذلك قول الله تعالى فى سورة النحل :
" ... وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ... ".

النحل (١٤)

---

(١) تفسير النيسابورى (٤٥/٧) بتصرف يسير .
(٢) سنن ابن ماجه (١٠٧٣/٢) كتاب الصيد (باب صيد الحيتان والجراد رقم ٩) . عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقال البصيرى فى الزوائد فى اسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف وقد ذكره البصيرى الشواهد من حديث ابن أبى أوفى ومن حديث أنس بن مالك (مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه للحافظ أحمد بن أبى بكر بن اسماعيل الكنانى المتوفى سنة ٨٤٠هـ تحقيق وتعليق محمد المنتقى الكشناوى – دار العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
وقال الحافظ ابن حجر فى بلوغ المرام بعد ماذكر هذا الحديث أخرجه أحمد وابن ماجه وفيه ضعف . سبل السلام شرح بلوغ المرام للأمير الصنعانى المتوفى سنة ١١٨٢هـ تحقيق فواز أحمد زولى وابراهيم محمد الجمل . (٥٧/١) دار الكتاب العربى – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

فأرشد الله سبحانه عباده الى استخراج مايتزينون به ويزينون به نساءهم من حلى أو غيره كاللؤلؤ والمرجان (١).

كما ذكر سبحانه فى سورة الرحمن بقوله :

" يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ " (٢٢)

واللؤلؤ : واحد من أهم الموارد البحرية، وهو ذو قيمة عظيمة، كما أنه من أعجب وأجمل مافى البحار، وأصله حيوان يهبط الى الأعماق داخل صدفة من المواد الجيرية لتقيه من الأخطار، ويتكون داخل شبكة دقيقة كشبكة الصياد عجيبة النسج تكون كمصفاة تسمح بدخول الماء والهواء والغذاء الى جوفه، وتحول بين الرمال والحصى وغيرهما، وتحت الشبكة أفواه الحيوان ولكل فم أربع شفاه، فاذا دخلت ذرة أو قطعة حصى أو حيوان ضار عنوة الى الصدفة سارع الحيوان الى افراز مادة لزجة يغطيها بها ثم تتجمد وتتحجر مكونة لؤلؤة، وعلى حسب حجم الذرة التى وصلت يكون حجم اللؤلؤة فمنها ماهو صغير كالعدسة، ومنها ماهو كبير أكبر من بيضة الحمامة (٢) كما تتعدد ألوانه من الأبيض والأسود والأخضر والبنى والأزرق وغيرها (٣).

أما المرجان فهو حيوان بحرى يعيش فى أعماق تتراوح بين خمسة أمتار وثلاثمائة متر، ويثبت نفسه بطرفه الأسفل بصخر أو عشب، فيظهر أولا فرعا أشبه بالنبات يسكن فيه حيوان ثم يخرج فرع آخر غيره، وهكذا تتكون شجرة المرجان، وتكون ذات ساق سميكة تأخذ فى الدقة نحو الفروع التى تبلغ غاية الدقة فى نهايتها، وقد يبلغ طول الشجرة المرجانية نحو ثلاثين مترا، والجزر المرجانية الحية ذات ألوان مختلفة نراها فى البحار صفراء وبرتقالية، وحمراء قرنفلية، وزرقاء زمردية، أو غبراء

---

(١) تفسير الشوكانى (١٥٣/٣) بتصرف .
(٢) تفسير الظلال (١٢٠/٢٧) بتصرف يسير .
(٣) انظر الماء والحياة بين العلم والقرآن (ص١٠٢) .

باهتة ،والمرجان الأحمر هو المحور الصلب المتبقى بعد فناء الأجزاء الحية من الحيوان ،وتكون الهياكل الحجرية مستعمرات هائلة،ومنها يتخذ أغلى الحلية (١) .

ويشتهر البحر الأحمر بهذه الجزر المرجانية الحمراء لذا سمى بالبحر الأحمر (٢) .

ولايقتصر الحلى المستخرج من البحار على اللؤلؤ والمرجان بل يشمل على كثير من أنواع الحلى الأخرى كالذهب الموجود فى البحار بكمية كبيرة ،بحيث لو وزع على عدد كبير من سكان الأرض لنال كل منهم نصيب منه . كما يوجد النحاس (٣).

وقيل أن كلمة (حلية) تتضمن عظام السمك التى يصنع منها مقابض السيوف والخناجر (٤) .

المظهر الثالث : تسخير البحر لجريان الفلك فيه بما ينفع الناس .

فقد لفت المولى سبحانه وتعالى نظر عباده خاصة صاحب الحس المتبلد والغافل عن ذكر الله الذى نسى مقدار عظمة هذه النعمة ،ومن ثم قصر فى عبادة الخالق وشكره لذا لفت المولى نظر العباد الى تلك النقطة الصغيرة التى تتحرك فى البحار والمحيطات حاملة العبادو المتاع والأرزاق ،من مشارق الأرض الى مغاربها،متحدية كل مايلاقيها من صعاب البحر بسنة سنها الله تعالى من أيام صنع نوح عليه السلام لسفينته بوحى من الله

---

(١) تفسير الظلال (٢١/٢٧) بتصرف . كذلك تفسير الجواهر (٧٣/٢) بتصرف يسير .
(٢) جغرافية البحار (ص ٣٤١) بتصرف .
(٣) الماء والحياة بين العلم والقرآن (ص ٦٦) بتصرف .
(٤) تفسير الألوسى (١٧٩/٢) بتصرف يسير .

سبحانه وتعالى[1] ، وفى ذلك يقول عكرمة[2] فى تفسيره لقوله تعالى :

" وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ...".

" هى السفن تمخر الماء أى : تشقه .ويقول أيضا : ماأخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء فهو المواخر"[3].

والقارئ المتأمل فى الآيات المتعلقة بالبحر والفلك[4] كما فى سورة النحل :

" وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (١٤)

سيعرف أن جريان الفلك فى البحر ليس بارادة الفلك نفسه أو ربانه، بل بارادة الخالق الذى أودع فيه من العناصر والخصائص مايسهل جريه على سطح الماء ،وبما أودع فى الانسان من خصائص يدرك بها النواميس والسنن فى الأشياء ،فيستغلها ويستفيد مما سخره الله له بقدر الامكان[5].

---

(١) تفسير الظلال (٢٠/٢) بتصرف يسير .

(٢) عكرمة : أبو عبدالله مولى ابن عباس أصله بربرى ثقة ثبت عالم بالتفسير مات سنة ١٠٧هـ وقيل بعد ذلك .
من تقريب التهذيب (٣٠/٢) ترجمة رقم (٢٧٧) .

(٣) انظر تفسير الطبرى (٦١/١٤) .

(٤) الفلك : بضم الفاء ،يطلق على ماهو صغير كالمراكب وماهو كبير كالسفن وافراده وجمعه بلفظ واحد ويذكر ويؤنث . والفلك المفرد مذكر كقوله تعالى " ... أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ" يس (٤١) فجاء مذكرا ،وقال تعالى : " وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ" البقرة (١٦٤) فأنث . ويحتمل واحدا وجمعا كقوله "حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ" يونس (٢٢) جمع فكأنه يذهب بها اذا كانت واحدة الى المركب فيذكر والى السفينة فيؤنث ،وقيل واحده فلك . من تفسير القرطبى (١٩٤/٢) .

(٥) تفسير الظلال (١٦٨/١٣) .

وتتمثل هذه النواميس في ثلاثة عناصر هي :

(١) خلق وجه الماء على الملامسة التي تجري عليها الفلك .

(٢) خلق الأخشاب متخلخلة الأجزاء .

(٣) الرياح التي تجري وفق ارادة الله سبحانه وتعالى (١) .

العنصر الأول : خلق وجه الماء على الملامسة التي تجري عليها الفلك .

فقد خلق الله تعالى الماء، وزوده بصفات تسهل سير الفلك على سطحه دون عناء ، وذلك لرقة ملمس الماء ، وفيه الحركات القوية التي تساعد على دفع السفينة في الاتجاه الذي يريده الربان ، كما انه لطيف سيال متصل الأجزاء كأنه شيء واحد، ومع ذلك جعل سبحانه فيه قابلية التقطيع والانفصال عند مرور الفلك فيه (٢) .

وبالرغم من قلة كثافة (٣) الماء عن كثافة الفلك المؤلف من خشب وحديد ... الخ . فانه يبقى طافيا على سطح الماء بينما لو ألقينا قطعة حديد في اناء به ماء نجدها سرعان ماتسقط وتستقر في قاع الاناء، ذلك لأن الماء لايحمل مالايكون آخف منه وزنا (٤) .

أما سر مسك السفينة في وسط البحر وان غاص جزء بسيط منها فانه يرجع الى ما آودعه الله تعالى من قوانين في الكون ، ومنها مايقضي بأن لايغوص من السفينة الا القدر الذي يكفي لازاحة قدر من الماء وزنه من وزن السفينة ، عندئذ يكون دفع الماء للسفينة الى آعلى مساويا

---

(١) تفسير الرازي (٢٧/٢٦٣) بتصرف يسير .

(٢) احياء علوم الدين (٤/٣٧٧) بتصرف . باب التفكر في خلق الله تعالى.

(٣) الكثافة : خارج قسمة كتلة المادة على حجمها، ومن المعتاد التعبير عن الكثافة بالوحدة جرام على السنتيمتر المكعب ، أو رطل على القدم المكعبة . من موسوعة الثقافة العلمية (ص ٢٩٤) .

(٤) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، تعريب ظفر الاسلام خان ، تحقيق د. عبدالصبور شاهين (ص ٤٥) بتصرف . دار البحوث العلمية، الطبعة السادسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

بالضبط ضغط السفينة على الماء الى أسفل ،فاذا زيد فى حمولة السفينة غاص جزء منها مساو لوزن الزيادة فى الحمولة ،وسمى هذا القانون بقانون الطفو[1][2] .

وقد علم الله تعالى عباده كيفية صنع الفلك بتعليم نوح عليه السلام فقال تعالى :

" وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ " . هود (٣٧)

قال مجاهد : " الفلك السفينة وقوله بأعيننا أى:بعين الله ووحيه كما يأمره "[3] .

وقال ابن عباس فى قوله تعالى : " وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا" "وذلك أنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها على مثل جؤجؤ الطائر "[4] .

وفى ذلك قيل ان الله أوحى الى نوح بغرس الشجر ليعمل السفينة ثم جمعها بعد يبسها ،وأوحى له شكلها وطولها وعرضها ،وتخصيص كل طابق بأنواع من المخلوقات ،من كل زوجين اثنين ،وعدد أبوابها ،وغير ذلك من أوصافها[5] .

---

(١) الماء والحياة بين العلم والقرآن (ص ٢٣١) بتصرف يسير .

(٢) قانون الطفو : هو المعروف بقاعدة أرشميدس (دراسة السوائل فى حالة السكون) وينص على أنه اذا غمر جسم فى الماء (أو فى سائل آخر) جزئيا أو كليا فانه يطفو الى أعلى بقوة تساوى وزن الماء (أو السائل) الذى يزيحه . موسوعة الثقافة العلمية (ص ٢٧١) .

(٣) تفسير الطبرى (٢١/١٢) .

(٤) تفسير الطبرى (٢١/١٢) .

(٥) تفسير القرطبى (٣١/٩ - ٣٢) بتصرف .

فكانت سفينة ذات شكل يؤهلها لشق عباب البحر بسهولة .

العنصر الثانى : خلق الأخشاب متخلخلة الأجزاء .

أى أن فى أجزائها فرج ،وكل مجوف فيه هواء لايغوص فى الماء بل يبقى طافيا على وجه الماء،وبالتالى تبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها قادرة على السير فوق سطح الماء (١) ،كما أنه سبحانه جعل من صفات الأشجار الصلابة حتى يمكن تركيب الفلك من قطعها ،كما خلق الحديد وسائر الآلات التى تدخل فى تركيب الفلك (٢) ، مما يجعلها تنقل البشر والآلات الحديدية والأرزاق وغيرها من احتياجات البشر من بلد لآخر بكل يسر وسهولة .

العنصر الثالث : الرياح التى تجرى وفق ارادة الله تعالى لتسهيل جريان الفلك فى البحر .

فهذه الرياح تجرى وفق مايلائم حاجة الانسان لتسيير الفلك ،فلو كانت الرياح ساكنة لبقى الفلك ساكنا وسط البحر ،ولو زادت عن النسبة المحددة لغرقت كل الفلك التى فى وسط البحر . ويوضح القرطبى أهمية الريح عند تفسيره لقوله تعالى :

" وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِى الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ . إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" . الشورى (٣٢-٣٣)

حيث يقول مامخلصه : ان الرياح اذا سكنت فان السفن ستبقى سواكن على ظهر البحر لاتجرى (٣) ،وكل ثابت فى مكان فهو راكد .

(١) احياء علوم الدين (٣٧٧/٤) بتصرف . باب كيفية التفكر فى خلق الله .
(٢) تفسير الرازى (١٣٠/١٩) بتصرف .
(٣) تفسير القرطبى (٣٢/١٦) بتصرف .

والسفن بمختلف أنواعها بخارية ،كهربائية ...الخ،وأشكالها من شراعية أو غير شراعية تسير فى وسط البحر كالجبال لوجود الأعمدة، ومافى معظمها من قلاع لابد منها ـ كما يقول العلم الحديث ـ لدفع السفن حتى تشق طريقها جريا فى البحار (1) .

والناظر اليها من بعد يراها كالجبال المتحركة تغدو وتروح حاملة الخير والبركة ،دون أن تغرق بأمر الله تعالى الذى نظم وظائف الخلائق جميعا لخدمة الانسان ،ومنها جريان السفن فى البحر ونسق وجودها كلها بخواص معينة بحيث لو اختل شىء منها ولو قليلا مثل كثافة الماء، أو نسبة ضغط الهواء على سطح البحر،لحال دون جريان السفن أو لغرقت (٢) .

ان فى كل ماذكرناه من تسخير الفلك وجريانه فى البحر بما ينفع الناس دليل على وجود الخالق وعظمته بعكس مايدعيه الملحدون من انكار وجود الله فهم بذلك يدعون وجود المخلوق من غير خالق وهو قول ينافى العقل والواقع ،ونسوق فى مجال الرد على بطلان دعواهم محاجاة الامام أبى حنيفة لمجموعة من الملحدين حيث قال لهم : " مارأيكم فى رجل يقول لكم : رأيت سفينة مشحونة بالأحمال ،مملوءة من الأثقال قد احتوشتها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ،ورياح مختلفة ،وهى من بينها تجرى مستوية ليس لها ملاح يجريها ،ولامتعهد يدفعها ،هل يجوز فى العقل ؟ قالوا : هذا شىء لايقبله العقل . فقال أبو حنيفة : ياسبحان الله اذا لم يجز فى العقل سفينة تجرى فى البحر مستوية من غيرمتعهد ولامجر،فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها،وتغير أعمالها، وسعة أطرافها،وتباين أكنافها من غير صانع ولاحافظ ؟ فبكوا جميعا وقالوا : صدقت ،وتابوا (٣) .

---

(١) الماء والحياة بين العلم والقرآن (ص ٢٣٢) بتصرف .
(٢) الظلال (٢١/١٨) بتصرف .
(٣) انظر العقيدة فى الله (ص ٧٠) .

المظهر الرابع : الابتغاء من فضل الله المترتب على وجود البحار (ركوب البحر) .

قال تعالى :

" وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" النحل(١٤)

يقول مجاهد فى المراد من قوله تعالى : "وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ" قال : تجارة البر والبحر ،وفى المراد من قوله تعالى : " وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" أى:لتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم ،اذ سخر لكم ماسخر من هذه الأشياء التى عددها فى هذه الآية (١) . وقال الامام الخازن فى تفسيره : "يعنى الأرباح بالتجارة فى البحر" (٢) .

كذلك يستفاد من ركوب البحر فى المعارك ،حيث ان الكثير من الفتوحات الاسلامية كانت عن طريق البحر،مثل غزوة الصوارى (٣) التى وقعت فى

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٦٢/١٤) .

(٢) تفسير الخازن (٨٣/٤) .

(٣) ذات الصوارى : اسم اطلق على معركة بحرية بين العرب والروم ابان خلافة عثمان بن عفان عام ٣٥هـ/٦٥٥م وقيل قبيل ذلك وكان الأسطول البيزنطى بقيادة قسطنطين ابن هرقل وعدته مابين خمسمائة وستمائة سفينة وكان على الأسطول العربى عبدالله بن سعد بن آبى فرج وانهزم قسطنطين فى نهاية المعركة التى قتل فيها الكثير من المسلمين ومن الروم وهرب الى صقلية وسميت المعركة بذات الصوارى لكثرة الصوارى التى ارتفعت على مياه البحر فى المعركة ،وتعتبر هذه المعركة أول معركة بحرية هامة خاضها العرب فى حروبهم بعد ذلك مع البيزنطيين وغيرهم من الدول الأوربية البحرية .
من القاموس الاسلامى . أحمد عطية الله (٤٣٣/٣) . مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه فى عام أربع وثلاثين من الهجرة[1]، ولأول مرة شهد التاريخ ميلاد البحرية الاسلامية[2]، وتم النصر للمسلمين .

علاوة على الثروات المعدنية المستخرجة من البحار المسخرة لخدمة الانسان، مثل البترول الموجود فى قاع البحار والمحيطات الناتج من تحلل الكائنات النباتية والحيوانية الموجودة فيها . وكذا الحديد وغيرها من المعادن التى تستخرج منها بنسبة أضعاف مايستخرج من الصخور[3] .

ولاننسى أن أهم نعمة مترتبة على وجود البحار هى وجود الماء العذب، فكل عذب على الأرض أصله الماء الأجاج بعد تسلط أشعة الشمس على البحر، وتبخر جزء منه، فيصعد الى طبقات الجو العليا عن طريق الرياح، وتتكاثف السحب، ومن ثم ينزل المطر (الماء العذب)[4] .

ومن عجيب صنع الله أنه على الرغم من نزول الأمطار سنويا الآن؛ لاينقص حجم البحار، رغم تبخر جزء منه، وهذا من رحمة الله بعباده . يقول الأستاذ كريس موريسون : " وعجلة الموازنة العظيمة هى تلك الكتلة الفسيحة من الماء ، أى: المحيط الذى استمدت منه الحياة، والغذاء، والمطر، والمناخ المعتدل، والنباتات، وأخيرا الانسان نفسه . فدع الذى يدرك ذلك يقف فى روعة أمام عظمته، ويقرّب واجباته شاكرا[5] " .

---

(١) الكامل فى التاريخ لأبى الحسن على بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير (٥٨/٣) . دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(٢) خلفاء الرسول - خالد محمد خالد (ص ٣٥٥) . دار الكتاب العربى بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٣) القرآن والعلم (ص ١٧٨) بتصرف .

(٤) الاسلام فى عصر العلم (ص ٣٥١) بتصرف .

(٥) انظر العلم يدعو للايمان (ص ٦٦) .

ولولا ملوحة ماء البحر لأنتن الماء،ولفسد الجو،ولم تصلح الأرض للسكنى ،لعدم تحلل الكائنات الميتة فى البحر[(١)] . وحكمة انتشار البحار فى أنحاء الأرض حتى تحصل عملية التبخر فيها فينزل المطر فى تلك المنطقة[(٢)] ومن ثم تكون المنفعة شاملة لكل أنحاء الأرض، وغيرها من النعم كثيرة لاتعد ولاتحصى كما يقول الامام أبو حامد الغزالى ماملخصه : ان المتأمل فى عجائب البحر سيرى الكثير ،فان فيه من الحيوان والجواهر سعة الأرض ،لذاكان فيه من الحيوانات العظام ،ومامن صنف من أصناف حيوان البر الا وفى البحر أمثاله وأضعافه ،أجناس لانعهد لها نظيرا فى البر[(٣)] .

ثانيا : بعض مظاهر تسخير النهر والاستفادة منه .

ذكر سبحانه وتعالى فى سورة النحل نعمة وجود الأنهار فقال تعالى : "وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" .

(١٥)

ومن نعم الله على العباد أن ألقى فى الأرض رواسى، وهى جمع راسية، وهى الثوابت فى الأرض من الجبال وقوله: أن تميد بكم يعنى أن لاتميد بكم، وذلك كقوله يبين الله لكم أن تضلوا والمعنى: أن لاتضلوا، وذلك أنه جل ثناؤه أرسى الأرض بالجبال لئلا يميد خلقه الذى على ظهرها[(٤)]، وقوله تعالى : "وَأَنْهَٰرًا" أى: وجعل فى الأرض أنهارا،لأن الالقاء هاهنا بمعنى الجعل والخلق[(٥)] ، والملاحظ أن أكثر الأنهار تتفجر منابعها فى

---

(١) تفسير الجواهر (٢٢١/١٢) بتصرف .
(٢) قصة الايمان بين الفلسفة والقرآن (ص ٣٣٥) بتصرف .
(٣) احياء علوم الدين (٣٧٦/٤) بتصرف .
(٤) انظر تفسير الطبرى (٦٢/١٤) .
(٥) تفسير الشوكانى (١٥٣/٣) .

الجبال فلهذا السبب لما ذكر الله تعالى الجبال أتبع ذكرها بتفجير العيون والأنهار،(١) كما جعل سبحانه فى الأرض طرقا مختلفة يسلكها العباد فى أسفارهم، والتردد فى حوائجهم من بلد لآخر فيهتدون بتلك السبل الى مايريدون فلا يضلون(٢) .

ولقد تكونت الأنهار من امتلاء التعاريج الموجودة فى سطح الأرض بمياه الأمطار(٣)، فكانت رزقا للعباد من مكان منبعها، وطريق مرورها فى البرارى، واختراقها للجهات المختلفة من الأرض من مرتفعات ومنخفضات، يمنة ويسرة، شرقا وغربا، لاسيما أن منبع الأنهار من الأماكن المرتفعة من جبال وأشباهها، كما أثبت ذلك العلماء مؤخرا، وقد بين الله سبحانه ذلك فى الآية السابقة عندما ربط بين نعمة وجود الجبال، وتفجير الأنهار(٤)، وتعتبر الأنهار شريان حياة الأقاليم والأقطار، تخترقها فتجرى فيها الحياة، وتفيض فيفيض الخير، وتخرج من جوفها أسماكا وأعشابا وخيرات يأكلها، ويستفيد بالبعض الآخر منها الانسان، وكذا الطيور والحيوانات التى تأكل بعض أنواع الأسماك مثلا . لاسيما أن غالبية المياه العذبة فوق سطح الأرض هى مياه الأنهار والجداول(٥)، يستخدمها الانسان للشرب أو لسقى الأرض، وتنتشر الزراعة بشكل كبير على جانبى النهر لخصوبة الأرض بما تحمله المياه من غِرْيَن(٦)، وغيره من المواد التى تؤدى الى خصوبة الأرض ونمو الزرع(٧) .

---

(١) انظر تفسير الرازى (٢٠/١٠) .

(٢) تفسير الخازن (٤/٨٣) بتصرف يسير .

(٣) تفسير الألوسى (١٣/٢٢٤) بتصرف .

(٤) تفسير الظلال (٢٠/١١) بتصرف يسير .

(٥) الجدول : مجرى صغير يشق فى الأرض للسقيا . المعجم الوسيط (١/١١١) .

(٦) غرين : هو الطين الذى يحمله السيل فيبقى على وجه الأرض رطبا أو يابسا . لسان العرب (١٣/٣١٢) .

(٧) الماء . د. محمد فتحى عوض الله (ص ٧) بتصرف . سلسلة العلم للجميع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م .

كما أنها أحد وسائل نقل الركاب من منطقة لأخرى ، وكذا المنتجات الزراعية والتجارية انها تربط بين كثير من المدن والمناطق .

كما جعلت علامات وحدودا تعرف بها الطرق خاصة في النهار .(١)

العلاقة وأوجه التشابه ، والاختلاف بين البحار والأنهار :

وتتجلى العلاقة في أن الأنهار تصب في البحار مثل نهر النيل الذي يصب في البحر المتوسط ، ونهرا دجلة والفرات ، وتصبان في الخليج العربي ، ومع ذلك يحتفظ كل منهما بخواصه ، فماء النهر يبقى عذبا ، وماء البحر يبقى ملحا ، ويؤكد ذلك قوله تعالى :

" وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً "

الفرقان (٥٣)

والمرج في اللغة يأتي بمعنيين :

(١) الخلط .(٢)

(٢) المجيء والذهاب والاضطراب .(٣)

والبرزخ : هو الحاجز ، والحد بين الشيئين .(٤) والحجز : هو المنع والاحاطة على الشيء ، ويسمى العقل حجرا لأنه يمنع من اتيان مالاينبغي .(٥)

والبحران في الآية هما :

(١) البحر العذب ، ويقصد به الأنهار العظام كالنيل والفرات وجيحون .

---

(١) التفسير الواضح (٣٤/١٤) بتصرف .

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص ٤٦٥) .

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣١٥/٥) .

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص ٤٣) .

(٥) معجم مقاييس اللغة (١٣٨/٢) .

(٢) البحر الأجاج،ويقصد به البحار المشهورة كالبحر الأبيض المتوسط .[1]

ومع ذلك لايطغى أحدهما عن الآخر،لأن بينهما حاجزا، أو ساترا يمنع الاختلاط بينهما سواء كان هذا الحاجز محسوسا أو غير محسوس .[2]

ويتوصل العلم بعد دراسة وبحوث عديدة الى اكتشاف الحاجز المحسوس الأرضى ، المتمثل فى كون مجارى الأنهار غالبا مرتفعة عن مستوى سطح البحار ،ولايقع العكس الا شذوذا ،وهذا الحاجز لم يوجد بشكل عشوائى بل بتدبير اله حكيم رحيم بعباده،لأنه لو حصل العكس الشاذ لصارت كل المياه على سطح الأرض مالحة ،ولما انتفع بها البشر،وغيرهم من المخلوقات،[3] بينما مصاب الأنهار تكون مياهها مزيجا من الملوحة والعذوبة .

ولقد كشف العلماء الدارسون لمناطق اللقاء بين الأنهار والبحار (مناطق المصبات) أن ماء النهر والبحر فى منطقة اللقاء بينهما فى حالة ذهاب وإياب واختلاط واضطراب،ويفصل بينهما ماء المصب الذى يستمر حجرا على الكائنات الحية التى فيه حجورا على الكائنات الخاصة بالبحار والأنهار،ويحاط ماء المصب ببرزخ مائى يفصل كذلك بين البحر والنهر، وهذا ماقرره القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا من الزمان على لسان نبى أمى عاش فى أرض صحراوية ليس فيها نهر ولامصب[4] .

ولقد تبين لنا أن المراد من الحجر هو المنع أو الحبس فيعنى به الحجر على الكائنات الحية التى فيها فيكون هو الحاجز المائى المحيط بماء المصب،وجعل الماء بين النهر والبحر حبسا على كائناته

---

(١) تفسير الشوكانى (٨٢/٤) بتصرف يسير .
(٢) تفسير الرازى (١٠٢/٢٩) بتصرف .
(٣) تفسير الظلال (١٢٠/٢٧) بتصرف .
(٤) أوجه الاعجاز فى وصف اللقاء بين البحر والنهر للشيخ عبدالمجيد الزندانى (ص ٧)،بحث مقدم للهيئة التأسيسية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بمقر رابطة العالم الاسلامى فى الفترة من ٢٥ - ٢٩ شعبان ١٤٠٦هـ بحث رقم (٦) .

الحية ممنوعا عن الكائنات الحية الخاصة بالبحر والنهر [١]، فلكل من أسماك البحر والنهر خصائصه، ولايعيش سمك البحر فى النهر ولا العكس [٢].

كما كشف العلم الحديث عن الحاجز الذى يعمل على احتفاظ كل من البحرين بخصائصه حتى بعد حصول ظاهرة المد البحرى [٣]، لأن عدد الجزئيات التى يتركب منها السائل يختلف من سائل الى آخر، ومن ثم يحتفظ كل سائل باستقلاله فى مجاله، وان امتد أحدهما عن الآخر وبالتالى يبقى غشاء التمدد السطحى فاصلا بينهما طوال مسيرهما، وسمى هذا القانون بقانون المط السطحى [٤] فسبحان مدبر ظواهر هذا الكون، وكلما ازداد علمنا بها ازداد ايماننا به تعالى.

أما بالنسبة لأوجه الاختلاف فقد اتضح من الآية السابقة من سورة الفرقان، أن ماء النهر عذب فرات، وماء البحر ملح أجاج. كذلك أجمع العلماء قديما وحديثا على أن المرجان (من أنواع الحلى) يستخرج من البحار دون الأنهار [٥] بعكس اللؤلؤ فيستخرج منهما (العذب والملح) مثل الأنهار الموجودة فى الصين وأمريكا وروسيا وغيرها [٦].

أما ماذكر فى سورة الرحمن فى قوله تعالى:

" مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَايَبْغِيَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ"

(١٩ - ٢٢)

---

(١) أوجه الاعجاز فى وصف اللقاء بين البحر والنهر (ص ٦).
(٢) العلم الحديث حجة للانسان أم عليه - القسم الأول (ص ٦١) بتصرف.
(٣) ظاهرة من ظواهر البحر، وهو المد والجزر ويرجع الى التأثيرات الجاذبية لكل من القمر والشمس على البحر. الموسوعة الثقافية العلمية (ص ٣٣٥).
(٤) الاسلام يتحدى (ص ١٤٣) بتصرف.
(٥) تفسير الجواهر (١٠٣/٨) بتصرف.
(٦) العلم الحديث حجة للانسان أم عليه - القسم الأول (ص ٦٣) بتصرف.

تصف الآيات اللقاء بين البحار المالحة كما يقول الشيخ الزنداني ويدلل على ذلك بدلائل هي :

(أ) لقد أطلقت الآية البحرين فدل ذلك على أن البحرين مالحان .

(ب) بينت الآية الأخيرة أن البحرين يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ،وقد تبين سابقا أن المرجان لايكون الا فى البحار المالحة ،فدل ذلك على أن الآية تتحدث عن بحرين مالحين .

(ج) عندما ذكرت منطقة اللقاء بين البحر والنهر فى سورة الفرقان بينت الآية أن بينهما شيئين هما : البرزخ ،الحجر المحجور .

أما فى هذه الآيات فقد بينت أن الفاصل هو البرزخ فدل ذلك على أن اللقاء هنا بين بحرين لابين عذب ومالح . بسبب اختلاف مايحدث عند اللقاء فى الحالتين (١)، كما هو حاصل من التقاء البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسى (٢)، ويستخرج منهما المرجان لأنه حيوان بحرى .

أما عن أوجه التشابه بين البحار والأنهار : ففى الأنهار نعم يترتب على وجودها مشابهة بالنعم المترتبة على وجود البحار ،قال تعالى :

"وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" . فاطر (١٢)

قال قتادة : " المراد من قوله ومن كل تأكلون لحما طريا أى:منهما جميعا، وتستخرجون حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه مقبلة ومدبرة

---

(١) أوجه الاعجاز فى وصف الملتقى بين البحرين للشيخ عبد المجيد الزندانى (ص ٤) بحث مقدم للهيئة التأسيسية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بمقر رابطة العالم الاسلامى بمكة فى الفترة من ٢٥ - ١٤٠٦/٨/٢٩هـ .

(٢) العلم الحديث حجة للانسان أم عليه - القسم الأول (ص ٥٦ - ٥٧) بتصرف

بريح واحدة "[1].

فأوجه التشابه هي :

(١) أكل الأسماك وان كان لكل من أسماك البحر والنهر خصائصه المميزة له[2].

(٢) استخراج الحلي منهما كاللؤلؤ،وغيره من أنواع الحلي .

(٣) مخر الفلك فيهما لأغراض السفر والتجارة وغيرهما .

(٤) استخراج المعادن .

وغيرها من النعم التي لاتعد ولاتحصى . قال تعالى :

" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ " ابراهيم (٣٢-) .

فالحمد لله موجد الكون بدقة وحكمة والذى لا يعجزه شيء ،ولا تنحصر أو تعد نعمه ،وفي كل ذلك دلالة على عظمة الخلق ،ووحدانيته مما يوجب شكره وحمده .

نسألك اللهم أن تغمرنا بخيراتك ورحماتك،ونكون ممن وعدتهم بدخول جنتك التي تجري من تحتها الأنهار كما قلت وقولك الحق :

" جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ " .

النحل (٣١)

---

(١) تفسير الطبرى (٨٢/٢٢) .

(٢) العلم الحديث حجة للانسان أم عليه ـ القسم الأول (ص ٦١) بتصرف .

الباب الثالث

الإنسان

وفيه فصلان


الفصل الأول

الإنسان

خلقه وأطواره - السمع والبصر وفائدتهما - القلب كسلطان للبدن ومخاطبة القرآن له - العقل وتكريم الله الإنسان به - نعمة البنين والحفدة - أثر ذلك في توحيد الخالق عز وجل .

الباب الثالث

الانســـــان

وفيه فصلان :

الفصل الأول :

خلق الانسان وأطواره ، السمع والبصر وفائدتهما ، القلب كسلطان للبدن ومخاطبة القرآن له ، العقل وتكريم الله الانسان به ، نعمة البنين والحفدة ، آثر ذلك فى توحيد الخالق عز وجل .

الفصل الثانى :

اللسان وتوضيح نعمة خلقه ، اختلاف اللغات عن طريقه ، نعمة البيان الذى يمتاز به الانسان ، وابراز قدرة الله فى تمكين المسلمين من النطق بالقرآن مع اختلاف لغاتهم ، شهادته فى الدنيا والآخرة غير ذلك من النعم ، شواهد ذلك من الآيات ، والدلالة على توحيد الله عز وجل .

الفصل الأول

خلق الانسان وأطواره ، السمع والبصر وفائدتهما ، القلب كسلطان للبدن ومخاطبة القرآن له ، العقل وتكريم الله الانسان به ، نعمة البنين والحفدة ، أثر ذلك فى توحيد الخالق عز وجل .

الانسان فى اللغة :

مأخوذ من أنس والهمزة والنون والسين أصل واحد وهو ظهور الشىء وكل شىء خالف طريقة التوحش ، قالوا : الانس خلاف الجن وسموا بذلك لظهورهم يقال : آنست الشىء اذا رأيته والعرب تقول كيف ابن انسك ؟ اذا سأله عن نفسه .(١) وفى الصحاح : الانس : البشر الواحد إِنْسِىٌّ وأَنَسِىٌّ أيضا بالتحريك ، والجمع أناس ويقال للمرأة أيضا : انسان ولايقال انسانة وانما سمى انسانا لأنه عهد اليه فنسى .(٢)

والجمع الناس وفى التنزيل (يَاأَيُّهَا النَّاس) وقد يؤنث على معنى القبيلة أو الطائفة .(٣)

وقد ذكر لفظ انسان فى عدة مواضع من سورة النحل :

(١) قال تعالى : " خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ" . (٤)

وتتحدث هذه الآية الكريمة عن أصل خلق الانسان من هذه النطفة المهينة ، ثم جحود بعضهم نعم الله وقدرته واشراكهم معه الها آخر. كما يوضح سبحانه أنه خلق من الماء المهين خلقا عجيبا ، خَلْقاً من بعد خلق

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/١٤٥) .

(٢) الصحاح (٣/٩٠٤ - ٩٠٥) .

(٣) لسان العرب (٦/١٠) .

ثم نفخ فيه من روحه، وهيأ له جميع سبل الحياة السعيدة، لكن من الناس من يكفر بالله سبحانه وتعالى مقابل كل هذه النعم[1] . قيل فى أسباب نزول الآية الكريمة : إنها نزلت فى (أُبَىّ بن خلف الجمحى)، وكان ينكر البعث فجاء بعظم رميم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : (يامحمد أترى الله يحيى هذا بعد ماقد رَمّ)[2] .

(٢) قوله تعالى : " وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " . (٣٨)

وتتحدث هذه الآية عن قدرة الله على البعث بعد الموت، وذلك عندما أنكر الكافرون هذه القدرة فأجابهم سبحانه بالنفى، وأنه لايعجزه شىء، ومن ثم فهو قادر على بعث الموتى لقوله : " يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ " . الأنبياء (١٠٤)

وأكد ذلك بقوله : " وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا "، فهو أمر ثابت محقق، ولكن أكثر الناس لايعلمون بسبب جهلهم بشئونه سبحانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال، وبما يجوز عليه ومالايجوز، وعدم وقوفهم على سر التكوين، وعلى أن البعث مما تقتضيه الحكمة[3] .

(٣) قوله تعالى : " بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (٤٤)

فالآية تبين أنه تعالى أرسل الرسل السابقين بالبينات والزبر، كما أنزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم[4] ،ثم بين تعالى

---

(١) تفسير الطبرى (٥٤/١٤) بتصرف .

(٢) أسباب النزول أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى سنة ٤٦٨هـ (ص٥٤) . دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

(٣) تفسير الألوسى (١٤١/١٤) بتصرف .

(٤) تفسير الشوكانى (١٦٤/٣) بتصرف .

الغاية من انزال الآيات القرآنية فقال " لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ "، والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم، وأن من مهامه توضيح مافى هذا الكتاب من أحكام ووعد ووعيد قولا وفعلا ،كما وأن عليه توضيح ما أجمل فى هذا الكتاب من أحكام الصلاة والزكاة، وغير ذلك مما لم يفصله سبحانه فى كتابه العزيز (١) .

(٤) قوله تعالى : " وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ " (٦١) .

وهذه الآية تبين مدى رحمة الله تعالى وحلمه بخلقه مع ظلمهم ،لأنه لو آخذهم وعذبهم بما كسبوا ماترك على ظهر الأرض من دابة، لأنها ستهلك جميعها تبعا لهلاك بنى آدم ،فالله حليم بعباده لايعاجل فى العقوبة (٢) .

(٥) قوله تعالى : " ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (٦٩) .

وفى هذه الآية ذكر سبحانه بعضا من أوجه رحمته بالناس، حيث أخرج من بطون هذه الحشرة الصغيرة (النحل) شرابا، وقد وصفه سبحانه بأنه شراب، ومختلف الألوان من أحمر وأبيض وأصفر وغيرها، كما وأنه فيه شفاء للناس (٣) . وهذه كلها آيات تدل على قدرة الخالق، وعظيم نعمه يدركها كل من تفكر فى اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة، والأفعال العجيبة، من حيث خروج الشراب المختلف الألوان، والذى فيه شفاء للناس (٤) .

---

(١) تفسير القرطبى (١٠٩/١٠) بتصرف .
(٢) تفسير ابن كثير (٦٢١/٢) بتصرف .
(٣) تفسير الرازى (٧٤/١٠) بتصرف .
(٤) تفسير الألوسى (١٨٧/١٤) بتصرف .

والانسان ذلك المخلوق الذى خلقه الله سبحانه وتعالى فى أحسن تقويم، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، وسخر كل مافى السموات والأرض من أجله، ومن أجل سعادته، ولكى يعمر الأرض، كما أراد الله سبحانه بالعبادة والطاعة، وبالتعمير .

قال تعالى : " هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا " . هود (٦١)

أحاط الله الانسان بعنايته قبل مولده، وتولى سبحانه خلقه وتصويره ورعايته فى مختلف مراحل نموه وهو جنين الى خروجه الى الدنيا بل الى وفاته ،وكرمه على سائر المخلوقات بمختلف مظاهر التكريم التى لاتعد ولاتحصى، وفضله على كثير من خلقه .

قال تعالى : " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً " .

الاسراء (٧٠)

يقول القرطبى : (كَرَّمْنَا) تضعيف كرم ، أى جعلنا لهم كرما . أى شرفا وفضلا، وهذا الكرم يدخل فيه ناحية خلق الله له فى أحسن صورة، وحملهم فى البر والبحر كما يريدون، وفى الوقت الذى يحددونه دون عناء، وقد سخر له كل مافى الكون حسب احتياجه، كما ميزه على سائر الحيوانات بالعقل، ومن ثم القدرة على الفهم والتمييز والنطق، وبما رزقه من طيبات الأكل والشرب ،وبتفضيله على كثير مما خلق، وممن خلق سبحانه[(١)] .

وقال سبحانه : " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " التين (٤)

وجعل سبحانه هذه الآية جوابا لقسمه (بالتين والزيتون)، وفى ذلك دليل على عظمة الخلق، ومكانة هذا الانسان[(٢)] .

---

(١) تفسير القرطبى (٢٩٣/١٠ - ٢٩٤) بتصرف .
(٢) تفسير الطبرى (١٥٥/٣٠) بتصرف .

وبالاضافة لما سبق

سأوضح باذن الله فى هذا الفصل بعض نعم الله على الانسان من خلال ذكر بعض نعمه فى هذه السورة الكريمة وهى :

أولا : خلق الانسان وأطواره .

فهذا الانسان المخلوق الصغير آية على عظيم صنع الله، وفى خلقه آيات وعبر تدل على وحدانيته سبحانه القائل :

" وَفِى ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ "

الذاريات (٢٠)

وقد بين سبحانه قدرته فى خلق الانسان، وأجمل الأطوار كلها، ثم خص طوراواحدا بالذكر فقال فى سورة النحل :

" خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ " (٤)

فقد خلق جل جلاله جنس الانسان من نطفة، وهو أول طور فى خلقه،(١) يتضح ذلك فى كثير من آيات القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى فى سورة "المؤمنون" :

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ.ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ.ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ"

(١٢ - ١٤)

فمراحل وأطوار خلق الانسان فى بطن أمه هى :

طور النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثم العظام، ثم اللحم، ثم النشأة (٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير (٦٠٨/٢) .

(٢) يقول البعض بناء على ماذكر فى كثير من الآيات، أن الانسان خلق من تراب، وأوضح لمن يستشكل عليه الأمر أنه لاتعارض بين من قال ان الانسان خلق أول ماخلق من طين أو تراب، وبين من قال ان الانسان خلق أول ماخلق من نطفة . =

وسأوضح باذن الله في بحثي هذا كل طور من أطوار خلق الانسان مبينة مدى عظيم صنع الله ووحدانيته لاشريك له .

= ولقد ذكرت في آيات قرآنية ان الانسان خلق من تراب،كما في قوله تعالى : "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" . المؤمنون (١٢ - ١٤)
وقوله : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ" . الحج (٥)
والتوفيق بين القول بأنه خلق من طين ،والقول بأنه خلق من نطفة، كما ذكرنا في آية سورة النحل،والله أعلم: هو ماذكره بعض المفسرين منهم الفخر الرازي الذي قال ماملخصه :
ان في قوله تعالى: (فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ) الحج (٥) وجهين :
١ - انا خلقنا أصلكم (آدم عليه السلام) من تراب لقوله : " كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ " آل عمران (٥٩) ،وقال : " مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى" طه (٥٥)
٢ - ان خلقه الانسان من المني،ودم الطمث،وهما انما يتولدان من الأغذية ،والأغذية اما حيوان واما نبات ،وغذاء الحيوان ينتهي بالتسلسل الى النبات ،والنبات انما يتولد من الأرض والماء،فيصح قوله : " إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ " الحج (٥) .
تفسير الرازي (٨/٢٣) بتصرف .
ففي كلا الحالتين يكون أصل الانسان من تراب،وهي النشأة الأولى التي وضحها القرآن،كما يتضح من قوله تعالى في سورة السجدة : "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ" . (٨)
فالانسان من هذه الأرض من ترابها نشأ وتكون وعاش،ومافي جسمه من العناصر نظيره في عناصر أمه الأرض ،ولم يتميز عنه الا بما زوده الله وكرمه بنفخة من روحه تعالى،كما قال سبحانه : " إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ .فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ " ص (٧١ - ٧٢) ،
وما الطين الا مزيج من التراب والماء . من ظلال القرآن (٧٤/١٧) بتصرف .
وقد توصل العلم حديثا الى أن جسم الانسان يتكون من تراب الأرض ، ويشترك في تركيبه حوالي (٢٢) عنصرا .
من معجزة خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٢٥) بتصرف .

(أ) طور النطفة :

وهو الطور الذى خصص بالذكر فى سورة النحل فى قوله تعالى :

" خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ" (٤)

والنطفة عند علماء اللغة: يراد به أصلان فى باب (النون والطاء والفاء) .

أحدهما: جنس من الحلى، والآخر ندوة وبلل ،ثم يستعار ويتوسع فيه .

فالأول : النطف يقال: هو اللؤلؤ ، الواحدة نطفة، ويقال : بل النطف القرطة (١) .

والأصل الآخر النطفة : الماء الصافى، وليلة نطوف : قطرت حتى الصباح (٢) .

وفى الصحاح : النطفة : الماء الصافى ،قل أو كثر، والجمع النطاف، والنطفة : ماء الرجل، والجمع : نُطَفٌ (٣) .

ويقول صاحب لسان العرب : النطفة الماء القليل يبقى فى الدلو، والجمع نطف ونطاف، وقد فرق بين لفظى الجمع فقيل : النطفة الماء الصافى، والجمع النطاف ،والنطفة ماء الرجل، والجمع نطف، وسمى المنى نطفة لقلته (٤) . وفى التنزيل :

" أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى " القيامة (٣٧)

ويعبر بالنطفة عن ماء الرجل (٥) والمرأة الذى يخرج من

---

(١) القرط : بضم القاف وسكون الراء مايعلق فى شحمة الأذن من در أو ذهب أو فضة ونحوها، وجمعها أقراط وقراط وقروط وقرطة .
المعجم الوسيط (٧٣٤/٢) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٩٤٠/٥) .

(٣) الصحاح (١٤٣٤/٤) .

(٤) لسان العرب (٣٣٤/٩ - ٣٣٥) .

(٥) يسمى ماء الرجل أيضا بالماء المهين ، الدافق، المنى، وان كانت هذه الألفاظ غير مترادفة، بل تختلف فى التفاصيل فمثلا المنى : يشمل النطفة، ويزيد عليها بالماء الذى يحتويها، وهكذا ...
من خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٩) بتصرف .

بين الصلب[1] والترائب[2][3]، كما فى قوله تعالى :

" فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ " الطارق (٥ - ٧)

فمن النطفة التى يتخلق منها الجنين تنشأ الحياة البشرية، ويتكاثر الخلق ،ويكشف العلم حديثا مايطابق ماذكر فى القرآن الكريم، من أن أول أطوار خلق الانسان النطفة المكونة من جزء من ماء الأب أى: النطفة المذكرة، وهى الحيوانات المنوية الموجودة فى المنى التى تفرزها الخصية ،وجزء من ماء المرأة أى: النطفة المؤنثة، وهى البويضة التى يفرزها المبيض مرة فى الشهر - وان لم يرد ذكر واضح لها فى القرآن - ويأخذ الجميع شكل القطرة اذا التحمت النطفتان فى قناة الرحم (قناة فالوب)، وتتكون النطفة الأمشاج، وهى النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة أى: البويضة الملقحة[4] .

وكما جاء فى الحديث عندما مر يهودى بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يحدث أصحابه فقالت قريش: يايهودى ان هذا يزعم أنه نبى، فقال: لأسألنه عن شئ لايعلمه الا نبى . قال : فجاء حتى جلس ثم قال : يامحمد مم يخلق الانسان ؟ قال : " يايهودى من كل مايخلق ،من نطفة الرجل، ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم . فقام اليهودى فقال:

---

(١) الصلب - بضم الصاد - : الشديد القوى ،ومنها فقار الظهر . من المعجم الوسيط (٥٢١/١) .

(٢) الترائب : عظام الصدر مما يلى الترقوتين وموضع القلادة . من المعجم الوسيط (٨٣/١) .
وكل من الخصية والمبيض فى بدء تكوينهما يجاور الكلى، ويقع بين الصلب والترائب، أى: مابين منتصف العمود الفقرى تقريبا، ومقابل أسفل الضلوع . من خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ١٢١) .

(٣) تفسير الظلال (٤٩/١٩) .

(٤) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ١٠٩) بتصرف .

هكذا كان يقول من قبلك " . أى: الأنبياء[1] .

ويؤكد المفسرون هذا الأمر فيقول الامام الطبرى فى تفسير قوله تعالى " إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا " . الانسان (٢)

يقول : انا خلقنا ذرية آدم من نطفة يعنى: من ماء الرجل وماء المرأة، والنطفة كل ماء قليل فى وعاء كان ذلك ركية[2] ،أو قربة ،أو غير ذلك[3] .

ويؤكد قوله بقول ابن عباس: ماء المرأة،وماء الرجل يمشجان[4] .

ويقول ابن كثير : يعنى:ماء الرجل،وماء المرأة اذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد ذلك من طور الى طور، وحال الى حال،ولون الى لون[5] .

ويقول صاحب الظلال : " الأمشاج : الأخلاط،وربما كانت هذه اشارة الى تكون النطفة من خلية الذكر وبويضة الأنثى بعد التلقيح ،وربما كانت هذه الأخلاط تعنى المورثات الكامنة فى النطفة،والتى يمثلها مايسمونه علميا (الجينات)،وهى وحدات الوراثة الحاملة للصفات المميزة لجنس الانسان أولا،ولصفات الجنين العائلية أخيرا. واليها يعزى سير النطفة الانسانية فى رحلتها لتكوين جنين انسان لاجنين حيوان . كما تعزى اليها وراثة الصفات الخاصة فى الأسرة .ولعلها هى هذه الأمشاج المختلطة من وراثات

---

(١) مسند الامام أحمد (٤٦٥/١) . قال الهيثمي فى مجمع الزوائد (٢٤١/٨) : رواه أحمد والطبرانى والبزار باسنادين،وفى أحد اسناديه عامر بن مدرك،وثقه ابن حبان،وضعفه غيره،وبقية رجاله ثقات ،وفى اسناد الجماعة عطاء بن السائب،وقد اختلط ... انتهى . وللحديث شاهد قوى رواه البخارى فى صحيحه فى باب قوله : " مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ" فى تفسير سورة البقرة .

(٢) ركية : بتشديد الياء وهى البئر لم تطو . المعجم الوسيط (٣٧٢/١).

(٣) تفسير الطبرى (١٢٦/٢٩) .

(٤) نفس المرجع السابق .

(٥) تفسير ابن كثير (٤٨٠/٤) .

شتـى[1] .

ويقول ابن قيم الجوزية[2] : " ومنى الرجل وحده لايتولد منه الولـد مالم يمازجه مادة أخرى من الأنثى[3] " .

وقد ذكرت هذه الحقيقة فى القرآن الكريم، تلك الحقيقة التى لـم يعرفها العلماء الا فى القرن التاسع عشر، ولم يتأكدوا منها الا فى القرن العشرين[4] .

والعجيب أنه ليس من كل السائل المنوى المقذوف فى المرة الواحـدة يتكون الجنين، بل من جزء بسيط جدا منه .فالحيوانات المنوية تشكـل (٥ر٪) من حجم السائل المقذوف، وكل واحدة منها تحوى مابين مائتين الـى ثلاثمائة مليون حيوان منوى، بينما حيوان منوى واحد هو الذى يتمكـن من تلقيح بويضة المرأة[5] .

---

(١) انظر تفسير الظلال (٢٩/٢٢١) .

(٢) ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١هـ / ١٢٩٢ – ١٣٥٠م) .
محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزرعى الدمشقى، أبو عبد اللـه شمس الدين . من أركان الاصلاح الاسلامى، وأحد كبار العلماء .مولـده ووفاته بدمشق، تتلمذ لشيخ الاسلام ابن تيمية حتى كان لايخرج عن شـىء من أقواله ،بل ينتصر له فى جميع مايصدر عنه . وهو الذى هذب كتبـه، ونشر علمه ،وسجن معه فى قلعة دمشق ،وأهين وعذب بسببه، وطيف بـه على جمل مضروبا بالعصى ، وأطلق بعد موت ابن تيمية .وكان حسـن الخلق محبوبا عند الناس ،أغرى بحب الكتب فجمع منها عددا عظيمـا، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا، وألف تصانيف كثيرة منها اعلام الموقعين، الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ،كشف الغطاء عن حكم سمـاع الغناء . وغيرها من الكتب .
من الأعلام للزركلى (٦/٥٦) .

(٣) انظر التبيان فى أقسام القرآن شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١هـ تصحيح وتعليق محمد حامـد الفقى (ص ٢٣٥) . دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٤) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ١٨٨) .

(٥) معجزة خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٤٠) بتصرف .

وذكر الألوسى فى تفسيره لقوله تعالى : " ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ " السجدة (٨)

فقال فى السلالة : انها الخلاصة، وأصلها مايسل ويخلص بالتصفية من المنى .(١)

وقال صلى الله عليه وسلم : " ما من كل الماء يكون الولد، واذا أراد الله خلق شئ لم يمنعه شئ " .(٢)

وهذا ماقرره العلم الحديث حيث يذكر الدكتور محمد على البار(٣) فى كتاب خلق الانسان بين الطب والقرآن(٤) مقتبسا من كتاب DEVELOPMENTAL ANATOMY

أن التجارب على الثدييات أثبتت أن واحدا بالمائة من المنى فقط يكفى لتلقيح البويضة . ومن المقرر طبيا أن عشرين مليون من الحيوانات المنوية فى القذفة الواحدة هى الحد الأدنى للاخصاب .(٥)

فخلاصة الماء المهين هى التى يكون منها الولد، فهناك انتقاء بعد انتقاء(٦) من مئات الملايين من الحيوانات المنوية . وفى البويضة

---

(١) تفسير الألوسى (٢١/١٢٤) بتصرف .

(٢) أخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى، صحيح مسلم للامام أبى الحسين مسلم ابن الحجاج القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١هـ (٢/١٠٦٤) كتاب النكاح باب (٢٢) حكم العزل حديث رقم (١٣٣) . دار الدعوة ،شروب استانبول ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٣) د . محمد على البار : من مواليد عدن اخصائى الامراض الباطنية وهومستشار قسم الطب الاسلامى بمركز الملك فهد للبحوث الطبية- جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

(٤) DEVELOPMENTAL ANATOMY LESLIE AREY 7TH EDITION 1974 SAUDERS CO. PHIL. _ LONDON

(٥) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٣٨٦) .

(٦) اذ يبلغ عدد البويضات فى مبيض الأنثى وهى لاتزال جنينا فى بطن أمها ستة ملايين بويضة أولية وكثيرا منها يذوى ويموت قبل خروجها الى الدنيا ثم تستمر فى اندثارها حتى اذا بلغت الفتاة المحيض لم يبق منها الاثلاثين ألف فقط وتنمو فى كل شهر مجموعة من هذه البويضات لكن لايكتمل النمو الا لواحدة فقط .
خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٣٨٧) .

كذلك اصطفاء وانتقاء(١)، وفى الحمل كذلك(٢) .

فهذا هو المراد (والله أعلم) من الاصطفاء والانتقاء فى الآية والحديث، ولقد كشف العلم عن بعض الأسرار الكامنة فى النطفة، منها ماقيل ان النطفة فيها جميع خصائص الانسان المقبل من حيث صفاته الجسدية من سمات الطول أو القصر أو الضخامة أو الضآلة ،وكذلك الصفات النفسية من استعدادات ونزعات وطباع ،والصفات العقلية ...الخ(٣) .

ونجد أن الطفل يأخذ بعض هذه الصفات من الأب، والأخرى من الأم، وهكذا...، وذلك ناتج من تكون النطفة الأمشاج، وحيثما يريد الله سبحانه لهذه النطفة الأمشاج البقاء فى رحم المرأة فانها تبدأ عملها بالانقسام المتتالى، وفى مدة وجيزة، حتى تصبح مثل الكرة تماما، أو مثل ثمرة التوتة، وتدعى عندئذ بالتوتة التى يمتلىء جوفها بسائل، وتدعى أيضا بالكرة الجرثومية(٤) .

(٢) طور العلقة :

العلقة فى مقاييس اللغة : العين واللام والقاف أصل صحيح يرجع الى معنى واحد، وهو أن يناط الشىء بالشىء العالى، ثم يتسع الكلام فيه،

---

(١) تقول الأبحاث الطبية أن (٧٨٪) من جميع حالات الحمل تسقط طبيعيا، وأن مايقرب من (٥٠٪) يسقط قبل أن تعلم الأم أنها حامل، لأن الرحم يلفظ الكرة الجرثومية بعد علوقها مباشرة، فتظن الأم أن الدم الذى جاءها فى موعد الحيضة أو بعده بقليل هو دم الطمث الذى كانت تنتظره، ولاتعلم أنه دم سقط .
خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٣٨٨) .

(٢) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٣٨٧ - ٣٨٨) بتصرف .

(٣) تفسير الظلال (٧٤/١٧) بتصرف .

(٤) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٢٠٤) بتصرف .

والمرجع كله الى الأصل الذى ذكرناه [1] .

وقيل : العلق : الدم الغليظ، والقطعة منه علقة ، والعلقة : دودة فى الماء تمص الدم، والجمع علق ، وتقول : عَلِقَتْ المرأة (بكسر اللام) أى: حبلت [2] .

وعلق بالشىء علقا، وعلقة : نشب فيه [3] .

وفى بصائر ذوى التمييز العلقة محركة : الدم الغليظ، وقيل : الدم الجامد [4] .

وفى الطب : العلقة هى المرحلة التى تعلق فيها النطفة الأمشاج (التوتة) بجدار الرحم، وتنشب فيه [5] .

وسأتناول الكلام عن العلقة بشكل مبسط لبيان ابداع صنع الله فى خلق الانسان ، لاسيما وأن هذه المرحلة تلى مرحلة النطفة ، وهى مرحلة مهمة لاستمرار تكوين الجنين ، وقد سمى الله سورة فى القرآن الكريم باسم العلق ، كذلك المضغة لاتنشأ الا من العلق اذا ما اندمجت علقة منه فى البويضة [6] .

وتبدأ هذه المرحلة من وقت تعلق النطفة الأمشاج بالرحم، وتنتهى عند ظهور الكتل البدنية التى تعتبر بداية المضغة [7] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٢٥/٤) .
(٢) الصحاح (١٥٢٩/٤) .
(٣) لسان العرب (٢٦١/١٠) .
(٤) بصائر ذوى التمييز (٨٦/٤) .
(٥) نعم الله فى خلق الانسان كما يصوره القرآن الكريم د. عزت محمد حسن (ص ٥٥) . مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
(٦) معجزة القرآن (ص ١٣١) بتصرف .
(٧) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٢٠١) .

ولاتعارض بين المعانى اللغوية للعلقة، وبين سبب تسمية هذا الطور من تكون الجنين بالعلقة ؛فما قيل فى معنى العلق مأخوذ من تعلق الشىء بالشىء العالى ينطبق على هذا الطور، لأن النطفة تلتصق بجدار الرحم فى اليوم السادس، ثم تبدأ فى حرث جدار الرحم حتى تنغرس فيه تعلقا، وتستغرق أكثر من أسبوع حتى يتم تعلقها بحبل السرة فى المشيمة (١) .

وبالتالى تكون الكتلة الخلوية عالقة علوقا بواسطة الاستطالات التى غرسها فى مخاطية الرحم تستمد منها الدفء، والغذاء، والسكن (٢) .

وأما ان العلقة عبارة عن دم جامد، فان الشكل الخارجى للجنين يأخذ لون الدم بسبب ظهور الدماء فى الجزر الدموية التى تنتشر فى جسم الجنين فى الأسبوع الثالث مكونة القلب البدائى، والدورة الدموية، ويبقى الدم جامدا لايدور فى هذه الأوعية الى نهاية الاسبوع الثالث ،وفى اليوم الحادى والعشرين يتصل قلب الجنين بهذه الأوعية الدموية فتدور الدماء التى كانت جامدة . وهكذا يأخذ الجنين فى الأسبوع الثالث شكل الدم الجامد مع كونه دما طريا (٣) .

ولما كانت العلقة تحاط بالدم من كل جهاتها، جعل العلماء قديما يفسرون العلقة بأنها الدم الغليظ الجامد (٤) .

وأما من قال ان العلقة دودة فى الماء تمص الدم، فيمكن اطلاقه على العلقة – من أطوار الجنين – لأن الجنين يفقد فى هذا الطور شكله المستدير، ويبدأ فى الاستطالة حتى يأخذ شكل العلقة، ويتغذى الجنين

---

(١) أوجه الاعجاز فى وصف أطوار الجنين ، الشيخ عبدالمجيد الزندانى (ص ٨٠) بتصرف . بحث مقدم للهيئة التأسيسية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بمقر رابطة العالم الاسلامى بمكة فى الفترة من ٢٥ – ١٤٠٦/٨/٢٨هـ بحث رقم (٣) .

(٢) مع الطب فى القرآن الكريم (ص ٨١) .

(٣) أوجه الاعجاز فى وصف أطوار الجنين (ص ٨) بتصرفه

(٤) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٢٠٣) .

بالدماء التى تأتيه من أمه، كما تتغذى العلقة بدماء غيرها، وتحاط بسائل، كما تكون علقة البرك محاطة بالماء[1]. وهذه العلقة تعتبر حلقة الاتصال بين الجنين، ومايحمله من كيس السلى[2]، وكيس المح[3] وبين الغشاء المشيمى[4] الذى سيكون المشيمة مستقبلا، وهذا المعلاق هو المهد الأول الذى تنشأ فيه الأوعية الدموية السرية المغذية للجنين، ثم يستطيل ليصبح الحبل السرى الذى يربط بين الجنين والمشيمة، وعبر أوعيته الدموية يتم تغذية الجنين بالأغذية المناسبة، كما يحمل اليه الأكسجين، ومواد المناعة، ويحمل من الجنين الى الأم المواد الضارة مثل ثانى أكسيد الكربون والبولينا[5][6]. لذا كان أنسب اسم يطلق على هذا الطور هو العلقة.

---

(١) أوجه الاعجاز فى وصف أطوار الجنين (ص ٨).

(٢) كيس السلى (الوسادة المائية) وهو من مكونات الأغشية الجنينية، وملحقاتها ذات جدار مزدوج ومحيط بالجنين، ويمتلىء بمحلول مائى نقى يعرف بالسائل الأمنيونى. ويعوم الجنين داخل هذا السائل، وهذا السائل يعمل على وقاية الجنين من الصدمات، وضغط الأعضاء الداخلية للأم. ويمنع كذلك التصاق الجنين بالنسيج المحيط به، ويستطيل هذا الكيس لحماية الجنين، وتسهيل الولادة.
من فسيولوجيا الحيوان ـ الفسيولوجيا العامة والانتاج والهرمونات والتناسل ـ د. محمد يحيى حسين درويش (ص ٣٨٧) بتصرف. دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى ١٩٨١م.

(٣) كيس المح : هوجزء من الأمعاء البسيطة، ومن مكونات الأغشية الجنينية وملحقاتها. وهذا الكيس يمد الجنين بالغذاء اللازم له لفترة قصيرة حتى تتكون المشيمة. المرجع السابق (ص ٣٨٦) بتصرف.

(٤) المشيمة : هى مجموعة من الأغشية الجنينية التى تحمى الجنين أثناء الحمل، ويتم عن طريقها الاتصال الغذائى والدموى بين الأم والجنين. نفس المرجع السابق (ص ١٩٢) بتصرف.

(٥) البولينا : من مركبات النشادر، ومن أهم مخلفات تمثيل المواد الغذائية البروتينية التى توجد فى البول وسائل الجسم، وتعرف باليوريا أيضا، وتتكون فى الكبد من البروتينات، ويفرزها الكلية. نفس المرجع السابق (ص ١٠٧) بتصرف.

(٦) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٢٢٢) بتصرف.

واذا ما اكتملت هذه المرحلة، وبدأ ظهور الكتل البدنية كان ذلك دليلا على بدء الطور الثالث وهو :

(٣) طور المضغة :

يقال مضغ : الميم والضاد والغين أصل صحيح، وهو المضغ للطعام، ومضغة يمضغه ، والمضاغ : الطعام يمضغ ، والمضغة : قطعة لحم لأنها كالقطعة التى تؤخذ فتمضغ[1] • وقيل : ان المضغة : قطعة لحم، وقيل : تكون المضغة غير اللحم ، وقيل: اذا صارت العلقة التى خلق منها الانسان لحمة فهى مضغة ، و المضيغة: كل عصبة ذات لحم، فاما أن تكون مما يمضغ، واما أن تشبه بذلك ان كانت مما لايؤكل[2] • والمضغة : هى اللحمة الصغيرة قدر مايمضغ[3] •

يقول صاحب الظلال : (المضغة: هى قطعة من دم غليظ لاتحمل سمة ولاشكلا، ثم تخلق فتتخذ شكلها بتحولها الى هيكل عظمى يكسى باللحم، ويلفظها الرحم قبل ذلك ان لم يكن مقدرا لها التمام)[4] •

ويقول العلم : المضغة هى قطعة لحم صغيرة قدر مايمضغ مخلقة أو غير مخلقة[5] •

وينطبق وصف المضغة فى اللغة على المرحلة التى تكون فيها الكتل البدنية للجنين، حيث يبدو كأن أسنانا انغرست فيه، ولاكته ثم قذفته[6] •

أما القول بأن المضغة قدر مايمضغ من اللحم، فقد كشف العلم أن أصغر مايمكن مضغه هو مايكون فى مثل حجم الجنين الذى طوله

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣٣٠/٥) •
(٢) لسان العرب (٤٥٠/٨ ـ ٤٥١) •
(٣) تفسير الرازى (٩/٢٣) •
(٤) انظر تفسير الظلال (٧٥/١٧) •
(٥) نعم الله فى خلق الانسان (ص ٥٥) •
(٦) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٢٥٥) بتصرف •

سنتيمتر واحد[١] .

ثم يبدأ الطور الرابع ،وهو :

(٤) طور العظام :

عظم : العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدل على كبر وقوة[٢].
والعظم : الذى عليه اللحم،والجمع أعظم وعظام[٣] .

قال صاحب التفسير الكبير عن هذه المرحلة فى تفسير قوله تعالى فى سورة "المؤمنون" :

" ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (١٤)

فقوله " فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا" أى:صيرناها[٤] . وقيل أى:صيرنا غالبها ومعظمها، أو كلها عظاما .

وان المضغة،والعظام متحدان فى الحقيقة،وانما الاختلاف بنحو الرخاوة والصلابة[٥] .

وان العلقة والمضغة مختلفان فى الحقيقة،كما أنهما مختلفان بالأغراض[٦] .

ويؤكد العلم هذه الحقيقة بقوله : ان أهم مايميز هذه المرحلة

---

(١) أوجه الاعجاز فى وصف أطوار الجنين (ص ٨) .
(٢) مقاييس اللغة (٣٥٥/٤) .
(٣) لسان العرب (٤١٠/١٢) .
(٤) تفسير الرازى (٨٥/٢٣) .
(٥) تفسير الألوسى (١٤/١٨) بتصرف .
(٦) نفس المرجع السابق (١٤/٦) .

هو تحويل الكتل البدنية الى عظام .[1]

وينقسم عظام الجسم الى نوعين :

(١) عظام غضروفية : وهى التى تتكون من الغضاريف أولاً،ثم تمتلىء بالعظام تدريجيا.مثل عظام الأطراف ،وعظام الفقرات .

(٢) عظام غشائية : وهى التى كانت نسيجا من الغشاء،ثم بنى عليها العظم دون أن تسبقه مرحلة نشوء الغضاريف .[2]

ومن ثم تتغير صورة شكل الجنين التى كانت عليه فى مرحلة المضغة بسبب انتشار الهيكل العظمى فى الجسم كله،فيتشكل الجسم بشكل الهيكل العظمى للانسان،وتظهر الصورة الآدمية .[3]

ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه لم يجعل هذه العظام عارية،فتتأثر بالاصابة من أى شىء خارجى . وانما أعد لها من ظروف البقاء مايجعلها سليمة مادامت الحياة،وذلك بأن سترها وكساها باللحم .

فأنبت سبحانه على كل عظم لحما على المقدار الذى يليق به ويناسبه .[4]

ومن يدرس علم التشريح يرى كيف تحاط العضلات بالعظام،كأنها كساؤها .[5]

ثم انه سبحانه ينشىء هذا الانسان خلقا آخر،وذلك بنفخ الروح فيه ، كما قال ابن عباس ،[6] فجعله سبحانه خلقا جديدا بأن صار حيوانا ناطقا سميعا بصيرا،بعد أن كان جمادا أبكم أصم .[7]

---

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٢٨٦) .
(٢) نفس المرجع السابق (ص ٢٧٨) بتصرف .
(٣) وصف أوجه الاعجاز فى أطوار الجنين (ص ١١) بتصرف .
(٤) تفسير الشوكانى (٤٧٧/٣) .
(٥) معجزة خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٦٤) بتصرف .
(٦) تفسير الطبرى (٨/١٨) بتصرف .
(٧) تفسير الرازى (٨٦/٢٣) .

كما تحدث التغيرات فى جسم الجنين، ويحدث التناسب بين الجسم والرأس، ويظهر الشعر، ويتضاعف الحجم بسرعة (١) .

وهكذا يتولى سبحانه رعاية هذا الجنين حتى يسهل له الخروج الى هذا العالم، بعد أن ينفخ فيه من روحه، كما قال سبحانه :

" إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ " ص (٧١)

فتبارك الله الذى خلق من النطفة مخلوقا أودع فيه من أسرار عظمته، وبديع صنعه ماجعله انسانا حيا ناطقا سميعا بصيرا (٢) .

سبحانه نظم هذه الأطوار بكل دقة وتدبير، لايتغيران ولايتبدلان، ولايمكن أن يكون هذا المخلوق العظيم المكرم خلق من غير خالق، بل لابد أن يكون خالقه الها حكيما خبيرا عليما، كما قال سبحانه متحديا كل من ينكر هذه الحقيقة : " أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ" .

الطور (٣٥)

ويقر بذلك كل من تفكر وتأمل فى الآيات القرآنية، والآيات الآفاقية فى الكون والأنفس، وان لم يكن مسلما، كما حصل للدكتور مارشال جونسون (٣) الذى اندهش عندما علم أن القرآن قد ذكر من قبل ألف وأربعمائة عام أن الانسان خلق على مراحل وأطوار، ذلك لأن الأطباء الغربيين طوال القرن السابع عشر كانوا يعتقدون أن الانسان يخلق خلقا كاملا فى الحيوانات المنوية أى: نطفة الرجل، ولم يكتشفوا أنه يخلق على أطوار الافى القرن التاسع عشر . وعندما قرئ عليه قوله تعالى :

" مَالَكُمْ لَاتَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا" . نوح (١٣ - ١٤)

---

(١) أوجه الاعجاز فى وصف أطوار الجنين (ص ١٣) بتصرف .

(٢) تفسير الشوكانى (٤٧٧/٣) بتصرف .

(٣) مارشال جونسون : رئيس قسم التشريح ومدير معهد دانيال بجامعة فوماس مفرسون بفيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية .

* وقوله تعالى : "..يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لاَ إِلٰهَ إِلا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ " .

الزمر (٦)

قال : لابد أن يكون ماذكر صدفة، فأجابه الشيخ الزندانى : كيف يكون صدفة، والقرآن قد أعطى للأطوار أسماء (نطفة ،علقة ....الخ)، ونصوص القرآن لاتكون صدفة . ثم ذكر احتماله الثانى بأنه قد يكون لمحمد ميكرسكوب، فأجيب بأنه لو صح هذا الاحتمال، فلابد أن يكون ميكرسكوبه ضخما، وان الذى عنده مثل ذلك لابد أن يكون له تقنية عالية، وأن ينعكس ذلك على طعامه، وشرابه، وسلمه، وحربه، وان يتلقى ذلك من الجيل السابق، ويسلمه للجيل الذى بعده . والمعروف أن أول ميكرسكوب اكتشف فى العالم لايكبر أكثر من عشر مرات، ولايستطيع أن يظهر الصورة بشكل واضح .

اذاً بقى أن يقال أن محمدا رسول من عند الله، وكلامه يدل على(1) أن القرآن كلام الله تعالى القائل :

"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ"

فصلت (٥٣)

ثانيا : السمع والبصر .

وهما نعمتان زود الله بهما الانسان لتكتمل سعادته طول بقائه على وجه الأرض ،من خلالهما يتمكن من سماع النداء، والدعوة الى توحيد الله الله أكبر، الله أكبر، لا اله الا الله . كما يبصر آيات الله الكونية، وهى تحيط به تنطق بعظمة خالقها وموجدها سبحانه وحده لاشريك له، كما يسمع كل مايمكن سمعه .

---

(١) أنه الحق للشيخ عبدالمجيد الزندانى . شريط فيديو بعنوان : سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . هيئة الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بالتعاون مع تلفزيون قطر .

والسمع فى اللغة :

السين والميم والعين أصل واحد وهو ايناس الشئ بالأذن والسمع : الذكر الجميل ،ويقال : سماع بمعنى: استمع، ويقال : سمعت بالشئ اذا أشعته ليتكلم به [1] .

وفى الصحاح : السمع : سمع الانسان يكون واحدا وجمعا، كقوله تعالى:
"خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" البقرة (٧)

لأنه فى الأصل مصدر قولك : سمعت الشئ سمعا، وسماعا . وقد يجمع على أسماع، وجمع أسماع أسامع [2] .

وقيل : السمع : حسن الأذن، وفى التنزيل : " أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" . ق (٣٧)

وقال : السمع المصدر، والسمع : الاسم ،والسمع أيضا : الأذن، والجمع : أسماع [3] ،وقيل : السمع قوة فى الأذن، بها تدرك الأصوات ،وقد ورد السمع فى التنزيل على وجوه منها :

الاستماع : وهو الاصغاء (أى: بمعنى سماع جارحة الاذن)، ومنه قوله تعالى : " سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا" الفرقان (١٢)

أو بمعنى: اجابة الدعاء، ومنه قوله تعالى :

" إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ" آل عمران (٣٨)

أو فهم القلب، ومنه قوله تعالى: " سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا" البقرة (٢٨٥) [4]

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٠٢/٣) .
(٢) الصحاح (١٢٣١/٣) .
(٣) لسان العرب (١٦٢/٨) .
(٤) بصائر ذوى التمييز (٢٥٧/٣ - ٢٦٠) بتصرف .

والبصر : الباء والصاد والراء : أصلان أحدهما العلم بالشيء يقال: هو بصير به ،وأما الأصل الآخر : فبصر الشيء غلظه،ومنه البصر . هو أن يضم أديمُ الى أديم يخاطان،كما تخاط حاشية الثوب . وهو الأول أقرب .(1)

وقيل البصر حاسة الرؤية،تقول : أبصرت الشيء : رأيته ،والبصر العلم ،وبصرت بالشيء : علمته . قال تعالى :

" بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ " طه (٩٦)

والبصير العالم ،وقد بصر بصارة . والتبصر : التأمل والتعرف . والتبصير : التعريف والايضاح .(2)

وقال صاحب لسان العرب : في أسماء الله تعالى البصير،وهو الذى يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافيها بغير جارحة .

البصر : العين الآنه مذكر . وقيل : البصر حاسة الرؤية،وقيل البصر حسن العين،والجمع أبصار .(3) وقد ورد لفظ البصر فى القرآن الكريم بعدة معان منها :

(١) بعد النظر والحجة ،ومنه قوله تعالى :

"فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ" . الملك (٣ – ٤)

(٢) بصر الحيرة والحسرة ،ومنه قوله تعالى :

" فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ " القيامة (٧)

(٣) بصر فى عدم الفائدة والمنفعة ،ومنه قوله تعالى :

" فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ " (4) الأحقاف (٢٦)

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٥٣/١) بتصرف .
(٢) الصحاح (٥٩١/٢) .
(٣) لسان العرب (٦٤/٤ – ٦٨) .
(٤) بصائر ذوى التمييز (٢٢٤/٢) .

وقد ورد لفظ السمع والبصر عدة مرات فى سورة النحل :

(١) قوله تعالى : "وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" . (٧٨)

وذلك يفيد أن الانسان حال خروجه من بطن أمه خاليا عن العلم والمعرفة، الا أنه مزود بوسائل كسب العلم والمعرفة (السمع والبصر والفؤاد)، لكنه لايعتد بها الا اذا أدت مهمتها بعد خروج الطفل من بطن أمه، لأنه سبحانه جعل للانسان السمع ليسمع به نصوص الكتاب والسنة وغيرها، وهى الدلائل السمعية لتستدلوا بها على مايصلحكم فى أمر دينكم، وجعل لكم الأبصار لتبصروا بها عجائب مصنوعاته ومخلوقاته، فتستدلوا بها على وجود خالقها ومبدعها سبحانه وحده لاشريك له، وجعل الأفئدة لتعقلوا بها، وتفهموا معانى الأشياء الدالة على وحدانيته، كما قال ابن عباس فى الآية : يريد لتسمعوا مواعظ الله، وتبصروا ماأنعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون أمهاتكم الى أن صرتم رجالا، وتعقلوا عظمة الله .[1][2]

وقد جمع بين السمع والبصر فى قوله تعالى فى وصف الكافرين :

" أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ" . النحل (١٠٨)

طبع سبحانه على قلوبهم فلم تفهم المواعظ، ولم تدرك مايوصلها الى الحق .[3]

كما طبع على سمعهم، فلم تسمع كلام الله، وعلى أبصارهم، فلم تنظر فى آيات قدرته، ومن ثم استحقوا من الله العذاب العظيم .[4]

---

(١) تفسير الألوسى (٢٠١/١٤) بتصرف .

(٢) تفسير الخازن (١٠٧/٤) بتصرف .
وسأوضح الحكمة وبيان مظاهر تسخير السمع والبصر للانسان فيما بعد ان شاء الله .

(٣) تفسير الألوسى (٢٣٩/١٤) بتصرف .

(٤) تفسير القرطبى (١٩٢/١٠) بتصرف .

بينما ذكر لفظ السمع فقط دون البصر مرة واحدة في سورة النحل يصف به المؤمنين، وهي قوله تعالى :

"وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" . النحل (٦٥)

فمن حجج الله على عباده الدالة على وجوده ووحدانيته انزال المطر، ومايترتب عليه من انبات الزرع في الأرض التي كانت ميتة لاتنبت زرعا ولاعشبا، وفي كل ذلك دلالة وحجة على وجود الله وقدرته، وانه الخالق الموجد لهذا العالم (١) .

وسأتحدث عن نعمتي السمع والبصر، وتسخيرهما، ومايترتب على وجودهما من السماع والرؤية لكل ماحولنا من آيات لمعرفة الحق عز وجل، ولمعرفة أنه الخالق سبحانه وحده لاشريك له لقوله تعالى :

" وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" الذاريات (٢١)

فالسمع والبصر نعمتان زود الله الانسان بهما، وجعلهما من وسائل تحصيل المعرفة (٢) . فقال سبحانه :

"وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" النحل (٧٨)

ومن ثم يكون من جنس هذا الانسان العالم والباحث بعد أن لم يكن يعلم شيئا، فالسمع والبصر من النوافذ التي يطل الانسان من خلالهما على العالم الخارجي، ويتلقى منهما المدركات حتى ان الله سبحانه أورد ذكرهما في القرآن الكريم أكثر من غيرهما من الحواس والأعضاء (٣)

---

(١) تفسير الطبري (٨٨/١٤) بتصرف .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى في ١٣٧٦هـ تحقيق وضبط محمد زهري النجار (٢٢٤/٤) بتصرف . الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ـ الرياض ١٤٠٤هـ .

(٣) معجزة خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ١٨٣) بتصرف .

ومن ذلك قوله تعالى :

" وَلَاتَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً" الاسراء (٣٦)

وقوله سبحانه : " إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" . ق (٣٧)

وجهاز السمع يقوم بنقل المؤثرات السمعية الى حيث يتم ادراكها فى مراكز الادراك الخاصة (١) .

والأذن (٢) من أروع معجزات الخالق فى مخلوقاته، فهو عضو حيوى صغير يشبه جهازا علميا معقدا يعمل فى غاية الدقة والاتقان ،يسمع الانسان به الأصوات ويميزها . هذه الأصوات التى ان حركت آلة السمع الخارجية تحركت معها كل الآلات الأخرى حتى تصل الحركة الى الأوتار فتهتز وترسل رنينها الى المخ عن طريق الأعصاب (٣)، ومن ثم تتحول المسموعات الى مفهومات تزود الانسان بالمعلومات المختلفة ،وتجعل له القدرة على التفاعل مع من حوله بيسر وسهولة (٤) .

ومن عجيب صنع الله أن شق الأذنين فى جانبى الوجه، ليتمكن الانسان من ادراك وسماع الأصوات الآتية من خلفه أو أمامه أو عن يمينه أو شماله، فتأتى المسموعات اليهما على نسبة واحدة،كما أنه أودع فيهما من الرطوبة مايكون معينا على ادراك المسموعات بعد أن أودع فيهما

---

(١) السمع والبصر وقضية الفؤاد د. حسين اللبيدى (ص٣) . بحث مقدم للمؤتمر العالمى الأول للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة ـ اسلام اباد ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

(٢) يتكون الأذن من الأذن الخارجية التى تقوم بجمع الأمواج الصوتية، والأذن المتوسطة التى تفصلها الأذن الخارجية بطبلة الأذن، ثم الأذن الداخلية المكونة من جزئين هى القوقعة التى فيها عضو السمع الحقيقى، والأقنية نصف الدائرية التى تساعدنا على حفظ توازننا .
من كتاب الطب فى القرآن ـ عبدالله عباده (ص ٨٩) بتصرف .

(٣) معجزة القرآن (ص ١٥٩) بتصرف .

(٤) ركائز الايمان بين العقل والقلب ،محمد الغزالى (ص ٤٧) بتصرف . دار الاعتصام ،القاهرة ،الطبعة السادسة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

القوة السمعية[1] .

أما جهاز البصر، فهو العين التى يقوم بنقل المؤثرات البصرية الى حيث يتم ادراكها فى مراكز الادراك الخاصة . وبواسطته يبصر الانسان المرئيات، ويتعرف بها على ماحوله من الكائنات، ومن حوله ممن يعقل ،ويميز بينها .

وقد خلق سبحانه العينين فى وسط الوجه لأنهما محل الزينة والجمال، وكذلك ليتمكن من الرؤية للأشياء التى فوق مستوى نظره أو تحتها بدون عناء .

وغطاهما بغطائين يغلقهما ويفتحهما فى الوقت الذى يريده، وغير ذلك من عجيب صنع الله، ومافيها من حكم عظيمة يدركها كل متأمل ودارس لها[2] .

كما أنه سبحانه جعل فى العينين قدرة عجيبة على الحركة بسهولة الى جميع الاتجاهات، نظرا لما زودهما الله به من عضلات مرتبطة بعدسة العين، مما يساعدهما على رؤية الأشياء القريبة والبعيدة، وعضلات أخرى تمكنهما من تضييق أو توسيع فتحتهما ، تبعا لأحوال الاضاءة ،وقد جعل الله فيهما وسائل تساعد على حفظهما سليمة كالدموع التى تفرزها الغدة الدمعية[3] ، كما يشير الى ذلك قوله سبحانه :

" أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ " البلد (٨ - ٩)

فائدة السمع والبصر :

السمع والبصر وسيلتا العلم والمعرفة :

يوضح ذلك قوله تعالى : "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" النحل (٧٨)

(١) التبيان فى أقسام القرآن لابن القيم (ص٣٠٦ - ٣٠٧) بتصرف .
(٢) نفس المرجع السابق (ص٣٠٦ - ٣٠٧) بتصرف .
(٣) آيات الله تعالى ،محمد وفا الأميرى (٤١٧/١ - ٤١٩) بتصرف .

يقول الشوكاني : جعل لكم هذه الاشياء لتحصلوا بها هذا العلم الذي كان مسلوبا عنكم عند اخراجكم من بطون امهاتكم وتعملوا بموجب ذلك العلم من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه (١) ،فيعرف ماحوله ويميز بين أصوات الناس، والمخلوقات، ومن ثم يرتقي في سلم العلم، والمعرفة مع القدرة على الانسجام مع من حوله من المحيط الخارجي، والتفاهم معهم، بينما يصعب كل ذلك على من ولد أصم .

كما أن ادراك عظمة وابداع صنعه للكون لا يتحقق الا بعد رؤية آياته، وآثار صنعه في الآفاق والأنفس، وسماع الأدلة السمعية، كالآيات النقلية والعقلية، ومافيها من دلالة على وجوده سبحانه ووحدانيته، ومن ثم شكره سبحانه وحده (٢) .

وقد حث سبحانه على النظر في آياته الكونية للوصول الى النتيجة التي ذكرناها فقال : " قُلِ ٱنْظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ " .

يونس (١٠١)

فالقرآن كتاب الله المقروء، والكون كتاب الله المنظور، وكلاهما مفتوحان للأسماع والأبصار ينطقان بقدرة الله وعظمته ،وكتاب الكون يؤكد صدق مافي الكتاب المتلو من أن الله واحد لاشريك له (٣)، كما قال تعالى :

" لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ " الأنبياء (٢٢)

وغير ذلك من الفوائد العظيمة المترتبة على وجود السمع والبصر، والمتأمل في :

---

(١) انظر تفسير الشوكاني (١٨٢/٣) .

(٢) تفسير الألوسي (١٩٢/٢٩) بتصرف .
كذلك حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلم د. أبو اليزيد العجمي (ص ٨١) بتصرف . سلسلة دعوة الحق ــ رابطة العالم الاسلامي ــ مكة المكرمة ــ العدد ٢٢ ــ محرم ١٤٠٤هـ .

(٣) في ظلال القرآن (٩/٢٦) بتصرف .

الحكمة من تقديم لفظ السمع على لفظ البصر فى القرآن الكريم :

يجد أنه سبحانه استخدم السمع والبصر فى معان تدور حول الفكر والفهم والتدبر .

ولايقتصر هذا التقديم على هذه الآية فقط،بل فى كل آيات القرآن الكريم،وعندما يذكر سبحانه السمع والبصر فى آية واحدة،فانه يقدم دائما السمع على البصر،كما فى آية سورة النحل .

كما وأن السر من تقديم السمع على البصر - والله أعلم - أن السمع من الات الادراك التى يحصل الانسان عن طريقه العلم والمعرفة ويعتد به اذا أحس وأدرك[1] .. وبالسمع يتلقى الوحى، فادراكه اقدم من ادراك البصر .

وخلاصة ماقيل فى السر من تقديم السمع على البصر مايلى :

(١) ان جهاز السمع أرقى وأعقد وأدق تكونا من جهاز البصر .

(٢) ان تكوين جهاز السمع يسبق تكوين جهاز البصر،وكذلك فى أداء العمل، فالطفل يسمع قبل أن يتمكن من الرؤية[2] .

(٣) ان حاسة السمع الطريق الأول لتعلم الانسان،وفهمه لأمور الحياة فيتعلم بواسطة حاسة السمع أضعاف مايتعلمه بواسطة البصر بدليل أننا نسمع عن عباقرة نجحوا فى حياتهم العلمية والعملية بالرغم من فقدهم نعمة البصر،بينما يندر العثور عليهم فى من فقد نعمة السمع،خاصة من فقدها منذ مولده،لأن الفهم والنطق يتعلقان الى درجة كبيرة بالسمع[3] .

---

(١) تفسير الألوسى (١٤/ ٢٠١) بتصرف .

(٢) الطب فى القرآن (ص ٧٨) بتصرف .

(٣) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص ٣٢٣ - ٣٢٤) بتصرف . كذلك الطب محراب الايمان د. خالص جلبى (٢٠٣/١) بتصرف . مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٤) ان وظيفة السمع أكثر من وظيفة البصر، لأن السمع يتضمن السمع والتوازن، بينما وظيفة البصر مقتصرة على رؤية الأشياء فقط (١).

(٥) ماثبت علميا من أن العين والأذن ماهي الا مستقبلات تستقبل موجات الضوء والصوت لترسلها عبر أعصاب السمع والبصر الى مراكزهما داخل المخ البشري، وفي هذه المراكز يتم ادراك وفهم مايسمع ويرى، ولقد وجد العلماء أن مركز السمع يقع في الفص الصدري للمخ، بينما يقع مركز الابصار في الفص المؤخر في آخر المخ (٢).

انظر الملحق رقم (١١)

ويلاحظ عند ذكر السمع والبصر في آية قرآنية ، افراد السمع وجمع البصر ، لأن السمع مصدر ، والمصادر لا تجمع فجاء مفردا .

ان العينين تتقدمان على الأذنين في رأس الانسان (٣)، كما أن المتأمل في الآية السابقة من سورة النحل، وهي قوله تعالى :

"وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (٧٨)

يجد أنه ذكر لفظ السمع بهذه الصيغة لأنه مصدر يشمل القليل والكثير، وخص السمع بذكر المصدر دون البصر والفؤاد، فذكرهما بالاسم، لأن السمع قوة واحدة، ولها محل واحد، وهو الأذن، ولاخيار لهما فيه بعكس البصر، فلايمكن للانسان أن يسمع بعض المسموعات دون الأخرى في وقت واحد بعكس العين، فللانسان الخيار في رؤية بعض المناظر، اما بغض بصره أو تحويله الى اتجاه آخر (٤)، بواسطة البصر يدرك الانسان الضوء، واللون، والشكل، والحركة، والسكون ... الخ بخلاف السمع الذي يدرك الصوت فقط، وبالتالي

---

(١) مع الطب في القرآن (ص ٥٤) بتصرف .
(٢) السمع والبصر وقضية الأفئدة (ص ٤) .
(٣) نفس المرجع السابق (ص ٥) .
(٤) تفسير الشوكاني (٤/٢٥٠) بتصرف .

فالسمع واحد، ولكن الأبصار قد تتعدد مراثيها [1] .

كما أن من استخدم سمعه وبصره، كما أمره الله سيرى كل شئ أمامه بوضوح، ويرى الكون العظيم، ومافيه من ابداع وتناسق يجعل كل انسان يتساءل (هل لهذا الكون اله) ؟

والعاقل يدرك أن لكل مخلوق خالقا مبدعا صانعا مدبرا للكون كله، ومسخره لخدمة الانسان، وما أن يصل الانسان الى ذلك حتى يثبت الله ايمانه به [2] .

وان لم يصل الى هذه النتيجة الحتمية صار من الغافلين الذين وصفهم سبحانه بقوله :

" وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّايَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّايُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّايَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـٰئِكَ كَٱلأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰئِكَ هُمْ ٱلْغَافِلُونَ" الأعراف (١٧٩)

فرغم وجود نعمتى حاستى السمع والبصر فيهم الا أنهم لم ينتفعوا بهما، فاللهم لاتجعلنا منهم .

اللهم "سجد وجهى للذى خلقه فصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين" [3] .

ثالثا : القلب كسلطان للبدن ومخاطبة القرآن له .

وقد ذكر سبحانه القلب كثيرا فى القرآن الكريم، وان قصد به عدة معان .

---

(١) تفسير الألوسى (٣١/٢١) بتصرف .

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ، مقالة مالكولم دنكان ونيتر بعنوان "صحة الدين" (ص ١١٤) بتصرف .

(٣) سنن الترمذى (٤٨٥/٥) .
وهذا الدعاء جزء من حديث طويل قال عنه الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

والقلب في اللغة : القاف واللام والباء أصلان صحيحان :

أحدهما : يدل على خالص الشيء وشريفه، والآخر على رد الشيء من جهة الى جهة .

فالأول : قلب الانسان وغيره ، سمى بذلك لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه، وخالص كل شيء وأشرفه قلبه .

والأصل الآخر : قلبت الثوب قلبا . والقلب : انقلاب الشفة، وهي قلباء، وصاحبها أقلب .(١)

وقيل القلب : الفؤاد، وقد يعبر به عن العقل . قال الفراء في قوله تعالى : " إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" ق (٣٧) . أي:عقل ، ويستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع .(٢)

وفي لسان العرب : قلب : القلب تحويل الشيء عن وجهه :.

والقلب أيضا : صرفك انسانا تقلبه عن وجهه الذي يريده .

والقلب : مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط(٣)، ويرى ابن سيده : أن القلب هو الفؤاد ، مذكر، والجمع أقلب وقلوب، وقد يعبر بالقلب عن العقل . وقيل: القلوب والأفئدة قريبان من السواء . وقال بعضهم: سمى القلب قلبا لتقلبه، وقال الأزهري : رأيت بعض العرب يسمى لحمة القلب كلها، شحمها وحجابها قلبا وفؤادا . قال : ولم أرهم يفرقون بينهما. قال : ولا أنكر أن يكون القلب هو العلقة السوداء من جوفه .(٤)

ويقول صاحب كتاب بصائر ذوي التمييز المراد بالقلب : الفؤاد، وقد يعبر به عن العقل، يقال : ماقلبك معك أي:ماعقلك ، وقيل : القلب

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٧/٥) .

(٢) الصحاح (٢٠٦/١) .

(٣) النياط : عرق علق به القلب من الوتين ، فاذا قطع مات صاحبه . الصحاح (١١٦٦/٣) .

(٤) لسان العرب (٦٨٥/١ – ٦٨٨) بتصرف .

ورد فى القرآن على ثلاثة معان :

الأول : بمعنى العقل، ومنه قوله تعالى : " إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" . ق (٣٧)

الثانى : بمعنى الرأى والتدبير، ومنه قوله تعالى : " لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ....) الحشر (١٤)

الثالث : بمعنى حقيقة القلب الذى فى الصدر ، ومنه قوله تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ" الحج(٤٦)

وهذا النوع من القلب على سبعة أوجه :

قلب الكافر، المنافق، العاصى ، المخلص ، المحب ، الخائف ، العارف .(١)

يقول الامام الغزالى : القلب يطلق على معنيين :

أحدهما : اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص، وفى باطنه تجويف، وفى ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه .

والمعنى الثانى : هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق، وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان، وهو المدرك العالم العارف من الانسان، وهو المخاطب، والمعاقب، والمعاتب، والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسمانى .(٢)

ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى " .(٣)

---

(١) بصائر ذوى التمييز (٢٨٨/٤ - ٢٩٠) بتصرف .

(٢) انظر احياء علوم الدين (٣/٣) كتاب شرح عجائب القلب .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى (٩/١) باب بدء الوحى حديث رقم (١) .

وعند الدكتور محمد على البار معنيين للقلب هما :

أولا : هو القلب العضلى الموجود فى القفص الصدرى على الجانب الأيسر منه والذى لايزيد وظيفته عن كونه مضخة تضخ الدم فى أنحاء الجسم كما فى قوله تعالى :

"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ" .

الحج (٤٦)

أى:محلها القلب ،وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ... الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله،واذا فسدت فسد الجسد كله آلا وهى القلب "(١) .

ثانيا : القلب المعنوى المتعلق بالعواطف ... بالحب،والكره،والميل، والنفور،والادراك،والفهم .

يؤكد ذلك قوله تعالى فى الآية التى ذكرتها سابقا من سورة الحج رقم (٤٦) بقوله : " ... فَإِنَّهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ ...". ذلك من حيث وظيفتها، لأن وظيفتها الفهم والادراك(٢) .

نخلص من ذلك كله الى أن القلب سمى قلبا لكثرة تقلبه ،وقد يقصد به حقيقة القلب (اللحم الصنوبرى)،وقد يعبر به عن العقل أو الفؤاد، وقد يقصد به القلب المعنوى المتعلق بالحب،والكره،والعواطف، والأحاسيس،والادراك،والفهم .

<u>وقد ذكر لفظ القلب فى سورة النحل ثلاث مرات :</u>

---

(١) صحيح البخارى (١٩/١) كتاب الايمان باب (٣٩) (فضل من استبرأ لدينه) .

(٢) مقالة بعنوان "الفرق بين القلب العضلى والقلب المعنوى" د. محمد على البار (ص ١١) بتصرف . المجلة العربية عدد (١١١) السنة العاشرة ،ربيع الثانى ١٤٠٧هـ .

(١) فى قوله تعالى :

" إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ " (٢٢)

فالمستحق العبادة هو اله واحد يجب افراده بالطاعة والعبادة، والذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة فلايصدقون بوعده سبحانه ووعيده، ولايقرون بالمعاد، لكن المشركين المنكرين والمستكبرين لايريدون عبادة اله واحد، وانما يريدون عبادة الشركاء كأسلافهم، وعدم الاقرار بتوحيد الألوهية، والاقرار له بوحدانيته (١) . لاسيما وأن الدلائل والحجج يعرفها أصحاب القلوب النيرة، أما الذين لايعقلون، ولايتأملون فيها فتكون قلوبهم منكرة، وأسند الانكار الى القلوب لأنها محله (٢)، وذلك لأن العلة تكمن فى كيانهم وطباعهم، وان قلوبهم منكرة جاحدة لاتقر بما ترى من الآيات، لأنهم مستكبرون لايريدون التسليم بالبراهين، ولايستسلمون لله والرسول، فالعلة أصيلة، والداء كامن فى الطباع والقلوب . والقلب المستكبر لايرجى له أن يقتنع أو يسلم، ومن ثم فهم مكروهون من الله لاستكبارهم، ولايعلم حقيقة أمرهم وسرهم ومايعلنون الا هو سبحانه (٣) .

(٢) قوله تعالى :

" مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " . (١٠٦)

فالآية تخبر عن عقاب من كفر بعد الايمان والتبصر بشرط أن يكون قد شرح بالكفر صدرا أى: طابت به نفسه (٤)، وان ارتد هذا المكلف باختياره

---

(١) تفسير الطبرى (١٤/٦٤) بتصرف .
(٢) تفسير الألوسى (١٤/١٢١) بتصرف .
(٣) تفسير الظلال (١٤/٥٦) بتصرف .
(٤) تفسير الجلالين (١/٢٥٠) .

كان له العذاب العظيم، وعليه غضب من الله تعالى، ذلك لأنه عرف الايمان وذاقه، ثم ارتد ايثارا للحياة الدنيا على الآخرة، فكان له هذا العقاب (١)، وبه تبين منه زوجته المسلمة ولايصلى عليه ان مات، ولايرث أباه ان مات مسلما (٢)، واستثنى من ذلك من نطق بكلمة الكفر باللسان، ولكن قلبه مطمئن بالايمان . (والمراد من ذلك الا من كفر باكراه أو الا من أكره فكفر، والحال أن قلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته . وأصل معنى الاطمئنان سكون بعد انزعاج، والمراد هنا السكون والثبات على ماكان عليه بعد ازعاج الاكراه، ومن ثم لم يصرح بذلك العامل ايماء الى أنه ليس بكفر حقيقة (٣)).

وقد أسند سبحانه الاطمئنان الى القلب، وفى ذلك دلالة على أن محل الايمان هو القلب (٤) .

قال القرطبى : أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل، لا اثم عليه ان كفر وقلبه مطمئن بالايمان، ولاتبين منه زوجته، ولايحكم عليه بالكفر (٥) .

وقد قيل فى نزول هذه الآية الكريمة: أنها نزلت فى عمار بن ياسر، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسرا، وأمه سمية، وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما، فأما سمية فانها ربطت بين بعيرين ووجىء قُبُلها بحربة . وقيل لها: انك أسلمت من أجل الرجال، فقتلت وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين قتلا فى الاسلام . أما عمار فانه أعطاهم ماأرادوا بلسانه مكرها، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بأن عمارا كفر، فقال : كلا ان عمارا ملىء

---

(١) فى ظلال القرآن (١٠١/١٤) بتصرف .
(٢) تفسير القرطبى (١٨٢/١٠) .
(٣) انظر تفسير الألوسى (٢٣٦/١٤) .
(٤) تفسير الرازى (١٢٥/٢٠) .
(٥) انظر تفسير القرطبى (١٨٢/١٠) .

ايمانا من قرنه الى قدمه، واختلط الايمان بلحمه ودمه . فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه، وقال : ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .[1]

وبرواية أخرى أخرجه عبدالرزاق، وابن سعد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والحاكم، وصححه ، والبيهقى فى الدلائل من طريق أبى عبيدة بن محمد بن عمار، عن أبيه قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبى صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ماوراءك شئ ؟ قال : شر ماتركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير قال : كيف تجد قلبك ؟ قال: مطمئن بالايمان . قال : ان عادوا فعد . فنزلت : " إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ" .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين : " ان النبى صلى الله عليه وسلم لقى عمارا وهو يبكى ، فجعل يمسح عن عينيه، ويقول : أخذك الكفار فغطوك فى الماء فقلت كذا وكذا ... فان عادوا فقل ذلك لهم "[2] .

(٣) قوله تعالى :

" أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ" (١٠٨)

وهى الآية الثالثة من سورة النحل التى ذكرت القلب .

فسبحانه وصف المشركين بالغفلة انه سبحانه قد طبع على قلوبهم فلا يفقهون بها، ولايفهمون المواعظ، وأصم أسماعهم، وأعمى أبصارهم .[3]

---

(١) انظر أسباب النزول للنيسابورى (ص ١٩٠) .

(٢) الدر المنثور فى التفسير المأثور ، جلال الدين السيوطى المتوفى ٩١١ (١٧٠/٥) . دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٣) تفسير الطبرى (١٢٣/١٤) بتصرف .

فلا يستدلون بها على الحق . وقد ذكر سبحانه الطبع على القلب، وفى ذلك دليل على عدم اهتدائهم الى معرفة الحق، وطمس بصيرتهم ، والطبع هو الختم (١) .

وهو معنى يخلقه الله فى القلب يمنع من الايمان به، كما قال :
" وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ " الأنعام (٢٥)
فكيف يهتدون، ومن يهديهم بعد أن أضلهم الله مجازاة لكفرهم (٢) .

ولما كان الطبع هو الختم على القلب كان ذلك مشعرا بفضل القلب على جميع الجوارح ، فالقلب موضع الفكرة، وهو فى الأصل مصدر قلبت الشيء اقلبه قلبا اذا أرددته على بداءته . وقلبت الاناء : رددته على وجهه . ثم نقل هذا اللفظ فسمى به هذا العضو الذى هو أشرف مافى الانسان لسرعة الخواطر اليه، ولترددها عليه (٣) .

ومن ثم يؤاخذ الانسان على أعمال قلبه كالكبر، والعجب، والرياء والنفاق، والردة عن الاسلام (٤) . وهو محل نظر الرب الى العبد ، قال صلى الله عليه وسلم : " ان الله لاينظر الى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر الى قلوبكم، وأعمالكم " (٥) .

بينما ذكر لفظ الفؤاد مرة واحدة فى سورة النحل فى قوله تعالى :
"وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (٧٨)

يقول الطبرى ماملخصه : المراد من الآية الكريمة أنه سبحانه

---

(١) وصف الله قلوب الكافرين فى القرآن الكريم بعشرة أوصاف وهى : الختم ، الطبع ، الضيق ، المرض ، الرين ، الموت ، الغشاوة ، الانصراف الحمية ، الانكار . من تفسير القرطبى (١٨٦/١) .
(٢، ٣) انظر تفسير القرطبى (١٨٧/١) .
(٤) احياء علوم الدين (٣٧/٣) بتصرف .
(٥) صحيح مسلم (١٩٨٧/٣) كتاب البر باب رقم (١٠) باب تحريم ظلم المسلم .

أعلمكم مالم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعقلون شيئا، ولاتعلمون،فرزقكم عقولا تفقهون بها، وتميزون بها الخير والشر، وكذا خلق السمع والبصر من وسائل كسب المعرفة، وكذا الأفئدة أي:القلوب التي تعرفون بها الأشياء فتحفظونها، وتفكرون فتفقهون بها (١) .

والأفئدة: جمع فؤاد، وهو وسط القلب منزلته منه بمنزلة القلب من الصدر (٢) .

وقال ابن كثير : " والأفئدة: هي العقول التي مركزها القلب على الصحيح وقيل : الدماغ . والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها (٣) ".

"والقرآن يعبر بالقلب، ويعبر بالفؤاد عن مجموع مدارك الانسان الواعية، وهي تشمل ما اصطلح على أنه العقل، وتشمل كذلك قوى الالهام الكامنة المجهولة الكنه، والعمل (٤) " .

ومن ثم تستخدمون هذه الوسائل لادراك مافي البيئة التي أنتم فيها، وتقفون على أسرارها، ومن ثم تشكرون ربكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم (٥) .

أما الفرق بين القلب والفؤاد فقد اختلفت في ذلك آراء العلماء ففيما ذكرنا سابقا وجدنا اختلاف الآراء في المراد من القلب هل هو الفؤاد أولا ؟ ويمكن معرفة ذلك عن طريق معرفة المراد من الفؤاد عند العرب .

فقال صاحب معجم مقاييس اللغة : الفاء والألف والدال هذا أصل صحيح يدل على حمى وشدة حرارة .

والفؤاد سمي بذلك لحرارته . والفأد : مصدر فأدته ، اذا أصبت

---

(١) تفسير الطبري (١٠٢/١٤) .

(٢) تفسير الشوكاني (١٨٢/٣) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٦٢٨/٢) .

(٤) انظر في ظلال القرآن (٨٥/١٤) .

(٥) التفسير الواضح (٥٨/١٤) بتصرف .

فؤاده . ويقولون : فأدت الملة ، اذا مللتها[1] .

وقيل الفؤاد : القلب، والجمع الأفئدة، وفأدته فهو مفؤود . أصبت فؤاده، وكذلك أصابه داء فى فؤاده[2] .

وقيل الفؤاد : القلب ، وقيل : وسطه ، وقيل : الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه، والجمع أفئدة . والمفؤود الذى أصيب فؤاده بوجع، ورجل مفؤود : جبان ضعيف الفؤاد[3] .

وفى بصائر ذوى التمييز : الفؤاد بالفتح وبالواو ـ لغة فى الفؤاد ـ بالضم وبالهمز ـ وقيل : انما يقال للقلب الفؤاد اذا اعتبر فيه معنى التفؤد أى: التوقد . وقيل : القلب أخص من الفؤاد[4] . ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم : " أتاكم أهل اليمن أرق أفئدة، وألين قلوبا ، الايمان يمان، والحكمة يمانية ... الحديث "[5] .

ويقول الألوسى : " والأفئدة: جمع فؤاد، وهو وسط القلب، وهو من القلب كالقلب من الصدر "[6] . " فاذا اجتمع لين الفؤاد الى رقة القلب حصل من ذلك الرحمة ، والشفقة ، والاحسان، ومعرفة الحق، وقبوله "[7] .

يقول الشوكانى : " والقلب بضعة صغيرة على هيئة الصنوبرة خلقها الله، وجعلها مجالا للعلم "[8] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/٤٦٩) .
(٢) الصحاح (٢/٥١٨) .
(٣) لسان العرب (٣/٣٢٩) .
(٤) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز (٤/٢١٨) بصيرة فى فود .
(٥) صحيح البخارى (٥/١٢٢) كتاب المغازى باب (٧٤) (قدوم الأشعريين وأهل اليمن) .
(٦) انظر تفسير الألوسى (١٤/ ٢٠٢) .
(٧) انظر البيان فى أقسام القرآن لابن القيم (ص ٣٧٨) .
(٨) انظر تفسير الشوكانى (٤/٢٦٠) .

ويفرق الدكتور حسين اللبيدى[1] بين القلب والفؤاد بقوله : " ان آية فى القرآن الكريم توضح الفرق بينهما، وهى قوله تعالى فى سورة القصص :
"وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"[2] القصص (١٠)

وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "...أهل اليمن أضعف قلوبا، وأرق أفئدة"[3] .

فالآية تشير الى أن القلب شىء والفؤاد شىء آخر . وان هناك ثمة رابطة بينهما، فنجد الآيات القرآنية التى يذكر فيها لفظ القلب مشيرة الى معانى شاملة تشمل الانسان كاملا، أى: أن القلب فى القرآن اتسعت معانيه، وتعددت جوانبه. سواء كانت معانيه عاطفية أو عقلية ...الخ . بينما يأتى الفؤاد مشيرا الى معان تحوم حول العواطف والأحاسيس (أى: أنها معان خاصة فى الانسان) أى: أن القلب أعم، والفؤاد أخص، أو أن القلب يبسط نفوذه على كل شىء، وبه تأتم كل ملكات وأدوات الانسان التكليفية من عقل وعاطفة .وقد توصل الطب الى أن الفؤاد مكان الاحساس بالألم، وأن العلم اليقينى قد حدد هذا المكان بأنه فى قلب المخ . اذ الفؤاد يشير الى قلب المخ حيث مراكز الاحساس بالألم . ونجد ذكر الفؤاد فى كل آيات القرآن بعد ذكر السمع والبصر .

وبناء على ماوضحنا سابقا من موضوع السمع والبصر من أن مراكز السمع تتقدم مراكز الابصار داخل المخ البشرى (من حيث الترتيب التشريحى المكانى للمراكز) . (ملحق رقم ١٢)

---

(١) طبيب الأمراض الجلدية والتناسلية بسوهاج، مصر، والباحث بهيئة الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة .

(٢) قال القرطبى فى تفسير هذه الآية : " أنها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والدهش . ذلك لأن القلوب مراكز العقول . ثم قال : " والربط على القلب : الهام الصبر" .
تفسير القرطبى (٢٥٥/١٣ - ٢٥٦) .

(٣) صحيح البخارى (١٢٢/٥) باب (٧٤) (قدوم الأشعريين وأهل اليمن) .

والفؤاد يأتى دائما بعد السمع والبصر مع أن مراكز الأبصار تقع فى آخر المخ . ومن ثم كشف الطب أن الفؤاد لايوجد له حسب الترتيب المكانى الا طريق واحد هو أن يكون الفؤاد فى عمق المخ فى قلب المخ، ويؤكد ذلك العلم ان فى قلب المخ توجد أنوية لها علاقة بالأحاسيس، والعواطف، والانفعال .

اذا وظيفة الفؤاد تتعلق بالعواطف والأحاسيس ،ومن ثم يكون الفؤاد مع وجود السمع والبصر هى القوى المودعة فى مخ الانسان، ولها مراكزها داخل المخ البشرى، وهى أدوات تكليف لولاها لما أصبح الانسان مكلفا[(١)] .

لذا كانت الآية من سورة النحل :

" وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (٧٨)

وقوله تعالى فى سورة الاسراء :

" وَلَاتَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا " (٣٦)

هما الدالتان على هذه الحقيقة ،وكما قلنا ان الفؤاد أخص، والقلب أعم . وبذلك تتجلى هذه الحقيقة، وهى أن القلب سلطان البدن، وهو كما ذكرت محل نظر الرب للعبد .

" ان الله لاينظر الى صوركم ......الحديث "[(٢)] .

ومن هنا كان العمل بالنية ـ والنية محلها القلب، كما أنه يشترط فى قبول الأعمال الاخلاص الذى هو مرتبط أيضا بالقلب، لذا كانت هداية القلب سببا فى صلاح أمر الانسان . قال صلى الله عليه وسلم : " ...... ألا

---

(١) انظربحث : السمع والبصر وقضية الفؤاد ،د. حسين اللبيدى (ص ٨ ـ١٥) بتصرف . بحث مقدم لهيئة الاعجاز العلمى بالقرآن والسنة .

(٢) صحيح مسلم (١٩٨٧/٣) كتاب البر باب رقم (١٠) باب تحريم ظلم المسلم.

وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله، واذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب "[١] .

ولذا قال أحد الصحابة عن المصلى العابث : " لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه"[٢] . (ذكره البيهقى فى سننه جـ٢ص ٢٨٥ موقوفا معلقا ، والله اعلم)(×)

ومن ذلك مارواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لكل بنى آدم حظ من الزنا، فالعينان تزنيان، وزناهما النظر، واليدان تزنيان، وزناهما البطش، والرجلان تزنيان، وزناهما المشى، والفم يزنى، وزناه القبل، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه "[٣] .

فاذا قوى ايمان العبد صلحت أعماله، واذا ضعف ايمانه ساء عمله .

والانسان أسير عاداته فعليه أن يعود نفسه منذ نشأته الأولى على طاعة الله ورسوله ليكون له الجزاء الحسن .

قال صلى الله عليه وسلم : " سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الا ظله الامام العادل، وشاب نشأ فى عبادة ربه، ورجل قلبه معلق فى المساجد .....الحديث "[٤] .

وقال الحسن البصرى : " ليس الايمان بالتجلى ولابالتمنى (أى: الكلام)، ولكنه ماوقر فى القلوب، وصدقه الأعمال "[٥] .

---

(١) صحيح البخارى (١٩/١) كتاب الايمان باب (٣٩) (فضل من استبرأ لدينه) .

(٢) كتاب الايمان ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ (ص ١٧٦) المكتب الاسلامى دمشق ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ .

(٣) مسند الامام أحمد بن حنبل (٣٤٣/٢) . ورواه البخارى فى كتاب الاستئذان باب (١٢) زنى الجوارح دون الفرج حديث رقم ٥٨٨٩ (٢٣٠٤/٥) وفى كتاب القدر باب ٨ (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لايرجعون) حديث رقم (٦٢٣٨) (٢٤٣٨/٦) صحيح البخارى تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
وكما رواه مسلم فى القدر وأبو داود فى النكاح والترمذى فى الطهارة . راجع مسند الامام أحمد تحقيق أحمد شاكر (٢١٩/١٦) .

(٤) صحيح البخارى (١٦٠/١) كتاب الاذان باب (٣٦) من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد .

(٥) انظر كتاب الايمان لابن تيمية (ص ٢٧٨) .

(×) السنن الكبرى ، أبى بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقى ، المتوفى ٤٥٨هـ ، دار الفكر ـ بيروت .

فالقلب محل النية، والأعمال بالنيات، لأن الايمان تصديق بالقلب، واقرار باللسان، وعمل بالجوارح .

فالقلب اذا سلطان الجسد معنويا ودينيا، كما أن القلب سلطان الجسد صحيا وطبيا .

فأهمية القلب فى الجسد من حيث كونه عضلة تضخ الدم لأجزاء الجسم لايقل عن أهميته ومكانته معنويا، يؤكد ذلك الأطباء، وان كان هذا الأمر من اختصاص الأطباء، لكن خوضى فيه بشكل مبسط لاظهار مدى مطابقة الواقع لما يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم من أنه بصلاح هذه المضغة صلاح الجسد، وبفسادها فساد الجسد كله، وان كان فساد الجسد صحيا لايؤثر عليه دينيا، ولا العكس .

والقلب هو العضلة التى بحجم قبضة اليد الواحدة تقريبا، وهى أقسى وأقوى عضلة فى الجسم، ومن أغرب مضخات العالم، وهو أول أعضاء الجسم تكونا، وآخرها توقفا، يعمل طوال حياة الانسان دون ملل أو كلل سواء كان هذا الانسان مستيقظا أو نائما، يعمل أو لايعمل، فالقلب فى عمل دائم، ويضخ يوميا مايقرب من سبعين نبضة أو ضخة فى الدقيقة الواحدة فى الجسم المتوسط، وفى الحالات العادية مايزيد عن خمسين غراما فى الدقيقة الواحدة، ويتوزع فى أجزاء الجسم كلها بعد خروجه من البطين (١) وهذا

---

(١) حركة الدورة الدموية : (يتم فى حالة الانقباض والانبساط للقلب) ففى مرحلة الانقباض للأذين الأيمن مثلا ينسبط البطين الأيمن، وينغلق الصمام الرئوى، وينفتح الصمام الثلاثى ليمر الدم من خلاله الى البطين الأيمن، وعند انقباض البطين الأيمن ينغلق الصمام الثلاثى، وينفتح الصمام الرئوى الذى يندفع الدم من خلاله للشريان الرئوى، ومنه الى الرئتين . وأثناء انقباض الاذين الأيسر ينغلق الصمام الرئوى، وينفتح الصمام المترالى الذى يسرى الدم من خلاله الى البطين الأيسر، وعند انقباض البطين الأيسر ينغلق الصمام الرئوى، والصمام المترالى، وينفتح الصمام الأورطى، فيندفع الدم من خلاله بقوة انقباض البطين الأيسر الى الشريان الأورطى، ومن ثم الى جميع أجزاء الجسم بكل دقة وتنسيق .

الاعجاز العلمى فى القرآن د. السيد الجميلى (ص ٢٢٠) بتصرف .

الدم لو انقطع عن أى جزء من أجزاء الجسم لاعتبر هذا العضو فى حكم الميت،لاصابته بالشلل سواء كان فى الذراع أم القدم ....الخ .(١)

وبالتالى فانه سيؤدى الى موت الجسد كله لو احتقن الدم مثلا فى أول مكان جريانه ،يتضح ذلك من قوله تعالى مصورا حالة الانسان وقت الخوف :

"إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠" الأحزاب (١٠)

فالدم عند الغضب يندفع ويتجمع فيلتصق بالحنجرة،وقد يفضى الى أن يسد مجرى التنفس فلايقدر المرء على أن يتنفس،ويموت من الخوف .(٢)

ونظرا لأهمية القلب ومكانته فى الجسم كان محل الفكر والعقل الذى كرم به الانسان،كما أنه قلب واحد فى كل انسان ،فقد أثبت الطب بعد فحص ملايين الأجنة من البشر أنه لايوجد قلبان لشخص واحد،(٣) وصدق الله اذ يقول : " مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ" الأحزاب (٤)

أما مالم يتوصل اليه العلماء،وهو معرفة سر عمل القلب ودقة عملية ضخ الدم بهذه القوة،والدقة،والتنظيم،والكمية،وعدد النبضات الثابت تقريبا لكل البشر فى مراحل العمر المختلفة ،وفى الظروف العادية ،فكل ذلك من أسرار الخلق والابداع،ومن آيات عظمته وقدرته تعالى .

ونستطيع القول بأن القلوب موطن الهداية لقوله تعالى :

" وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ " التغابن (١١)

---

(١) قصة الايمان بين الفلسفة والقرآن (ص ٤١٩) بتصرف .
كذلك معجزة القرآن (ص ١٦٩) بتصرف .

(٢) انظر تفسير الرازى (١٩٩/٢٥) .

(٣) الطب الاسلامى شفاء بالهدى القرآنى د. محمود نجيب (ص ٣٩) بتصرف .

وهداية القلب تكون من الله،ولذا لاتزول ان شاء الله لأن هاديهما لايزول،وفيها يكتب الايمان :

"أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ" المجادلة (٢٢)

وبها تكون السكينة : " هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ" الفتح (٤)

كما أنها موطن الحب قال تعالى : " وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ...". الحجرات (٧)

وموطن الألفة ،قال تعالى : " وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" .

الأنفال (٦٣)

وهى موطن الطمأنينة قال تعالى : " أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ " .

الرعد (٢٨)

وقوله تعالى : " وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " . النحل (١٠٦)

هذه صفات قلوب المؤمنين،وهناك صفات قلوب الكافرين،منها قوله تعالى : " ... فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ " الصف (٥)

وقوله تعالى : " فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون " . البقرة (١٠)

وقوله تعالى : " خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " . البقرة (٧)

وقوله تعالى : " أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ" محمد (٢٤)

وقوله تعالى : " كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ " .

المطففين (١٤)

وقد يطلق الصدر والمراد منه

القلب : " أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ " .
الزمر (٢٢)

وقوله تعالى : " رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي " طه (٢٥)

رابعا : العقل وتكريم الله الانسان به .

والعقل فى اللغة : العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد يدل عظمه على حبسة فى الشىء أو مايقارب الحبسة ، من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل، وقيل : ان العقل نقيض الجهل يقال: عقل يعقل عقلا اذا عرف ماكان يجهله من قبل، أو انزجر عما كان يفعله، وجمعه عقول ، ورجل عاقل، وقوم عقلاء وعاقلون، ورجل عقول اذا كان حسن الفهم وافر العقل . وماله معقول أى: عقل .[1]

وقيل أيضا العقل : الحجر والنهى، ورجل عاقل وعقول . والعقل الدية .[2]

وفى لسان العرب العقل الحجر، والنهى ضد الحمق ، والجمع عقول، والعقل : التثبت فى الأمور ، والعقل القلب ، والقلب العقل ، وسمى العقل عقلا : لأنه يعقل صاحبه من التورط فى المهالك أى: يحبسه ، وقيل: العقل هو التمييز الذى به يتميز الانسان عن سائر الحيوانات ، وعقل الشىء يعقله عقلا : أى: فهمه .[3]

ويقول الأصفهانى : العقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة: العقل أيضا .[4]

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦٩/٤ - ٧١) بتصرف .
(٢) الصحاح (١٧٦/٥ - ١٧٧) بتصرف .
(٣) لسان العرب (٤٥٨/١١ - ٤٦٠) بتصرف .
(٤) مفردات غريب القرآن (ص ٣٤١) .

ويقول الامام أبوحامد الغزالي : العقل يطلق على أربعة معان :

(١) الوصف الذى يفارق الانسان به عن سائر البهائم، وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية، وتدبر الصناعات الخفية الفكرية .

(٢) العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد .

(٣) علوم مستفادة من التجارب بمجارى الأحوال، فان من حنكته التجارب، وهذبته المذاهب يقال: انه عاقل فى العادة، ومن لايتصف بهذه الصفة يقال: انه غير عاقل .

(٤) أن تنتهى قوة تلك الغريزة الى معرفة عواقب الأمور، وتصحيح الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة، وقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا .(١)

وقيل أن العقل : العلم بالمدركات الضرورية، وذلك نوعان :

أحدهما : ماوقع عن درك الحواس مثل المرئيات المدركة بالنظر، والأصوات المدركة بالسمع .... الخ .

ثانيهما : ماكان مبتدأ فى النفوس كالعلم بأن الشئ لايخلو من وجود أو عدم، وأن الموجود لايخلو من حدوث أو قدم، وأن من المحال اجتماع الضدين، وأن الواحد أقل من الاثنين ، فاذا صار عالما بالمدركات الضرورية من هذين النوعين فهو كامل العقل .(٢)

ويقول الشيخ ابن تيمية(٣) رحمه الله : " العقل هو أمر يقوم بالعاقل

---

(١) احياء علوم الدين (١/٧٥ - ٧٦) بتصرف . باب بيان حقيقة العقل وأقسامه .

(٢) كتاب الدين والدنيا، وضع الحاج عباس كرارة (ص ٨٠) بتصرف يسير مكتبة الحرمين ، مكة الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ .

(٣) (٦٦١ - ٧٢٨هـ) .

هو شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الخضر بن تيمية . النمرى ، الحرانى ، العالم الربانى ، سيد الحفاظ ، مفتى الأمة ، حجة الله على عباده الجامع بين العلوم النقلية =

سواء سمى عرضا أو صفة، ليس هو عينا قائمة بنفسها سواء سمى جوهرا أو جسما أو غير ذلك "[1].

وأيا كان المراد من العقل فالذى يعنينا هو أن العقل هو الذى كرم الله به الانسان عن سائر المخلوقات، قال تعالى :

" ولقد كرمنا بنى آدم ...." الاسراء (٧٠)

يقول الامام القرطبى : " العقل الذى هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله، ويفهم كلامه، ويوصل الى نعيمه، وتصديق رسله "[2].

وبالعقل كان التكليف[3]، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " ان القلم رفع عن ثلاثة عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبى حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ "[4].

وبالعقل تدبر الأمور، وتحصل العلوم، ومن هنا قيل لاعقل كالتدبير، ويرجع مدار التكليف والثواب والعقاب على العقل، فما كلف الله المجانين، ولامن فى حكمهم، ومن ثم ذكر الله العقل فى آيات معدودات من القرآن الكريم، وبين منزلته، وتكريم الله الانسان به، ومايترتب على ذلك من فوائد العلوم، والنواحى العملية، والتقدم فى شتى العلوم مداره على العقل .

= والعقلية بأنواعها . ومذاهب أهل الملل والنحل، وآراء المذهب، ومقالات الفرق ؛مع بيان حقيقة الشريعة المطهرة على الوجه الصحيح، وقوة الحكم فى احقاق الحق بالحجج والبراهين، ونصر مذهب السلف على من خالفه من سائر المضلين .

من مقدمة كتاب مجموع فتاوى ابن تيمية (ج ١) .

(١) انظرمجموعة فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن ابن محمد النجدى (٢٧١/٩) . الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين طبع ادارة المساحة العسكرية بالقاهرة ١٤٠٤هـ .

(٢) انظر تفسير القرطبى (٢٩٤/١٠) .

(٣) قصة الايمان بين الفلسفة والقرآن (ص ٢١٨) .

(٤) صحيح البخارى (٦٦٩/٦) كتاب الطلاق باب (١١) (الطلاق فى الأغلاق والمكره والسكران والمجنون) .

كما أنه سبحانه الذى أبدع هذا العالم لم يلق مفاتيح ابداعه للبله والحمقى، انما ألقاها للعالمين الأذكياء (١) ،فقال تعالى :

"... وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ " العنكبوت (٤٣)

وقد ذكر سبحانه لفظ العقل وأشاد بالذين يعقلون، ويتفكرون فى الخلق فيؤمنون بالخالق فى عدة آيات من سورة النحل ،فقال سبحانه :

١- " وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (١٢)

فكل من كان له عقل صحيح سليم علم أن الله سبحانه وتعالى هو الفعال والمسير لكل تلك الأفلاك من شمس وقمر ونجوم، وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما أراده (٢) . وقد علق كل ذلك على العقل ، ذلك لأن أصحاب العقول يتدبرون، ويتأملون، ويعقلون أن وراء الظواهر، وسافيها من سنن وقوانين مدبر عليم حكيم (٣) .

قال سبحانه فى الآية (٦٧) :

٢- " وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" .

فذكر سبحانه العقل الذى هو أشرف مافى الانسان ،وحرم على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها (٤) .

وفى الآية الكريمة اشارة الى كراهية المسكر، كما أن هذه الآية نزلت قبل تحريم الخمر (٥) .

وكما يقول الشيخ الألوسى : " ان فى الآية اشارة الى الحط من أمر

---

(١) انظر نظرات فى القرآن ،محمد الغزالى (ص ١٣٦) . دار الكتب الحديثة ،مصر ، الطبعة الرابعة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

(٢) تفسير الخازن (٨٢/٤) بتصرف .

(٣) فى ظلال القرآن (٥٠/١٤) بتصرف .

(٤) تفسير ابن كثير (٦٢٣/٢) .

(٥) تفسير القرطبى (١٢٨/١٠) بتصرف .

المسكر، ففى الختم المذكور تقوية لذلك، وله فى النفوس موقع وأى موقع[1] .

والقرآن الكريم فى كثير من آياته يوجه النظر، ويحث الفكر، ويستجيش الانسان على التدبر والتعقل والتبصر فى آيات الله الكونية[2].

ومن ذلك قوله سبحانه فى سورة النحل :

٣- " يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" . (١١)

فذكر سبحانه النعم المترتبة على وجود المطر، ومن ذلك كونه أحد أسباب انبات النبات، واستمرار حياته بارادة الله ، وختمها بقوله : " لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" تنبيها للقائل المتبلد الحس ان هذا الانبات انما حدث بسبب توفر الظروف المهيئة لذلك، والذى أعدها المزارع ، لكن العاقل المفكر يعرف مدى خطأ هذا القول ، وأن وراء انتظام مافى الكون وتدبيره خالق مدبر حكيم خبير هو الله[3] .

لذا أقول : ان الله سبحانه وهب عباده نعمة من أجل نعمه عليهم، وهى نعمة العقل ، فيها الدليل القاطع على وجوده سبحانه، وعلى تفرده بالخلق ، واذا كان أكثر الناس لايؤمنون الا بالمشاهد المحسوس ، فان عقولهم تشهد بوجود مبدع هذا الكون ، فعليهم وعلى عقولهم أن يخروا سجدا له عز وجل ، ويقروا بوحدة ألوهيته، ووحدة ربوبيته ، ويثقوا أن العقل المهتدى يدرك أنه لم يوجد بذاته، بل وجد بموجد أوجده .

ومن الآيات المذكورة فى سورة النحل والتى تحث الانسان على التفكر قوله تعالى :

٤- "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِى إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" . (٤٣ - ٤٤)

---

(١) تفسير الألوسى (١٨١/١٤) .

(٢) الاسلام والنظر فى آيات الله الكونية (ص ٤١) بتصرف .

(٣) تفسير الرازى (٢٤٠/١٩) بتصرف .

فيذكر سبحانه أن محمدا صلى الله عليه وسلم بشر مثل غيره من الأنبياء أرسله الله بالبينات والحجج والدلائل الموجودة في القرآن التي يوضحها الرسول صلى الله عليه وسلم، ويفصل ما أجمل منها، لعل الناس يتفكرون فيما أنزل اليهم، وما وضحه الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعملون بما أمر به، ويجتنبون مانهى عنه، فيفوزوا في الدنيا والآخرة (١) .

وقوله سبحانه حاثا عباده على التفكر في عظيم خلقه للنحل، والنعم المترتبة على وجودها :

"وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" . (٦٨ - ٦٩)

ففي هذا الابداع والدقة في عمل النحل من حيث جمع الرحيق، وتحويله الى عسل، ومن ثم خروجه من بطونها محتويا خصائص عظيمة مما جعله غذاء وشفاء لبعض الأمراض، وهذه كلها آيات وعلامات دالة على الخالق سبحانه وتعالى يعرفها المتفكرون الذين يعتبرون، ومن العبرة في النحل انصاف النظر، والطاف الفكر في عجيب أمرها (٢) .

وأورد سبحانه أيضا لفظ التذكر في سورة النحل فقال :

" وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ " . (١٣)

فما خلق الله تعالى في الأرض، وما أودع فيها للبشر من مختلف النعم، والمخلوقات مختلف الألوان بشكل بديع يمتع النظر، ويجلب السعادة، وفي

---

(١) تفسير ابن كثير (٦١٨/٢ - ٦١٩) بتصرف .
كذلك تفسير الخازن (٩٢/٤) بتصرف .

(٢) تفسير القرطبي (١٤٠/١٠) بتصرف .

كل ذلك آية وعلامة على وحدانية المبدع الخالق يذكرها المؤمنون الذين لا ينسون يد القدرة التى خبأت لهم هذه الكنوز [١].

وقوله تعالى : "يذكرون" أى يتعظون، وختم هنا بالتذكر لمزيد الدلالة على وحدانية الله، فمن شك بعد ذلك فلا حيلة له، وقد قيل أن من تذكر اعتبر، ومن اعتبر استدل على المطلوب [٢]. ومعول ذلك كله العقل.

وقد جعل سبحانه العقل للدين أصلا، وللدنيا عمادا، لأن العقل وجد لتحصيل العلم، والعمل به فى الدنيا والآخرة، وبالتالى جعل الانسان العاقل مكلفا (أى: أن العقل مناط التكليف، لأنه رشد يميز بين الهداية والضلال، وفيه الروية، والتدبير، ومن ثم فهو موصول بكل حجة من حجج التكليف، وكل أمر بمعروف، وكل نهى عن منكر. قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " ان القلم رفع عن ثلاثة عن المجنون حتى يفيق وعن الصبى حتى يدرك وعن النائم حتى يستيقظ " [٣].

فمن أعمل عقله، كما أراد الله، واستفاد منه بأن فكر فيما حوله من عظيم صنع الله، فانه سيتوصل الى معرفة وحدانية الله تعالى، ومن ثم شكره.

ومن أمثلة ذلك تفكر الانسان فى خلق السموات والأرض، كما يتضح من قوله تعالى : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " آل عمران (١٩٠-١٩١)

قال القرطبى فى تفسيره : ان المراد من قوله (يتفكرون) يتفكرون فى قدرة الله تعالى ومخلوقاته، والعبر التى بث ليكون ذلك أزيد فى بصائرهم.

---

(١) تفسير الظلال (١٤/٥٠) بتصرف.

(٢) تفسير الشوكانى (٣/١٥٢) بتصرف.

(٣) صحيح البخارى (٦/١٦٩) كتاب الطلاق باب (١١) (الطلاق فى الاغلاق والمكره والمجنون).

وقد قال الحسن البصري [١] : " تفكر ساعة خير من قيام ليلة " [٢] .

والتفكر وغيره من الوظائف العقلية هي من معطيات التعقل [٣] .

ومن عطل هذه العمليات، والوظائف العقلية عن أداء وظيفتها، والتوصل الى معرفة الله كان مقصرا ،وفي حكم من لاعقل له لعدم انتفاعه بهذه النعمة – نعمة العقل، وغيرها من الحواس – يتضح ذلك من قوله تعالى على لسان الكافرين الذين لم يستفيدوا من عقولهم في معرفة الله :

" لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَاكُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" الملك (١٠)

أي: أنهم قالوا: لو كنا نسمع في الدنيا، أو نعقل من النذر ماجاءونا به من النصيحة، أو نعقل عنهم ماكانوا يدعوننا اليه، ماكنا في أصحاب السعير [٤] .

قال ابن عباس في تفسير الآية : ان المشركين يقولون لو كنا نسمع الهدى، أو نعقله، أو لو كنا نسمع سماع من يعي ويكفر، أو نعقل عقل من يميز وينظر، ماكنا في أصحاب السعير [٥] .

وكلما ازداد الانسان تفكرا في مخلوقات الله ازداد ميلا في اليقين بوجوده ووحدانيته ،يقول كريس موريسون : " ان الانسان وحده هو الذي

---

(١) الحسن البصري هو : حسن بن أبي الحسن يسار البصري ،الأنصاري مولاهم ثقة فقيه فاضل مشهور مات سنة ١١٠هـ . وقد قارب التسعين . من تقريب التهذيب ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، دار المعارف ،بيروت .

(٢) تفسير القرطبي (٣١٣/٤ – ٣١٤) بتصرف .

(٣) الانسان في القرآن الكريم من البداية الى النهاية ،عبدالكريم الخطيب (ص ٢٩) دار الفكر العربي ،الطبعة الأولى ١٩٧٩م .

(٤) انظر تفسير الطبري (٤/٢٩) .

(٥) انظر تفسير القرطبي (٢١٢/١٨) .

أوتى عقلا بلغ من التطور أنه يستطيع أن يفكر به تفكيرا عاليا [(١)] . ومن ذلك قول الامام الغزالى عن العقل : " اعلم أن هذا مما لايحتاج الى تكلف فى اظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل ، والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه ، والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة، والنور من الشمس" [(٢)] .

ويىنقسم العقل الى قسمين :

(١) عقل غريزى وهبه الله للانسان مع خلقته وتكوينه، وهو الذى فضل به عن بقية المخلوقات .

(٢) عقل مكتسب يكون نتيجة لخبرة الانسان، وطول تجاربه، وكثرة المعلومات التى يحصل عليها، ويستنتج منها مايجعله متقدما متطورا فى حياته [(٣)] .

والمعروف أن الانسان يؤمن بوجود العقل ووظائفه وأقسامه، وغير ذلك مما يتعلق به، مع أنه لم يعرف أحد ماهية العقل، ولم يؤكد أحد موقعه فى جسم الانسان ، ولاتراه العين ولاتدركه الحواس، ومع ذلك يجزم بوجوده، وهذا يدفع بالمسلم الى أن يؤكد وجود الله لكل ملحد منكر لوجود الله بدعوى عدم رؤيته الله فى الدنيا ، كما حصل فى الحوار الذى تم بين مسلم وملحد فى أحد المؤتمرات فى نيويورك حيث قال الملحد : ان أصحاب الأديان يقولون ان لهذا الكون خالقا، ولكنا لانراه بأعيننا، ولانسمعه بآذاننا، ولانحسه بحاسة من حواسنا فكيف نؤمن به ؟ وقد رد عليه المسلم بادئا بسؤال الملحد : هل أنت عاقل أم مجنون ؟ وبعد أن غضب الملحد أجاب بالقول : أنا عاقل ، فقال المسلم : ان العقل الذى تصف نفسك به

---

(١) انظر العلم يدعو للايمان (ص ١٣٢) .

(٢) انظر احياء علوم الدين (٧٣/١) باب بيان شرف العقل .

(٣) نعم الله فى خلق الانسان كما يصوره القرآن الكريم (ص ١٢٤) .

لانراه بأبصارنا، ولانسمعه بآذاننا، ولايقع تحت حاسة من حواسنا، فلو ذهبنا مذهبك فى انكار مالايقع تحت حواسنا، ونفى وجوده لحكمنا بأنك مجنون ،فاستحسن الجمهور محاجته لخصمه (١) .

ومثل هذا الافحام حصل مع الامام على رضى الله عنه مع ملحد . حيث قال الملحد لعلى رضى الله عنه : هل أبصرت ربك ؟ قال الامام : سبحان ربى لاتدركه الأبصار،قال الملحد : هل أحسسته باحدى حواسك ؟ قال الامام سبحان ربى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ،قال الملحد : فان لم تكن أحسسته، ولا أبصرته فمن أين تثبت أنه موجود ؟ قال الامام : ياهذا هل أبصرت عقلك ؟ قال الملحد : لا ،قال الامام : هل سمعت عقلك ؟ قال الملحد : لا ،قال الامام : هل أحسسته ببعض حواسك ؟ قال : لا ،قال هل أنت عاقل أم مجنون ؟ قال : أنا عاقل . قال الامام : فأين عقلك ؟ قال : موجود،قال : كذلك الله تعالى موجود (٢) .

نعم ان الله تعالى الخالق المبدع لانراه فى الدنيا بحواسنا وأعيننا، ولكن ندركه، ونؤمن بوجوده بعقولنا ،ذلك لأن آيات وجوده نراها فى كل شئ بعيوننا، ولكننا لانفطن اليها اذا لم نتأملها بعقولنا، ان كل ما بالوجود يقول : لقد خلقنى رب قدير حكيم أفلا تسمعون ؟ ومافى الأرض من ابداع واتقان، وجمال، ونظام يقول لنا : أفلا تبصرون ؟ وآثار الدقة فى الصنع تدل على اتصاف الصانع بالقدرة والحكمة . كما أن عظمة الكون تدل على اتصاف خالقه بالقوة والعظمة، وآثار رحمته تعالى من نعم ومتع تدل على اتصافه بالرأفة والرحمة (٣) .

قال تعالى : " مَاتَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِير" .

الملك (٣ - ٤)

---

(١) كتاب الايمان بالبرهان ،عبد الجواد رجب (ص ١٥١ - ١٥٢) بتصرف .

(٢) انظر نفس المرجع السابق (ص ١٤٩ - ١٥٠) .

(٣) انظر معجزة القرآن (ص ٩١) .

خامسا : نعمة البنين والحفدة .

البنين فى اللغة :

بنو : الباء والنون والواو كلمة واحدة، وهو الشئ يتولد عن الشئ كابن الانسان وغيره ،وأصل بنائه بنو، والنسبة اليه بنوى، وكذلك النسبة الى بنت، والى بنيات الطريق . فأصل الكلمة ماذكرناه، ثم تفرع العرب فسمى أشياء كثيرة بابن كذا، وأشياء غيرها ببنت كذا فيقولون ابن ذكاء الصبح، وذكاء الشمس، لأنها تذكو، كما تذكو النار ،ويقولون للمسافر ابن السبيل، وابن ليل : صاحب السرى، وابن عمل: صاحب العمل الجاد ....الخ (١) .

وفى الصحاح : الابن أصله بنو : والذاهب منه واو، كما ذهب عن أب وأخ لأنك تقول: مؤنثة بنت وأخت، ولم نر هذه الهاء تلحق مؤنثا الا، ومذكره محذوف الواو (٢) .

وقيل الابن : الولد، والجمع أبناء ،والأنثى ابنة وبنت (٣) .

وفى بصائر ذوى التمييز : وابن أصله بنى لقولهم فى الجمع أبناء، وفى التصغير بنى ،وسمى بذلك لكونه بناء للأب، فان الأب قد بناه ،ويقال لكل مايحصل من جهة شئ أو من تربيته أو بتفقده أو كثرة خدمته له، وقيامه بأمره هو ابنه، وجمع ابن أبناء وبنون ،ومؤنثه: ابنة وبنت، والجمع بنات (٤) .

أما الحفدة فى اللغة :

الحاء والفاء والدال أصل يدل على الخفة فى العمل، والتجمع

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣٠٣/١ - ٣٠٤) .
(٢) الصحاح (٢٢٨٦/٦) .
(٣) لسان العرب (٨٦/١٤) .
(٤) بصائر ذوى التمييز (٢٧٧/٢ - ٢٧٨) بصيرة فى البنيان .

فالحفدة : الأعوان لأنه يجمع فيهم التجمع والتخفف ،واحدهم حافد، والسرعة الى الطاعة حفدة، ولذلك يقال فى دعاء القنوت "اليك نسعى ونحفد" (١) .

وقيل الحفد : السرعة تقول : حفد البعير، والظلم حفدا وحفدانا، وهو تدارك السير، وبعير حفاد. والحفدة : الأعوان والخدم، وقيل: ولد الولد، واحدهم حافد، ورجل محفود : أي: مخدوم ،وسيف محتفد : سريع القطع، والجمع محافد (٢) .

وفى لسان العرب : الحفد والحفدة : الأعوان والخدمة، واحدهم حافد، وحفدة الرجل بناته . وقيل : أولاد أولاده، وقيل الأصهار، والحفيد ولد الولد، والجمع حفداء .

وقيل : الحفدة : بنو المرأة من زوجها الأول . وقيل : الحفدة من خدمك من ولدك وولد ولدك ،والحفدة: ولد الولد . وعند العرب كل من عمل عملا أطاع فيه وسارع فهو حافد (٣) .

وقد ذكر تعالى نعمة وجود البنين والحفدة مرة واحدة فى سورة النحل ،كما ذكر لفظ البنات أيضا مرة واحدة .

قال تعالى :

"وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ" .

(٧٢)

يذكر تعالى نعمه على عباده بأن جعل لهم من جنسهم أزواجا يستأنسون بهن، لأن الجنس يأنس الى جنسه ،ويستوحش من غير جنسه، وبسبب

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٨٤/٢) .
(٢) الصحاح (٤٦٦/٢) .
(٣) لسان العرب (١٥٣/٣) .

ذلك الأنس يقع بين الرجال والنساء ماهو سبب للنسل الذى هو أحد مقاصد الزواج[1] .

ثم انه تعالى جعل من الأزواج البنين الذين هم زينة الحياة الدنيا . كما فى قوله تعالى :

" الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا " . الكهف (٤٦)

كما أن من ثمار الزواج وجود الحفدة . وان اختلف فى المراد منه قال سعيد بن جبير : " بنين وحفدة قال : الحفدة الأختان[2][3] " .

وعن ابن عباس حفدة قال : الأصهار . وقال عكرمة فى قوله : بنين وحفدة قال : الحفدة (من خدمك من ولدك، وولد ولدك[4]) . وهى فى الآية معطوفة على البنين فيقتضى ذلك ان الحفدة من جملة ما من الله به على الرجال من ازواجهم ليكونوا عوانا لهم ، وهذا يشمل أولاد الزوج وأولادهم وأولاد الزوجة من غير الزوج وأقاربها . (٥)

(فيمكن القول بأن الله جعل لكم من الأزواج أولادا هم بنون، وهم حافدون أى: جامعون بين هذين الأمرين[6]) .

أو أنهم (الحفدة) الأعوان الذين حصلوا للرجل من قبل المرأة سواء كانوا الأختان أو الأصهار أو أولاد الأولاد[7] .

وقد رجح كثير من العلماء أن المراد من الحفدة فى الآية الكريمة أولاد الأولاد، لأنه تعالى امتن على عباده بأن جعل لهم من الأزواج بنين

---

(١) تفسير الشوكانى (١٨٧/٣) بتصرف .

(٢) الأختان : هم أزواج البنات من الأزواج والخدم اذا كانوا يحفدون الشخص فيستحقون اسم الحفدة . تفسير الطبرى (٩٨/١٤) .

(٣) تفسير الطبرى (٩٦/١٤) .

(٤) نفس المرجع السابق (٩٧/١٤ – ٩٨) .

(٥) تفسير ابن عباس ومروياته فى التفسير من كتب السنة الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدى (٢/ ٥٣٦)، مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى ، الكتاب (٥٣) جامعة أم القرى .

(٦) تفسير الالوسى (١٤ / ١٩٠) .

(٧) تفسير الرازى (٢٠ / ٨٣) .

وحفدة والحفدة معطوفون على البنين ،وتقدير الآية :وجعل لكم من أزواجكم بنين،ومن البنين حفدة[1] . وكما أنه سبحانه فى سياق امتن على عباده، وذكرهم بنعمة المطاعم والمشارب التى رزقهم اياها منكرا على من أشرك فى عبادة المنعم غيره من الأصناف التى أضافوا ايجاد النعم اليها[2] .

وقد جاء لفظ البنات فى قوله تعالى منكرا ألوان الباطل التى كان عليها المشركون من القول بأن الملائكة بنات الله فقال سبحانه :

" وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ" النحل (٥٧)

فقد نزه تعالى نفسه عما نسبوه اليه من اتخاذ الأولاد وان كانوا قد نسبوا الذكور اليهم على حسب أهوائهم[3] .

ومن عظيم نعم الله على عباده أن غرز فيهم حب انجاب الأبناء وهذه الغريزة تنشط فى كل من الذكور والاناث بمجرد بلوغهما فيبحث كل منهما عن الآخر ليكون التزاوج الذى من ثماره انجاب الأبناء والتمتع بهم .

قال تعالى : " زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ" ابراهيم (٣٢)

وقال تعالى : " الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا" الكهف (٤٦)

فالبنون زينة الحياة الدنيا،وقرن تعالى ذكر البنين بالمال، لأن فى المال جمالا ونفعا ، وفى البنين قوة ودفعا[4] .

وقال على كرم الله وجهه : " المال والبنون حرث الدنيا، والأعمال الصالحة حرث الآخرة ،وقد يجمعهما لأقوام "[5] .

---

(١) تفسير الشوكانى (١٧٨/٣ – ١٧٩) بتصرف .
(٢) تفسير ابن كثير (٦٢٦/٢) بتصرف .
(٣) تفسير القرطبى (١١٦/١٠) بتصرف .
(٤) تفسير القرطبى (٤١٣/١٠) بتصرف .
(٥) انظر تفسير الخازن (٢١٤/٤) .

والاسلام لايمنع التمتع بالزينة فى حدود الطيبات، ومع التزام طاعة الله لأنهما زينة الحياة مع خيرية الباقيات الصالحات (١) .

والانسان انما يحرص على انجاب الأولاد لأنهم زينة الحياة، أوللتفاخر بهم، أو للتقوى بهم، وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ممن يعبد الله وحده لاشريك له ،وهو أمر محبب يحث عليه الشرع (٢) .

فقد جاء رجل الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: انى أصبت امرأة ذات حسب ومنصب الا أنها لاتلد أفأتزوجها ؟ فنهاه ثم أتاه الثانية فنهاه فقال : تزوجوا الولود (٣) الودود (٤) فانى مكاثر بكم (٥) " .

كما أنه دعا لخادمه أنس رضى الله عنه بكثرة الولد ،روى عن أنس أنه قال : قلت يارسول الله أنس خادمك ادع الله له،قال :"اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته (٦) " .

ويستحب الدعاء بطلب الولد الصالح لما يرجى فيهم من الفائدة والخير والعون وغيره من أوجه المنافع (٧) .

يتضح ذلك من دعاء زكريا عليه السلام فى طلب الولد الصالح، والحاحه فى ذلك الدعاء بثلاثة صيغ (٨) :

---

(١) تفسير الظلال (٩٦/١٥) بتصرف .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٦٥/١) بتصرف .

(٣) الولود : كثير الولد .

(٤) الودود : كثير المحبة للزوج .

(٥) سنن النسائى (٦٦/٦) كتاب النكاح (١١) .وهو حديث صحيح قاله الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (٤٠/٣) حديث رقم (٢٩٣٨) المكتب الاسلامى ،بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٦) صحيح البخارى (١٦١/٧) كتاب الدعوات باب (٤٧) (الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة) .

(٧) تفسير ابن كثير (٢٧٥/١) بتصرف .

(٨) تفسير الألوسى (١٤٥/٣) .

(١) الصيغة الأولى في قوله تعالى :

"هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين" .

آل عمران (٣٨ - ٣٩)

فدعا ربه أن يعطيه ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا، والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والأنثى، والمراد بها في الآية الواحدة، وإنما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية (١) .

(٢) الصيغة الثانية قوله تعالى :

" ذكر رحمت ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفيا . قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا " . مريم (٢ - ٧)

فقد دعا زكريا ربه - الذي لم يرد له طلبا من قبل - أن يرزقه ولدا صالحا يرث النبوة من بعده يسوس الناس بنبوته، ولهذا قال " ويرث من آل يعقوب " واجعله رب مرضيا عندك وعند خلقك تحبه، وتحببه الى خلقك في دينه وخلقه، فاستجاب الله لدعائه، وبشره بيحيى (٢) .

(٣) الصيغة الثالثة : قوله تعالى :

"وزكريا إذ نادى ربه ، رب لاتذرني فردا وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين " .

الأنبياء (٨٩ - ٩٠)

---

(١) تفسير الخازن (٣٤٢/١ - ٣٤٣) بتصرف .

(٢) تفسير ابن كثير (١١٩/٣) بتصرف .

فقد نادى ربه حال كونه منفردا وحيدا لاولد له ولاوارث فقال : أنت حسبى ان لم ترزقنى ولدا، فانى أعلم انك لاتضيع دينك، وانه سيقوم بذلك من عبادك من تختاره له وترضاه للتبليغ فاستجاب الله دعاءه، ووهب له يحيى، وأصلح زوجته بعد أن كانت عاقرا، وجعلها الله ولودا (١) .

وقوله تعالى : " وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا " الفرقان (٧٤)

قال الحسن البصرى : " لاوالله لاشئ أقر لعين مسلم من أن يرى ولدا أو أخا أو حميما مطيعا لله عز وجل " (٢) .

فتكون هذه الذرية قرة أعين لآبائها فى الدنيا لمشاركتهم لهم فى طاعة الله، والعون لهم على وظائف الدين والدنيا، وفى الآخرة بصحبتهم لهم فى الجنة باجتماع بعضهم الى بعض (٣) .

قال الحسن البصرى، ومجاهد، وعكرمة : " فان المؤمن الصادق اذا رأى أهله قد شاركوه فى الطاعة قرت بهم عينه، وسر قلبه، وتوقع نفعهم فى الدنيا حيا وميتا، ولحوقهم به فى الآخرة " (٤) .

ودعاء الذرية لوالديها يصلهما بعد وفاتهما، فصلاح أو فساد الأبناء يؤثر على حياة الآباء فى الدنيا والآخرة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم " اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة : الا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " (٥) .

---

(١) انظر تفسير الشوكانى (٣/٤٢٥) .
(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/٣٤٥) .
(٣) تفسير الرازى (٢٤/١١٤) بتصرف .
(٤) انظر تفسير الألوسى (١٩/٥٢) .
(٥) صحيح مسلم (٢/١٢٥٥) كتاب الوصية باب مايلحق الانسان من الثواب بعد وفاته باب رقم (٣) .

والولد الصالح يكون نتاج تربية الوالدين له - غالبا - التربية الصالحة، والوالدان قدوة لأبنائهما، وصورتهما تنطبع على أبنائهما[1] .

لذا اهتم الاسلام بالطفل، وصلاحه من قبل مولده ،فحث الزوج على اختيار الزوجة الصالحة التى يضمن بصلاحها صلاح الأبناء . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك "[2] .

وأكد الاسلام الاهتمام بتربية الولد فى مرحلة الطفولة بشكل خاص، لأن المولود البشرى هو أطول المواليد - من مخلوقات الله - اعتمادا فى طفولته على أبويه، فتمتد هذه المرحلة لسنوات بعكس بقية المخلوقات، ومن ثم فانه يتأثر بهذه المرحلة ،ويبقى هذا الأثر منطبعا على شخصيته لفترة طويلة ،فهذه هى الفترة المثلى فى حياة الطفل[3] . لذا كان واجب الوالدين الاهتمام بتربية الطفل من جميع النواحى دينيا وخلقيا وتعليميا وصحيا ...الخ .

قال صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء[4] "[5] .

كان عمر بن أبى سلمة يقول : كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدى تطيش فى الصحفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ياغلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت تلك

---

(١) تفسير الظلال (١٧٨/٢) بتصرف .

(٢) صحيح البخارى (١٢٣/٦) كتاب النكاح باب الأكفاء فى الدين باب رقم (١٥) .

(٣) تفسير الظلال (٧٨/٢)بتصرف .

(٤) جدعاء : مقطوعة الأذن وهو من الاحساس والمراد به العلم بالشىء يريد أنها تولد لاجدع فيها وانما يجدعها أهلها بعد ذلك .
فتح البارى (١٦٤/٣) .

(٥) صحيح البخارى (١٠٤/٢) كتاب الجنائز باب ماقيل فى الأولاد المشركين رقم (٩٣)

طعمتى بعد "[1] .

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع "[2].

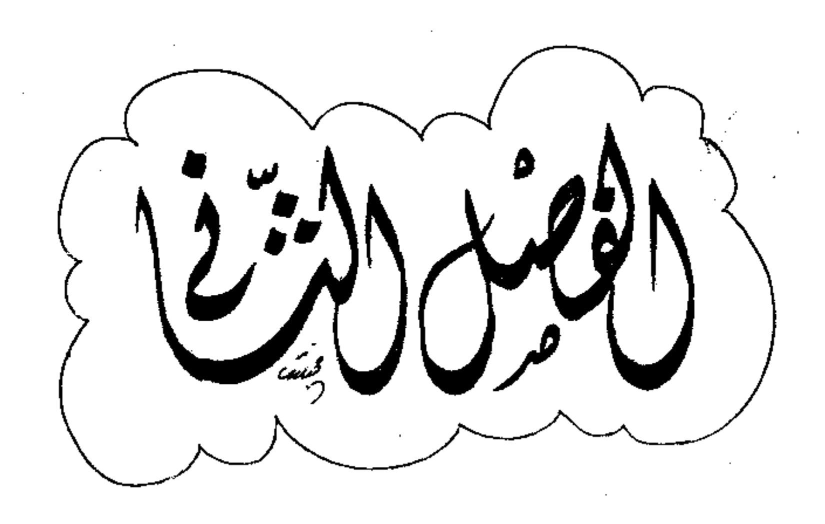
من كل ذلك نعلم أن الأبناء والأحفاد (أبناء الأبناء) هم ثمرة الحياة، وزهرتها، وبغية الأسرة، وهدف من أهدافها، وان ذلك يتمشى مع الفطرة، والاسلام يحث على طلب النسل، ويأمر بحب الأبناء والأحفاد، وتربيتهم تربية رشيدة، آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، ناصرين لدينه ورسوله مجاهدين فى سبيله، رافعين لشأن الأمة أقوياء بالله وبقرآنه، عندئذ ترشد الأمة وتسود على سائر الأمم .

"رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم " . البقرة (١٢٨)

---

(١) صحيح البخارى (١٩٦/٦) كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام والأكل باليمين رقم (٢) .

(٢) سنن أبى داود (٣٣٤/١) كتاب الصلاة ٢٦، تحقيق عزت عبيد دعاس الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .
والحديث صحيح (راجع صحيح الجامع الصغير للألبانى) .


الفصل الثاني

اللِّسَان

توضيح نعمة خلقه - اختلاف اللغات عن طريقه - نعمة البيان الذى يمتاز به الإنسان - إبراز قدرة الله فى تمكين المسلمين فى النطق بالقرآن مع اختلاف لغاتهم شهادته فى الدنيا والآخرة - غير ذلك من النعم شواهد ذلك من الآيات والدلالة على توحيد الله عزّ وجلّ .

الفصل الثانـــى

اللســــــان

توضيح نعمة خلقه ـ اختلاف اللغات عن طريقه ـ نعمة البيـــــــان الذى يمتاز به الانسان ـ ابراز قدرة الله فى تمكين المسلمين مـــن النطق بالقرآن مع اختلاف لغاتهم ـ شهادته فى الدنيا والآخــــرة غير ذلك من النعم ـ شواهد ذلك من الآيات والدلالة على توحيـــــد الله عز وجل .

اللسان فى اللغة :

اللام والسين والنون أصل صحيح واحد يدل على طول لطيف غير بائـــن فى عضو أو غيره ،ومن ذلك اللسان ،معروف ،وهو مذكر،والجمع ألســـن، فاذا أكثر فهى الألسنة يقال لَسَنْتُهُ: اذا أخذته بلسانك .

واللَسَن : جودة اللسان والفصاحة . واللِّسْنُ : اللغة يقال لكـــل قوم لِسْنٌ : أى:لغة .ويقال : الملسون الكذاب وهو مشتق من اللســـان، لأنه اذا عرف بذلك لُسِنَ أى:تكلمت فيه الألسنة (١) .

وقيل هى جارحة الكلام ،وقد يكنى بها عن الكلمة فتؤنث حينئذ .

واللَسَن بالتحريك : الفصاحة . وقد لَسِنَ بالكسر فهو لَسِنٌ وألســن. وقوم لُسْنٌ وفلان لسان القوم ،اذا كان المتكلم منهم . واللسان : لســان الميزان ولسنتُهُ اذا أخذته بلسانك .

واللسن ،بكسر اللام : اللغة ،يقال : لكل قوم لسن، أى:لغـــة يتكلمون بها (٢) .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٤٦/٥ ـ ٢٤٧) .

(٢) الصحاح (٢١٩٥/٦) .

وفى لسان العرب : اللسان : جارحة الكلام ،وقد يكنى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ،واللسان المِقْوَلُ : يذكر ويؤنث،والجمع ألسنة. ويقال اللسان فى الكلام يذكر ويؤنث وقيل : اللِّسْن بكسر اللام : اللغة واللسان : الرسالة ويقال : رجل لَسِنٌ ، بَيِّنُ اللَّسَنَ اذا كان ذا بيان وفصاحة . (١)

وقيل : انه قد يكون المراد من اللسان : اللغة . والجمع: ألسنة قال تعالى :

" وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ" الروم (٢٢)

أى:لغاتكم ونغماتكم ،فان لكل انسان نغمة مخصوصة يميزها السمع، كما أن اللون له صورة مخصوصة يميزها البصر . وفلان ينطق بلسان الله بحجته وكلامه . (٢)

وقد ذكر لفظ اللسان فى سورة النحل ثلاث مرات :

(١) قوله تعالى : " وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَايَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَاجَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ " . (٦٢)

فهؤلاء المشركون (يجعلون لله مايكرهونه لأنفسهم،ويزعمون أن لهم الحسنى الذى يكرهونه لأنفسهم البنات يجعلونهن لله تعالى ،وزعموا أن الملائكة بنات الله،وأما الحسنى التى جعلوها لأنفسهم فالذكور من الأولاد ،وذلك لأنهم كانوا يئدون الاناث من أولادهم،ويستبقون الذكور منهم، ويقولون لنا الذكور ولله البنات) (٣) . فهم مضيعون لأمر الله (٤) . ويعتبر هذا العمل تفريطا منهم،ومن ثم سيكونون مفرطين فى الآخرة (أى:مقدمون

---

(١) لسان العرب (٣٨٥/١٣ - ٣٨٦) .
(٢) بصائر ذوى التمييز (٤٢٩/٤) بصيرة فى لسن .
(٣) انظر تفسير الطبرى (٨٥/١٤) .
(٤) تفسير القرطبى (١٢١/١٠) بتصرف .

معجل بهم عليها) أى:الى النار (والفرط هو مايسبق،والمفرط مايقدم يسبق فلا يؤجل)[(١)(٢)] .

قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم فى قوله:(مفرطون) (أى:منسيون فيها مضيعون) أى:أنهم منسيون فى النار،وهذا كقوله تعالى : "فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَاكَانُوا بآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ " الأعراف (٥١)

(ولامنافاة بين المعنى الأول والثانى لأنهم يعجل بهم يوم القيامة الى النار،وينسون فيها أى:يخلدون)[(٣)] .

(٢) قوله تعالى : " وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ " . (١٠٣)

والعجم : خلاف العرب ،الواحد عجمى . والأعجم : الذى لايفصح ولايبين كلامه،وان كان من العرب .

والأعجم أيضا : الذى فى لسانه عجمة،وان أفصح بالعجمية،ومن ثم يقال : لسان أعجمى[(٤)] .

ونزلت هذه الآية الكريمة فى غلامين نصرانيين من أهل عين التمر، اسم أحدهما يسار،والآخر خير،وكانا يقرآن كتبا لهم بلسانهم،وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بهما فيسمع قراءتهما،وكان المشركون يقولون : يتعلم منهما،فأنزل الله تعالى يكذبهم بقوله : " لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيهِ ...."[(٥)] .

---

(١) انظر تفسير الألوسى (١٧٣/١٤) . كذلك تفسير الخازن (٦٨/١٤) .
(٢) انظر تفسير الظلال (٧٥/١٤) .
(٣) تفسير ابن كثير (٦٢٢/٢) بتصرف .
(٤) الصحاح (١٩٨٠/٥ - ١٩٨١) .
(٥) أسباب النزول (ص ١٩٠) .

وآخرج الحاكم وصححه والبيهقى فى شعب الايمان ،عن ابن عباس فى قوله : (انما يعلمه بشر) قال : قالوا انما يعلم محمدا عبدة بن الحضرمى – وهو صاحب الكتب – فقال الله : " لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ "(1) .

وأيا كانت أسباب النزول فالله سبحانه وتعالى يرد على كل من يزعم أن محمدا أخذ القرآن،وأن مايقوله ماهو الا من تعليم أعجمى فهذا خطأ . لأن الأعجمى لايفصح،والعجمية الاخفاء،وهو ضد البيان بينما القرآن الكريم ذو بلاغة عربية،وبيان واضح .

اذا زعم هؤلاء المشركين غير صحيح لاسيما وقد عجز العرب أنفسهم، وهم أصحاب البلاغة والبيان عن معارضة سورة منه(2) .

(٣) قوله تعالى : " وَلَاتَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَايُفْلِحُونَ " . (١١٦)

الخطاب فى الآية الكريمة للكفار الذين حرموا البحائر والسوائب(3) وأحلوا مافى بطون الأنعام وان كاميتة(4) فنهاهم سبحانه بقوله: ماتصف ألسنتهم بتحليل ماحرمه الله،وتحريم ماأحله الله،ونسبة ذلك الى الله(5) (وهذا افتاء بغير علم من الله،ولاهدى،ولاكتاب منير فضلوا،وأضلوا)(6) .

بعد ذلك يمكننا التحدث عن اللسان من حيث :

---

(١) الدر المنثور (١٦٧/٥) .

(٢) تفسير الشوكانى (١٩٥/٣) بتصرف .

(٣) البحيرة : التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة التى كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شئ . تفسير الجلالين (ص ١٥٧) .

(٤) انظر تفسير القرطبى (١٩٦/١) .

(٥) تفسير الجلالين (٢٥١/١) بتصرف .

(٦) انظر تفسير الشوكانى (٢٠١/٣) .

أولا : نعمة خلق اللسان .

هذا اللسان الذى يمكن للانسان به أن يتكلم، ويتفاهم، ويتعرف على الآخرين، كما قال الحسن البصرى فى المراد من البيان فى قوله سبحانه :

"الرَّحْمَٰنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ" .

الرحمن (١ - ٤)

قال : يعنى النطق[(١)] .

فاللسان هو العضو الذى تخرج منه حروف كثيرة للنطق[(٢)] . وبه يعبر الانسان عما فى داخله، ومايدور فى فكره ،حتى قال القرطبى : ان سبب تكريم الانسان على سائر المخلوقات بالكلام[(٣)] .

كما يستخدمه فى المضغ والذوق والبلع، والتمييز بين المطعومات والمشروبات، فكان من تمام نعم الله كى يؤدى اللسان تلك المهام أن جعله سبحانه عضوا لحميا لاعظم فيه لتسهيل حركته، كما جعل عليه غلقين هما الأسنان والفم بحيث يجعل حركته اختيارية[(٤)] .

وأوجد سبحانه مراكز الاحساس بالذوق فى اللسان على شكل نتوءات ذات فتحات تسمى البرعم الذوقى، وبداخله الخلايا الذوقية حتى يتمكن الانسان من تذوق الطعام والشراب، والتمييز بينهما ،فأوجد لكل نوع من المذاق منطقة محددة فى اللسان ،فالطعم الحلو توجد نتوءاته فى مقدمة اللسان ،والطعم المر فى مؤخرة اللسان، والمالح فى جوانبه وهكذا[(٥)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٨٨/٤) .
(٢) انظر الطب محراب الايمان (٢٩٩/١) .
(٣) تفسير القرطبى (٢٩٤/١٠) بتصرف .
(٤) البيان فى أقسام القرآن (ص ٣١٠ - ٣١١) بتصرف .
(٥) الطب محراب الايمان (٢٢٧/١) بتصرف .

لذا ذكر سبحانه عباده بهذه النعمة فى مجال الامتنان بقوله :
" أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " .

البلد (٨ - ٩)

فقال قتادة :" نعم من الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكره "(١) .وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من أعطى عطاء فوجد فليجز به، ومن لم يجد فليثن، فان من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر، ومن تحلى بما لم يعطه كان كلابس ثوبى زور "(٢) .

ثانيا : اختلاف اللغات عن طريق اللسان .

والمراد باللغة أصوات منطوقة يعبر بها الانسان عن غرضه، وتشير الى الأشياء الماثلة، والمعانى المختلفة ،وهذه الأصوات ونطقها ترجع الى الجهاز الصوتى بعد ادراك الجهاز العصبى لماهية هذه الأصوات، واستجابة لمؤثرات خارجية أو داخلية ،ولكل حرف من حروف اللغة مكان فى الجهاز الصوتى يتفاعل فيه مع الأوتار الصوتية ،فيخرج صوتا ذا نغمة موسيقية مميزة بواسطة الرئتين والحنجرة، وتجويف الفم والأنف(٣) .

وقد ذكرنا سابقا أن اللسان يطلق ويراد به اللغة ،يقال لكل قوم لسن أى لغة(٤) . قال تعالى :

" وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ " . النحل(١٠٣)

ومن ابداعه سبحانه اختلاف الألسنة قال تعالى أيضا فى سورة الروم :

---

(١) انظر تفسير الطبرى (١٢٧/٣٠) .
(٢) سنن الترمذى(٣٧٩/٤) باب ٨٧ ماجاء فى المتشع بما لم يعطه . قال أبو عيسى (الترمذى) هذا حديث حسن غريب .
(٣) انظر القرآن الكريم معجزة وتشريع ،عبدالكريم نيازى (ص ٣٧)مطبوعات نادى مكة الثقافى الأدبى ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
(٤) معجم مقاييس اللغة (٢٤٧/٥) .

"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) " .

(أى: اختلاف لغاتكم من عربى وعجم وترك وروم، وغير ذلك من اللغات)[(١)] .

فاللغة وسيلة الاتصال التى يرمز بها الانسان للتعبير عن أفكاره ومشاعره، وهى الحد الفاصل بين الكائن الذى يعقل، والكائن الذى لايعقل لأن اللغة وليدة العقل[(٢)] .

والانسان قد يمر بهذه الظاهرة دون أن يفكر ويتأمل فيها، وفى النعم المترتبة على وجود اللسان . ومن ذلك اختلاف الألسنة مع أن أصل البشر واحد، وتكوين أجهزة النطق متماثلة بين الناس .

وان اللغة أمر مكتسب يتعرف عليه الانسان بسماعه لكلام وأصوات من حوله، ومن ثم محاكاته لهذه الأصوات أى: أن الاستعداد للكلام فطرى بينما طريقة الكلام ، أى: اللغة التى يصب فيها هذا الكلام مكتسب من البيئة الخارجية (ممن حوله)[(٣)] .

وقال بعضهم: ان اختلاف الألسنة أحد نتائج اختلاف الأجواء والبيئات ذلك الاختلاف الناشئ من طبيعة وضع الأرض الفلكى مما أدى الى اختلاف الألسنة والألوان مع اتحاد الأصل، والنشأة فى بنى الانسان[(٤)] .

لكننا نقول ان من درس هذا الأمر دراسة موضوعية سيقف على حقيقة اختلاف الألسنة (اللغات) من خلال تأمله فى الآية السابقة من سورة الروم وغيرها من الآيات، وسيجد أن اختلاف اللغات مظهر من مظاهر عظمة الله استنادا الى قوله تعالى :

---

(١) انظر تفسير الشوكانى (٢١٩/٤) .
(٢) القرآن والعلم (ص ٥٣) بتصرف .
(٣) النمو النفسى للطفل والمراهق ونظريات الشخصية ، د. محمد مصطفى زيدان (ص ١١٢) بتصرف . دار الشروق ، جدة ١٣٩٩هـ .
(٤) تفسير الظلال (٣٧/٢١) بتصرف .

" الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الإنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ " .

الرحمن (١ – ٤)

قال القرطبى فى المراد من البيان : أى:علمه اللغات .[1] وقال أيضا: (علم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به)[2] .

فسبحان الله الذى خلق اللسان،ولم يجعله مجرد جارحة فقط ،بل أظهر فيه حكمته وعظمته ،ومايترتب عليه من نعمة البيان بلغات مختلفة معروفة يتكلم بها الناس على ظهر البسيطة سواء كانت اللغة العربية أو غيرها من اللغات التى يفتتان بها الانسان،ومافى ذلك من الاستدلال على وجود الاله الخالق،وأنه الخالق البارئ المصور سبحانه وتعالى .

وأشرف هذه اللغات اللغة العربية لغة القرآن الكريم،كما ذكرنا سابقا فى قوله تعالى :

"وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ " . النحل (١٠٣)

وقوله : " نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ.عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينٍ " . الشعراء (١٩٣ – ١٩٥)

وعن أنس بن مالك قال : فأمر عثمان زيد بن ثابت،وسعيد بن العاص، وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام أن ينسخوها فى المصاحف،وقال لهم : اذا اختلفتم أنتم،وزيد بن ثابت فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش،فان القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا .[3]

وقد تفردت اللغة العربية بين اللغات بشيوع خاصية الاعراب فيها الذى صار أثرا من آثار استخدام الحركة فى التعبير عن المعنى . كما

---

(١) تفسير القرطبى (١٧/١٥٢) .

(٢) نفس المرجع السابق (١٧/١٥٣) .

(٣) صحيح البخارى (٦/٩٧) كتاب فضائل القرآن باب رقم (٢) باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب وقرآنا عربيا .

أن الألفاظ تشتق من اللفظ الواحد بتقديم أو تأخير أو زيادة أو حذف أو بتغيير حركات الحروف مما يؤدى الى تغير معنى اللفظ المشتق مثل (كبر ،بكر ،كرب ،برك) .

هذا وقد اكتسبت اللغة العربية شرفها من القرآن الكريم ،واعتماد الدين القيم عليها فى شرح أهدافه،وبيان أحكامه،وتجلية معانيه وأغراضه ،مما جعلها تبهر عقول البشر،وتحدث فى نفوسها خشوعا،وتأثيرا على الوجدان بألفاظ غزيرة المعنى رزينة المنطق (١) .

ثالثا : نعمة البيان الذى يمتاز به الانسان .

والبيان فى اللغة مأخوذ من قولهم : بان الشىء ،وأبان اذا اتضح وانكشف ،وفلان أبين من فلان، أى: أوضح كلاما منه (٢) .

وفى الصحاح : البيان : الفصاحة واللسن ،وفى الحديث (ان من البيان سحرا) (٣) وفلان أبين من فلان : أى: أفصح منه،وأوضح كلاما ،والبيان مايبين به الشىء من الدلالة وغيرها . وبان الشىء بيانا : اتضح فهو بين (٤) .

ويضيف صاحب لسان العرب : أن البيان : الافصاح مع ذكاء،والبين من الرجال الفصيح (٥) . وقيل أيضا : البيان : الكشف عن الشىء وهو أعم من النطق فتختص بالانسان،ويسمى مايبين به بيانا (٦) .

وعلى هذا يكون البيان نعم من نعم الله على الانسان قد ينساها البعض فيذكره الله بها فى القرآن الكريم،كما فى قوله تعالى :

---

(١) القرآن الكريم معجزة وتشريع (ص ٣٧ – ٣٩) بتصرف .
(٢) معجم مقاييس اللغة (٣٢٨/١) .
(٣) صحيح البخارى (١٣٧/٦) كتاب النكاح باب ٤٧ (الخطبة) عن ابن عمر رضى الله عنهما .
(٤) الصحاح (٢٠٨٢/٥ – ٢٠٨٣) .
(٥) لسان العرب (٦٨/١٣) .
(٦) المفردات فى غريب القرآن (ص ٦٩) كتاب الباء .

" الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ " .

الرحمن (١ - ٤)

قيل أنه علم آدم، وقيل بل الانسان، والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل : بل كل انسان ، فان كان الانسان آدم عليه السلام يكون المراد كما قال ابن عباس رضى الله عنهما :

(ان الله تعالى علم آدم أسماء كل شئ ، وقيل : علمه اللغات كلها ، فكان آدم يتكلم سبعمائة لغة أفضلها العربية ، وان كان المقصد محمد صلى الله عليه وسلم، فانه يعنى ذلك أنه علمه بيان مايكون وماكان، لأنه صلى الله عليه وسلم ينبئ عن خبر الأولين والآخرين، وعن يوم الدين وقيل : علمه بيان الأحكام من الحلال والحرام والحدود والأحكام . وان كان المقصود الانسان فيعنى أنه علمه البيان أى: النطق الذى يتميز به عن سائر الحيوانات ، وقيل: علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف مايقول ومايقال له ، وقيل: علم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به) (١) .

لذا كان الأرجح بالمراد بالانسان فى الآية جنس الانسان، كما يقول الرازى : ان الأصح هو الجنس نظرا الى اللفظ فى خلق، ويدخل فيه محمد وآدم وغيرهما من الأنبياء (٢) .

كما أن قوله (خلق الانسان) اشارة الى تقدير خلق جسمه الخاص، وقوله : (علمه البيان) اشارة الى تميزه بالعلم عن غيره (٣) .

ومن ذلك تمكن الانسان من البيان والافصاح عما فى نفسه، وفهم بيان غيره، وتمكنه من تعلم القرآن وتعليمه (٤) .

---

(١) تفسير الخازن (٢/٧) بتصرف .
(٢) تفسير الرازى (٢٩/) بتصرف .
(٣) انظر نفس المرجع السابق (٨٦/٢٩) .
(٤) تفسير الألوسى (٩٩/٢٧) بتصرف .

كما قال تعالى : " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" . النحل (٧٨)

سبحانه كيف أودع هذا العضو (اللسان) سحر البيان، ومن ذلك اللغة التى يبين بها عما فى نفسه، ويفهم مايفصح عنه الآخرون عما فى أنفسهم مع اختلاف اللغات مع أن جهاز النطق واحد ؟ بل كيف ينطق اللسان باللفظ الواحد ؟ انها عملية معقدة كثيرة المراحل والخطوات والأجهزة حتى أن بعض هذه المراحل لازالت مجهولة، وخافية على الناس حتى الآن[1] . لهذا نجده سبحانه ينسبها لنفسه، وأنها من آثار رحمته[2] ، فيبدأ الآيات بقوله : (الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) . الرحمن (١ - ٤)

فسبحان المبدع العظيم كما يقول (كلودم . هاتاواى)[3] ماملخصه :

(ان كل تصميم وابداع هو من ابداع اله عظيم لانهاية لتدبيره وابداعه وعبقريته، لأنه لايمكن أن ينشأ ذلك الابداع الا بأحد طريقين : اما عن طريق المصادفة أو طريق الابداع والتصميم ، وكلما كان النظام أكثر تعقيدا ، بعد احتمال نشأته عن طريق المصادفة ، لذا فلا نستطيع الا أن نسلم بوجود الله)[4] .

رابعا : ابراز قدرة الله فى تمكين المسلمين من النطق بالقرآن مع اختلاف لغاتهم .

فالمشاهد فى واقع الحياة أن القرآن يتلى - بحمد الله - فى مختلف أنحاء العالم، وتمكن الانسان من تلاوته سواء كان هذا الانسان عربيا

---

(١) تفسير الظلال (١١١/٢٧) بتصرف .
(٢) تفسير الألوسى (٩٩/٢٧) بتصرف .
(٣) كلودم هاتاوى : حاصل على درجة الماجستير، مستشار هندسى بمعامل شركة جنرال الكتريك ، مصمم العقل الالكترونى للجمعية العلمية لدراسة الملاحة الجوية بمدينة لاتجلى فيلد، اخصائى فى الآلات الكهربائية والطبيعة والقياس . من كتاب الله يتجلى فى عصر العلم (ص ٨٨) .
(٤) الله يتجلى فى عصر العلم (ص ٨٩ - ٩٠) بتصرف .

أو عجميا لايعرف اللغة العربية ،ولايمكنه التحدث بها ،لكنه يمكنه ذلك عند تلاوته للآيات القرآنية .

يمكن القول أن السبب يرجع الى التلقى والمحاكاة عمن يأخذه .لكن نقول : ان العجيب هو كيفية تمكن هذا الأعجمى من اخراج الحروف العربية من مخارجها أثناء التلاوة بيسر وسهولة .

اذا لابد أن يكون وراء ذلك سر، ويتضح ذلك من قوله تعالى :

" وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ" . القمر (١٧)

يقول الرازى : التيسير يكون من عدة أوجه منها تيسير تلاوته، كما قال ابن عباس : لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل . وقال مجاهد : يسرنا : يعنى هونا قراءته (١) .

وقال سعيد بن جبير : (أى:يسرناه للحفظ والقراءة،وليس شىء من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القرآن) (٢) .

قال ابن بطال (٣) : (تيسر القرآن تسهيله على لسان القارىء حتى يسارع الى قراءته) (٤) .

فسبحانه يسر وسهل قراءة القرآن الكريم على من يشاء من عباده بحيث يسهل تلاوته وحفظه للصغير والكبير والعربى والعجمى وغيرهم (٥) .

فتتعلق بتلاوته القلوب،ويشعر الانسان بحلاوة سماعه ،وطلاوته ،ولايمل سامعه (٦) .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٨٢/٤) .

(٢) انظر تفسير الخازن (٢٧٥/٦) .

(٣) ابن بطال : هو الامام أبو الحسن على بن خلف الشهير بابن بطال المغربى المالكى . وغالبه فقه الامام مالك من غير تعرض لموضوع الكتاب غالبا كانت وفاته سنة ٤٤٤هـ وقيل ٤٤٩هـ . أصله من قرطبة وأخرجته الفتن الى بلنسيه وكان عالما فقيها عنى بالحديث ،وولى القضاء لورقة وروى عن جماعة وله كتاب الاعتصام فى الحديث .
من مقدمة تحفة الأحوذى (٢٥٥/١) الطبعة السلفية، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

(٤) انظر فتح البارى للعسقلانى (٤٤٦/١٣) .

(٥) تفسير الخازن (٢٧٥/٦) .

(٦) تفسير الرازى (٤٣/٢٩) بتصرف.

ولقد اختار سبحانه اللغة العربية ذات اللهجة السهلة الممتنعة الواضحة العذبة، لغة القرآن فجاء كتابه العزيز موسوعة لغوية لكل ماعذب لفظه، ووضح معناه، وخف وقعه، وأحكم نسجه، ولطف أداؤه، وسهل مخرجه من الجهاز الصوتى، فاعتادت الألسنة تلاوته وماعاد يستعصى على أحد فهمه، بعد أن أودع فيه سبحانه السر الأعظم، وهو تيسير تلاوته لكل من أراد من عربى أو عجمى (١) .

خامسا : شهادة اللسان فى الدنيا والآخرة .

والشهد : الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم واعلام لايخرج شئ من فروعه عن الذى ذكرناه .

والشاهد : اللسان، والشاهد : الملك (٢) . والشهادة : خبر قاطع تقول منه : شهد الرجل على كذا . وأصل الشهادة : الاخبار بما شاهده. وشهد الشاهد عند الحاكم : أى بين مايعلمه وأظهره، وشهد فلان على فلان بحق، فهو شاهد وشهيد (٣) .

وفى بصائر ذوى التمييز (٤) : الشهادة : قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة . ويعبر بالشهادة عن الاقرار نحو قوله تعالى :

"وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ" . النور (٦ – ٧)

أى أنه يشهد ويقر لنفسه، والشهادة هذه تكون باللسان . وفى

---

(١) القرآن الكريم معجزة وتشريع (ص ٤٠ – ٤١) بتصرف .
(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/٢٢١) .
(٣) لسان العرب (٣/٢٣٩ – ٢٤٠) .
(٤) بصائر ذوى التمييز (٣/٣٥٠ – ٣٥٢) .

تفسير القرطبى : ان هذه الملائمة تكون بأن يحلف الزوج لنفسه فى اثبات دعواه، وتخليصه من العذاب . وهذه تعتبر شهادة اللسان فى الدنيا .[1]

أما عن شهادة اللسان فى الآخرة . فان الألسنة نفسها ستنطق، وتقول بما كانت تتكلم به ليحاسب صاحبها بناء على ذلك ،حيث ينطق سبحانه الجوارح، ومنها اللسان، ويلجئها أن تشهد على الانسان، وتخبر عنه بأعماله .[2]

قال تعالى : " يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" . النور (٢٤)

فاللسان سيكون شاهدا لصاحبه بالخير أو شاهدا عليه ،ويترتب على ذلك دخول هذا الانسان الجنة أو النار، يتضح ذلك فى الحديث الطويل الذى رواه معاذ بن جبل حيث يقول : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار، قال : لقد سألتنى عن عظيم، وانه يسير على من يسره الله عليه ،تعبد الله ولاتشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل قال ثم تلا (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حتى بلغ (يعملون) ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه قلت : بلى يارسول الله . قال : رأس الأمر الاسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد . ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت بلى يانبى الله ،فأخذ بلسانه قال : كف عليك هذا . فقلت يانبى الله

---

(١) تفسير القرطبى (١٢/١٨٧) بتصرف .

(٢) تفسير الطبرى (١٨/٨٤) بتصرف .

(٣) ان التوفيق بين شهادة الالسن كما فى هذه الآية وبين ختمها كمافى قوله تعالى فى سورة يس آية (٦٥) : "اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بماكانوا يكسبون" هوانه يجوز ان يكون كل من الختم والشهادة فى موطن وحال ، وان يكون الشهادة فى حق الرامين والختم فى حق الكفرة . وقيل ايضا ان الختم هو هوكناية عن منعهم من التكلم ولا مانع من ان يكون هناك ختم على افواه الكفار حقيقة . من تفسير الالوسى (١٨/١٢٩)-(٢٣/٤١) بتصرف يسير .

وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يامعاذ ،وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخيرهم الاحصائد ألسنتهم) (١) .

اذا فالانسان بجسده كله يحاسب على حسب ماتلفظ به لسانه .فالأعضاء تابعة له،كما يروى عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا قال : " اذا أصبح ابن آدم فان الأعضاء كلها تكفر (٢) اللسان فتقول اتق الله فينا فانما نحن بك فان استقمت استقمنا،وان اعوججت اعوججنا (٣) " .

ويقسم الامام الغزالى الكلام الى أربعة أقسام : قسم هو ضرر محض، وقسم نفع محض ،وقسم ليس فيه ضرر ولامنفعة،وقسم فيه ضرر ومنفعة ،أما الذى هوضرر محض فلابد من السكوت عنه ،وكذلك مافيه ضرر ومنفعة لاتعنى بالضرر،وأما مالامنفعة فيه ولاضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان، وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع وهو المنفعة المحضة (٤) .

وليعلم الانسان أن كل مايلفظه وينطق به من كلام مكتوب سيحاسب ويجازى عليها فى الآخرة (٥)،كما قال تعالى :

" مَايَلْفِظُ مِنْ قَولٍ اِلَّا لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " . ق (١٨)

فالواجب على الانسان استخدام اللسان فى المهمة والغرض الذى من أجله خلقه الله،لأن من أوجه شكر الله على النعم استخدامها فيما خلقت من أجله ،لأن الموجود اذا لم يتحقق فيه الهدف من وجوده كان كأنه غير موجود (٦) .

---

(١) سنن الترمذى (١٢/٥) كتاب الايمان باب (٨) ماجاء فى حرمة الصلاة حديث رقم (٢٦١٦) . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) تكفر : تذل له وتخضع .

(٣) سنن الترمذى (٦٠٥/٤) كتاب الزهد باب رقم (٦٠) باب حفظ اللسان حديث رقم (٢٤٠٧)،وأحال السيوطى الى الترمذى وابن خزيمة والبيهقى وعلم عليه علامة الصحة . فيض القدير (٢٨٦/١ - ٢٨٧) . فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة محمد المدعو بعبد الرءوف المناوى المتوفى الطبعة الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧٢م دار الفكر ،بيروت .

(٤) انظر احياء علوم الدين (٩٦/٣) .

(٥) تفسير الظلال (١٦٣/٢٦) بتصرف .

(٦) العلم والايمان فى بناء الأمم والمجتمعات (ص ٢) بتصرف .

ومن ذلك النطق والتحدث بكل مافيه خير وذكر الله الدائم، وهذا يتضح من اجابة الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذى قال له : يارسول الله ان شرائع الاسلام قد كثرت على فأخبرنى بشىء أتشبث به قال : لايزال لسانك رطبا من ذكر الله (١) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ،ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه" (٢) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : " من يضمن لى مابين لحييه ومابين رجليه أضمن له الجنة" (٣) .

اللهم اجعل لساننا شاهدا لنا لاعلينا،واجعله دائم الذكر والطاعة والعبادة واجعله معينا ودليلا على استقامة ايماننا،ربنا أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

---

(١) سنن الترمذى (٤٥٨/٥) كتاب الدعاء حديث رقم (٤) قال الترمذى: هذا الحديث حسن غريب .

(٢) صحيح البخارى (١٨٤/٧) كتاب الرقاق باب (٢٣) .

(٣) نفس المرجع السابق .


الخاتمة

الخاتمة

فقد طوفت في هذا البحث مع العديد من آيات الله في الانفس والآفاق ، فتحدثت عن آية الشمس وعلاقتها باستمرار الحياة على كوكب الأرض ، ثم ذكرت بعض النعم المترتبة على وجودها .

ثم تحدثت بعد ذلك عن آية القمر وأشرت الى بعض النعم المترتبة على وجوده من معرفة أوقات الأزمنة والشهور والسنين ، ومعرفة الأهلة . ودوره في عمليتي المد والجزر نتيجة انتقاله من منازله المختلفة وبعده أوقربه من الأرض . الى غير ذلك من النعم التي وردت الاشارة اليها مفصلة في هذه الدراسة .

ثم تحدثت بعد ذلك عن آية النجوم ، وفصلت القول في أنواعها وفوائدها ، وأثر ذلك كله في بناء الايمان وترسيخ حقائقه . فتحدثت عن كونها رجوما للشياطين بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن أهميتها في الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر لمعرفة المكان أو القبلة ، وغير ذلك من الفوائد التي تقود الى الايمان وترسيخ حقائقه .

ثم تحدثت بعد ذلك عن اختلاف الليل والنهار ، وأثر ذلك في حياة المخلوقات ، وتحدثت عن كيفية معرفة عدد السنين والحساب المترتب على تعاقب الليل والنهار ، وتعرضت لذكر الفرق بين لفظي العدد والحساب ، ثم بينت أسرار اقتران كلمتي الليل والنهار بلفظ الاختلاف في مواضع كثيرة ليأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أوقوله ، ثم تحدثت عن العلاقة بين تعاقب الليل والنهار واستمرار حياة النبات وما ثبت لدى علماء الأحياء من كون الأوراق تنام ليلا لأخذ قسط من الراحة .

وتحدثت عن نعمة الطيور وتسخيرها وما جعله الله لها من المواصفات التي تمكنها من أداء وظيفة الطيران ، ووضحت أوجه الانتفاع بها في بعض الأمور .

كما ذكرت بين طيات وختام فصول هذا الباب دلائل قدرة الله تعالى وتوحيده سبحانه ، وشواهد ذلك من الآيات الكريمة وبعض الأحاديث الشريفة مدعمة بذكر بعض الحقائق العلمية المكتشفة حديثا ، وتطابقها مع ما تعطيه الآيات الكريمة . وفي كل ذلك دلالة على أن هذا القرآن الكريم من عند الله تعالى ، وعلى صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم عقدت الباب الثاني للحديث عن تسخير الأرض للانسان ، فتحدثت عن آيات الله في الأرض سواء من حيث اختلاف ألوانها وتهيئتها للحياة البشرية ، أو تثبيتها بالأوتاد التي تحفظ توازنها والتي لولاها لطفت القشرة الأرضية فوق سطح الماء ، ثم فصلت القول في آية الجبال وما تتضمنه من النعم الجليلة والدلائل العظيمة على قدرته ووحدانيته جل ذكره .

ثم تحدثت بعد ذلك عن الماء ، وعن ضرورته لاستمرار الحياة ، فتناولت عملية تكوين السحاب ، وانزال المطر بقدر معلوم ، وأنكرت ما ادعاه المشركون من قدرتهم على انزال المطر من دون الله ، وبينت فشل تجاربهم ، وأن فعلهم تحصيل حاصل للاسراع في تحقيق سنة ما من سنن نزول المطر .

ثم تحدثت بعد ذلك عن نعمة وجود النباتات فأشرت الى طرف من الحكمة في ترتيب أنواع الغذاء النباتي كما في قوله تعالى : " ينبت لكم به الزرع والزيتون ..... الآية " .

ثم تحدثت بالتفصيل عن عملية التمثيل الضوئي في النبات ، وأهميتها في استمرار دورة الحياة . وتحدثت بعدها عن الأنعام وتسخيرها للانسان فعددت فوائدها ، وفصلت القول في آية تكوين اللبن من بين فرث ودم وما يحمله ذلك من الدلائل على قدرة الله جل وعلا .

بعد ذلك تحدثت عن النحل التي سميت باسمها هذه السورة الكريمة ففصلت القول في معاني الايحاء الواردة في الآية الكريمة : " وأوحى ربك الى النحل ..... " . وفي نعمة العسل وما يتضمنه من الشفاء مدعمة ذلك بما أسفرت عن الكشوف العلمية المعاصرة التي انتهت الى حد قيام مراكز استشفاء عالمية متخصصة للعلاج بالعسل .

ثم تحدثت عن آية تسخير البحار والأنهار ، وما تتضمن من عبر وعجائب وما يترتب على كل منهما من المنافع ، وعن دورهما في حفظ الحياة والأحياء .

ثم فصلت القول في آية الحاجز بين البحار والحاجز بين البحار والأنهار وما يتضمنه ذلك من لطائف الحكمة وعجائب القدرة .

كما ضمنت وختمت الفصول ببيان دلائل قدرة الله تعالى وتوحيده وعظمته ، وشوهد ذلك من الآيات ، وبعض الأحاديث النبوية ، وذكرت بعض الحقائق المكتشفة حديثا ، وموافقتها لما في الآيات القرانية الكريمة .

ثم عقدت الباب الثالث للحديث عن الانسان ، فتحدثت عن أطوار الخلق وما تحمله من الدلائل على قدرة الله جل وعلا وحكمته . ثم تحدثت عن نعمة البصر ، فأشرت الى طرف من الحكمة فى تقديم السمع على البصر فى آيات القرآن الكريم ،

ثم تحدثت عن نعمة القلب والفؤاد وعن خلاف العلماء فى المقصود بلفظ الفؤاد ، ولا تزال هذه النقطة فى مسيس الحاجة الى المزيد من النظر والتأمل .

ثم تحدثت عن نعمة العقل ، فذكرت بعضا من وظائفه ، وبينت انقسامه الى قسمين : الغريزى والمكتسب .

ثم تحدثت عن نعمة البنين والحفدة ، وعن ضرورتها لبقاء الجنس البشرى

ثم تحدثت عن نعمة اللسان وآية اختلاف الالسنة ، وقدرة الله تعالى على تمكين المسلمين من النطق بالقرآن الكريم رغم اختلاف لغاتهم وألسنتهم .

وانني استطيع أن أجمل نتائج هذا البحث فى النقاط الآتية :

(١) أن القرآن الكريم قد أشبع الحديث فى السور المكية ، ومنها سورة النحل عن انشاء الله تعالى المخلوقات (السماء ، وما فيها من شمس ، وقمر . . . . . الخ ، والأرض ، وما فيها من نباتات ، وحيوانات ، الانسان ، وما فيه من نعمة السمع والبصر . . . . الخ ، وقد مزج سبحانه هذا الاستدلال بكثير من الاشارات التى يستفيد منها العلماء فى مجالات

تخصصاتهم سواء كانوا علماء فلك ، أو نبات، أو علماء تشريح أعضاء الانسان ....

قال تعالى : " خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ...".

النحل (٣)

(٢) أن القرآن ليس كتابا دراسيا فى العلوم، ولم يأت ليعطى المسلمين درسا فى الطب وعلوم الحياة، والفلك، وعلوم الكون، والهندسة .... الخ، ولم يهدف الى عرض بعض القوانين التى تتحكم فى الكون، ولكنه كتاب سماوى بكلام الهى أنزله الحق سبحانه ليعرف العبد ربه فيعبده، ويتعرف على نعمه التى قد ينساها أحيانا لطول الألفة، أو انشغاله بأمور الدنيا فهو كتاب هداية للعالمين، ومن ثم يجب على الانسان شكره سبحانه، والتأمل فى آلائه التى تشير الى حقائق علمية تظهر للمتخصصين فى مختلف العلوم كل فى مجال تخصصه طبق ماتقتضيه حكمة الله تعالى فى مخاطبة خلقه .

قال تعالى : " ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ "

النحل (٨٩)

وقد كنت أوضح فى بحثى هذا الأمر، وأدعم ذلك بذكر الآية القرآنية أولا من سورة النحل، وأظهر المراد من لفظ النعمة الواردة لغويا متتبعة مشتقاتها، ثم أذكر المراد من الآية، كما فى تفسير المفسرين، وكيفية تسخير هذه النعمة للانسان مؤكدة ذلك بأدلة أخرى من سور القرآن تتعلق بهذا الأمر، ثم بالأحاديث (أحيانا)، وأذكر آراء العلماء فى هذا الأمر .

(٣) أظهرت فى بحثى عند التحدث عن النعمة المسخرة للانسان على ضوء سورة النحل ان هذه الاكتشافات العلمية الحديثة فى مختلف العلوم تثبت أن ماجاء به القرآن الكريم، والسنة من تلك الحقائق العلمية ماكان يمكن أن يعلمها بشر زمن الرسول صلى الله عليه وسلم

وهو النبى الأمى مما يقطع بأن القرآن الكريم وحى الله،ويشهد صدق محمد صلى الله عليه وسلم،ذلك لأن القرآن الكريم كلام الله، والكون صنع الله وحده لاشريك له،لذا نجد أن النتائج العلمية الصحيحة تطابق ماذكر فى الآية القرآنية،والسنة الشريفة دائما . قال تعالى : " وَمَاكُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَاتَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ اذا لارتاب المبطلون " . العنكبوت (٤٨)

وقال الشيخ حسن البنا (١) : " ان وجود هذه الكائنات على اختلاف طبائعها، وخصائصها، ونواميسها دليل قاطع على وجود مكونها، وقدرته وعظمته ، التناسق العجيب، والارتباط الغريب بينها جميعا، ومايعرض لهما من اختلاف الخواص، والمميزات بالتحليل، والتركيب، وتفاوت نسب العناصر والذرات دليل على واسع علمه، ومطلق ارادته ومحال أن تكون المادة الصماء أو الصدفة العمياء هى مصدر هذه الحياة النابضة بالحس والحركة، ومبعث هذا التناسب والتناسق بين هذه المكونات، وانما هو صنع الله الذى أتقن كل شىء " (٢) .

(٤) ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن الكريم كله بالتفصيل، بل ترك بعض الآيات لتفسر حسب مقتضى العصر لأنه لو فسره كله بالتفصيل، وفيه آيات تتعلق بمختلف العلوم لما ترك مجالا لأحد أن يجتهد، ويبحث فى اعجاز القرآن الكريم، وماتحمله آياته من عجائب قدرة الله وابداع صنعه حيث ختم كثير من الآيات بقوله تعالى : " إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ، يَعْقِلُونَ ....الخ" .

---

(١) (١٣٢٤ – ١٣٦٨هـ/١٩٠٦ – ١٩٤٩م) .
حسن البنا هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا ، مؤسس جمعية "الاخوان المسلمين" بمصر، وصاحب دعوتهم، ومنظم جماعتهم . واختار لقب المرشد العام وقام بدعوة الرجال الى اعلاء كلمة الاسلام وأصبح له فى كل بلد دار، وأنشأ فى الاسماعيلية "معهد أمهات المسلمين" لتربية البنات تربية دينية صالحة، وأنشأ بالقاهرة جريدة "الاخوان المسلمين" يومية، وكان خطيبا فياضا يعمل فى هدوء ويبنى فى اطمئنان ، له مذكرات نشرت بعد وفاته .
الاعلام للزركلى (٢/١٨٣ – ١٨٤) .

(٢) انظر : الله فى العقيدة الاسلامية – حسن البنا (ص ١٩ – ٢٠) دار الشهاب – القاهرة .

ونختتم هذه الجولة الايمانية مع سورة النحل بهذه التوصيات :

(١) ضرورة اعادة صياغة العلوم الكونية والنفسية صياغة ايمانية . ونبذ التناول العلمانى لهذه النصوص .

(٢) الاهتمام بانشاء مراكز وهيئات علمية ترعى قضية العلاقة بين الدين والعلم، وتحقيق آيات الله الكونية والنفسية .

(٣) الاهتمام بوضع ضوابط الكتابة فى مجال الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة ، ولعل فيما قدمه الشيخ عبدالمجيد الزندانى فى كتابه (المعجزة العلمية فى القرآن والسنة) بداية جادة وموفقة فى هذا الطريق .

(٤) الاهتمام بكتابة تفسير علمى للقرآن الكريم (يجمع بين الأصالة، والضبط، والالتزام بمنهج السلف فى التفسير، وبين تحقيق الاشارات العلمية فى النصوص القرآنية من ناحية أخرى).

(٥) عقد المؤتمرات والندوات، ومجموعات العمل، وحلقات البحث المتخصصة فى هذا المجال للجمع بين علماء الشريعة ، وعلماء الكون ليجلوا للأمة مدى التطابق المذهل بين ما فى القرآن الكريم، والحقائق العلمية .

(٦) تشكيل لجنة علمية تجمع بين كبار علماء الشريعة، وعلماء الكون لمراجعة ما كتب فى باب التفسير العلمى فى القرآن والسنة وترشيد وتقويم هذه الكتابات .

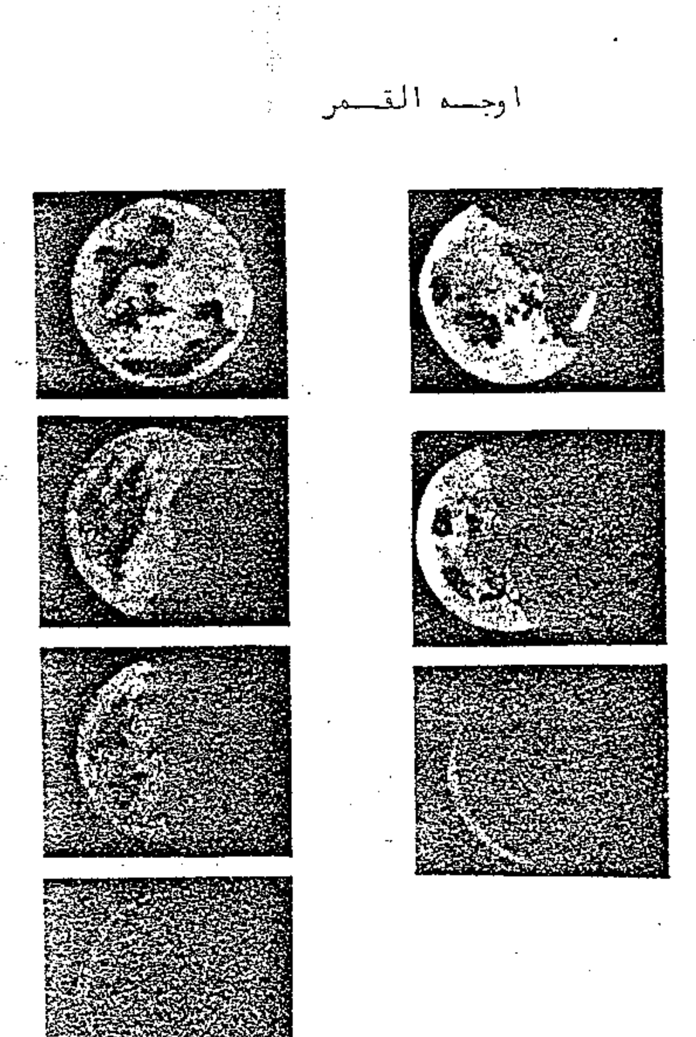
(٧) على الجامعات ومراكز البحوث فى البلاد الاسلامية تشجيع البحوث والدراسات فى مجال الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة .

(٨) الحث على عقد المؤتمرات والندوات، وحلقات البحث، واعداد البحوث والدراسات، واعداد المناهج الدراسية التى تعمق الايمان، وتقوى اليقين فى قلوب المؤمنين، وتخاطب غيرهم بلغة العصر التى يحتكمون اليها فى قبول الايمان ، قياما بواجب الامة فى تبليغ دعوة الاسلام بالحجة، والدليل والبرهان .

وختاما نسأل الله تعالى أن يجعلنا طلابا للعلم، وأن يرزقنا العمل طبقا للمنهج الالهى ، والله ولى التوفيق ...


الملاحق

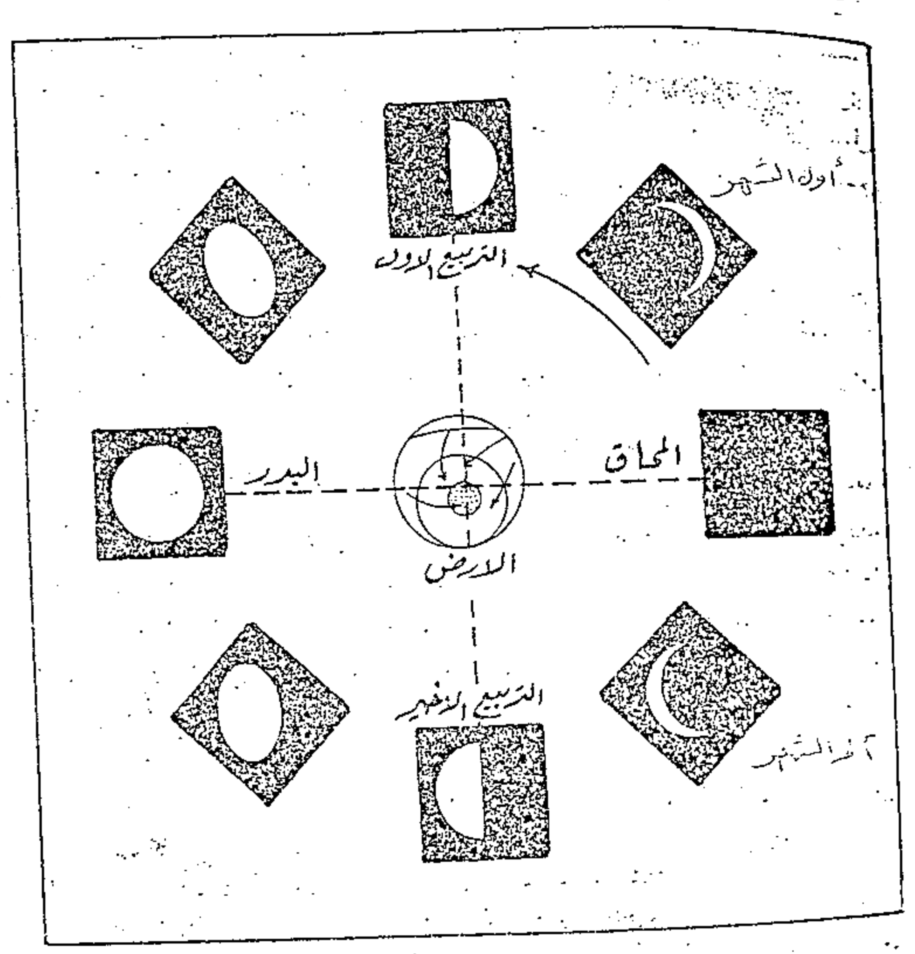
اوجـه القـمر



من كتاب التوحيد - - الشيخ عبد المجيد الزنداني .

ج ٣ ص ٧٠

ملحـق رقـم (١)



أوجه القمر اثناء دورانه حول الارض خلال الشهر

من كتاب ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم •
ابراهيم النصيرات - ص- ٧٧

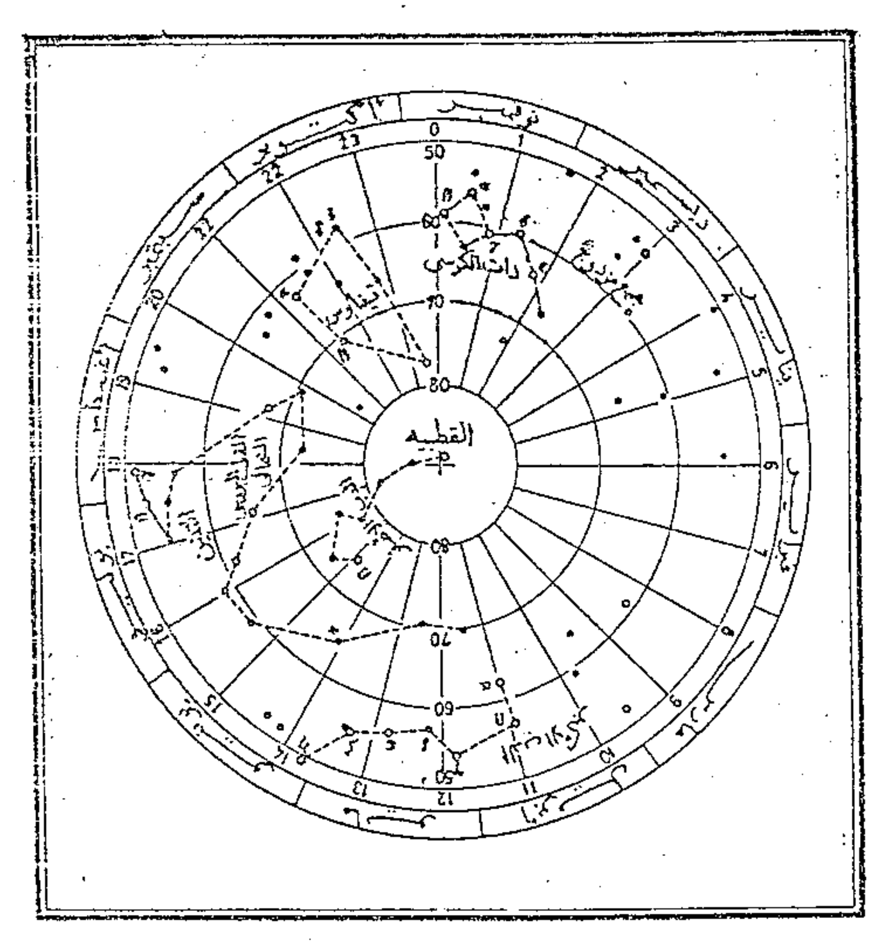
ملحق رقم (٢)



بروج السماء

من كتاب ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم .
ابراهيم النصيرات .
ص - ٨٠

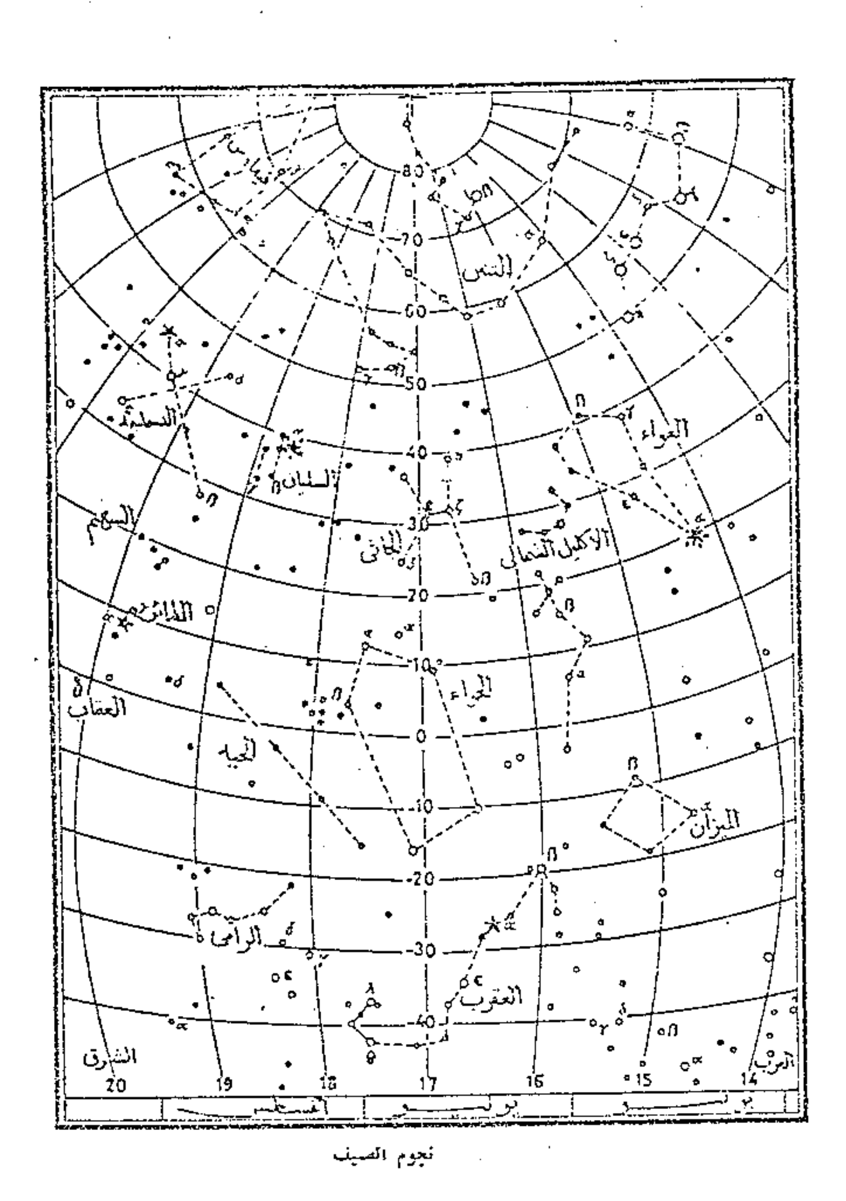
ملحق رقم (٣)



الكوكبات الشمالية

كتاب الكواكب والنجوم والمجرات، عبد المنعم السيد عشري .
ص ـ ٤٢.

ملحق رقم (٤)



نجوم الصيف

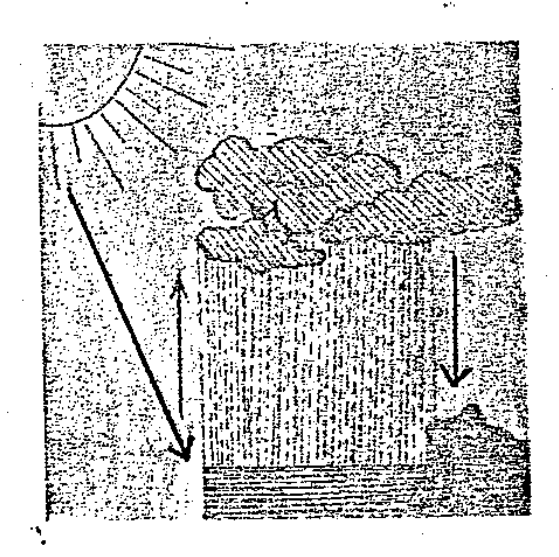
من كتاب ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم

ابراهيم النصيرات

ص ٤٨

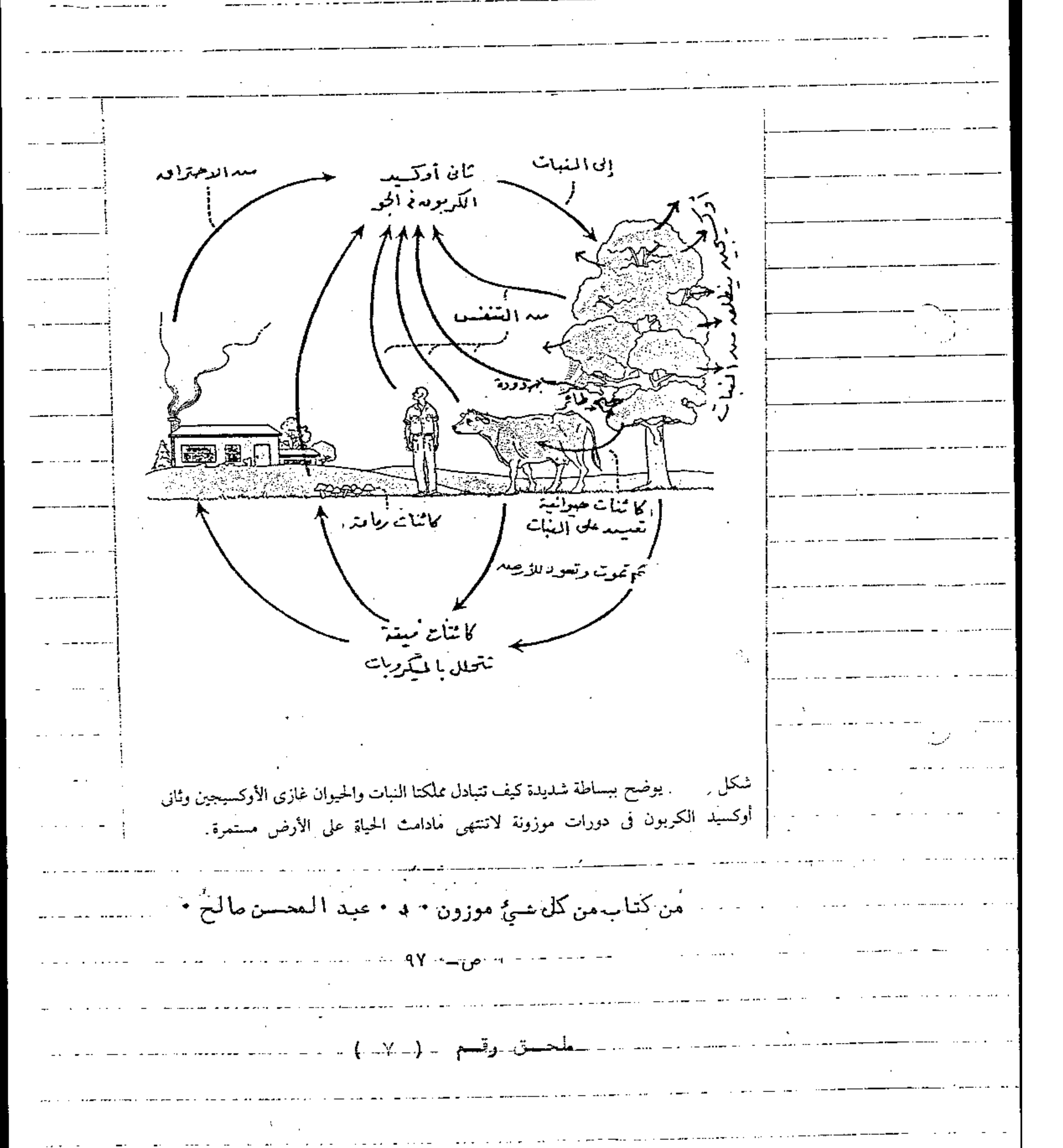
ملحق رقم (٥)

سنة الله في انزال المطر :



من كتاب التوحيد . ج ١.
للشيخ عبد المجيد الزنداني .
ص - ٣١

ملحق رقم (٦)

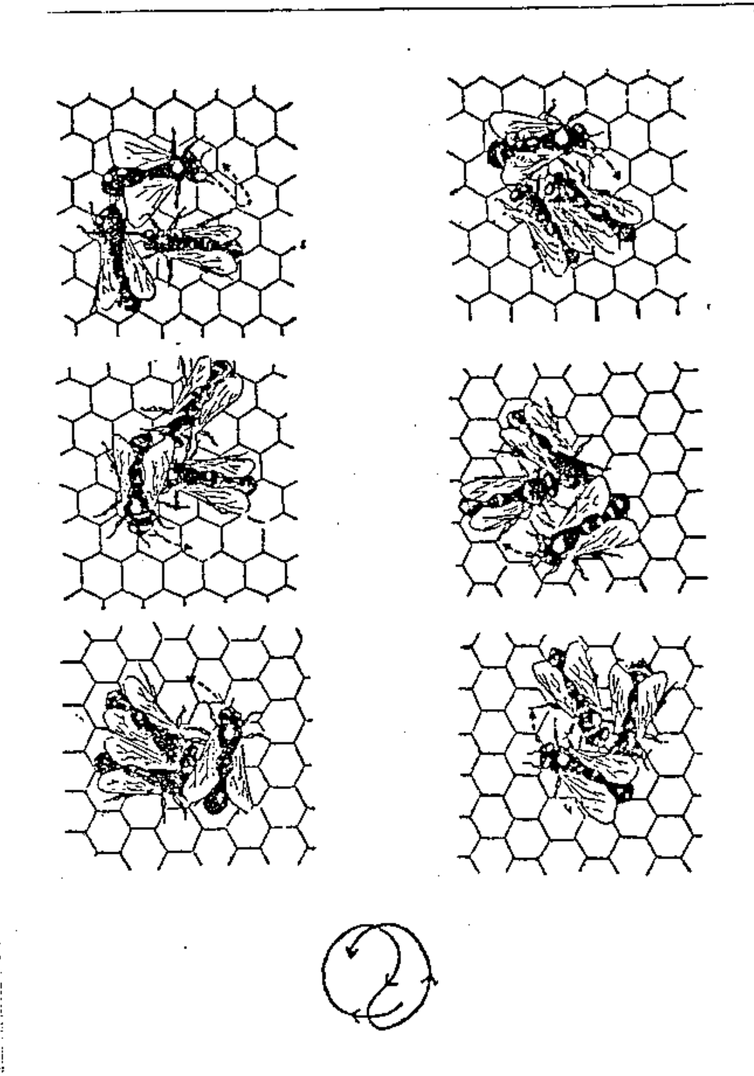


شكل . يوضح ببساطة شديدة كيف تتبادل مملكتا النبات والحيوان غازى الأوكسيجين وثانى أوكسيد الكربون فى دورات موزونة لاتنتهى مادامت الحياة على الأرض مستمرة.

من كتاب من كل شئ موزون . د . عبد المحسن صالح .

ص - ٩٧

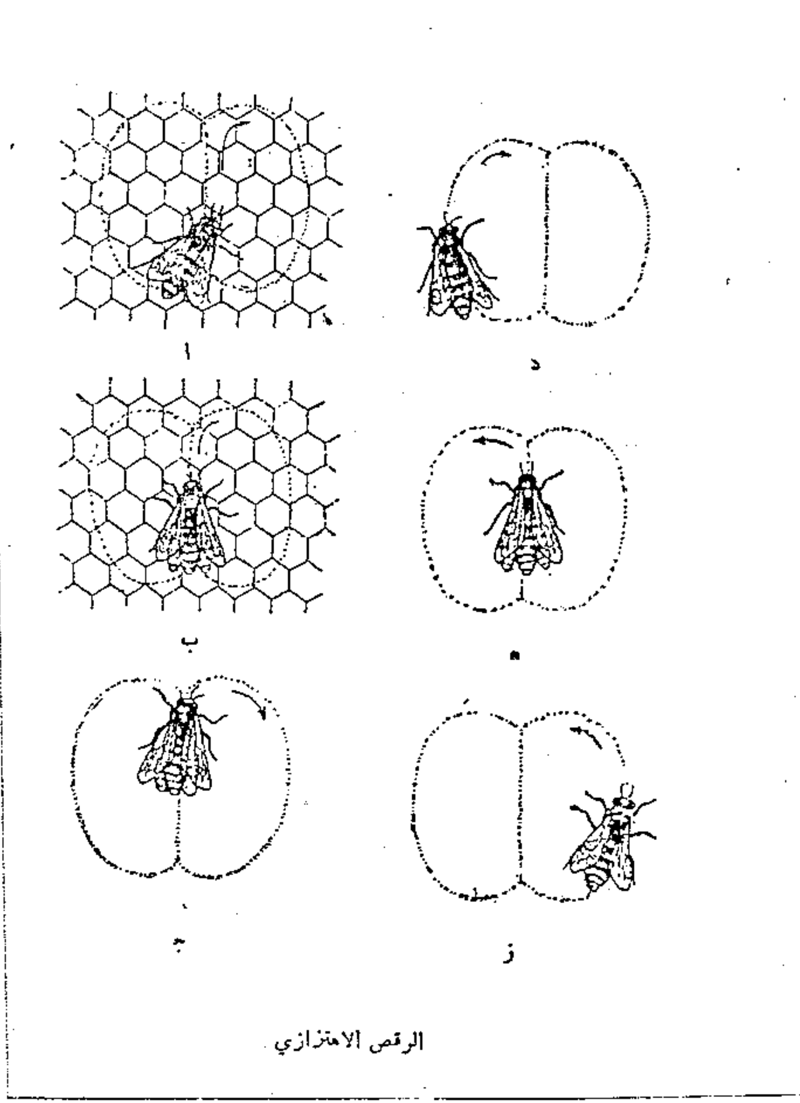
ملحق رقم (٧)



الرقص الدائري لنحلة سارحة تجمع الرحيق
النحلة الراقصة (ذات النقط البيضاء) يتبعها النحل الآخر

من كتاب (النحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع) - محمد حسن الحمصي .
ص — ٩٦

ملحق رقم (٨)



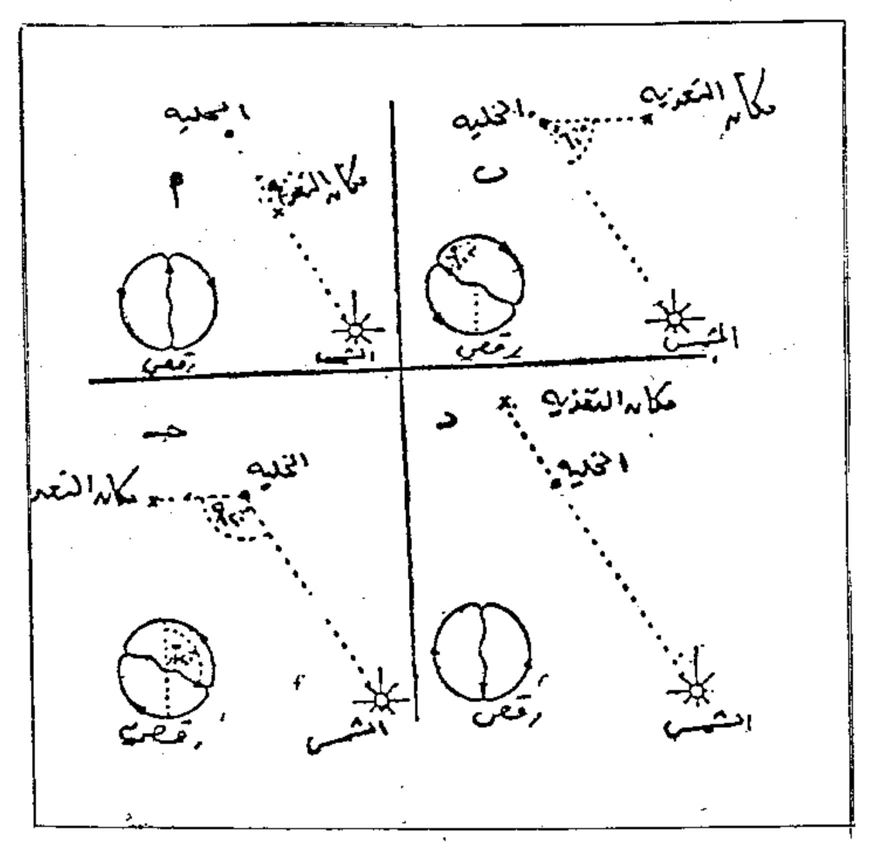
الرقص الاهتزازي

من كتاب (النحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع) ـــ محمد حسن الحمصي ·

ص ـــ ١٠٠

ملحـــق رقـــم (٩)

الشكل يوضح اتجاه الشمس في الرقص على سطح قرص الشمع والاشكال الصغيرة على يسار كل رسم تبين الرقص كما يبدو على قرص الشمع الــــرأسي



من كتاب (النحلة تسبح الله بلغة العلم ، ولسان الواقع) ـــ محمد حسن الحمصي ٠

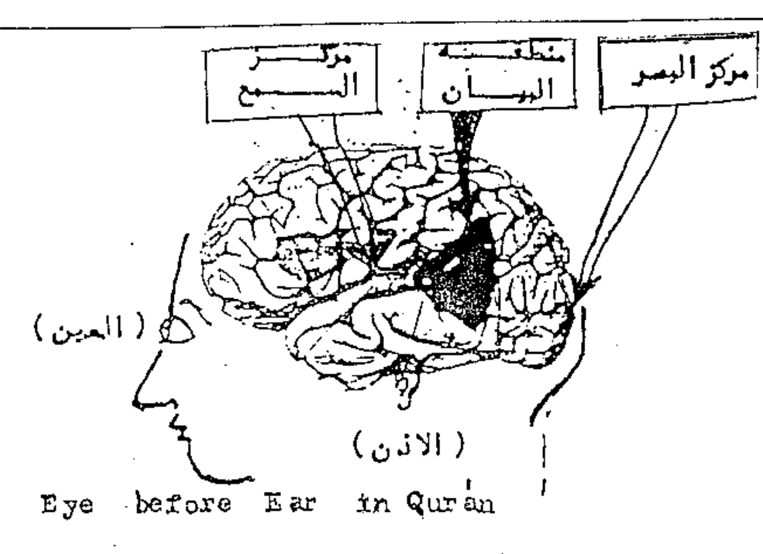
ص ـــ ١٠٤

ملحـــق رقـــم (١٠)

النص الشرعي

- العين عضو الابصار والاذن عضو السمع
  "أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها"
  "وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون"
- السمع والبصر قيمة عقلية عليا
  "وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون"
  "ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون"
- السمع يتقدم البصر فى القرآن الكريم كله
  "وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة"
- العين تتقدم الأذن فى القرآن الكريم كله
  "أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها"
- بكم تقع دائما بين صم من الأمام وعمى من الخلف
  "صم بكم عمى"

الحقيقة العلمية

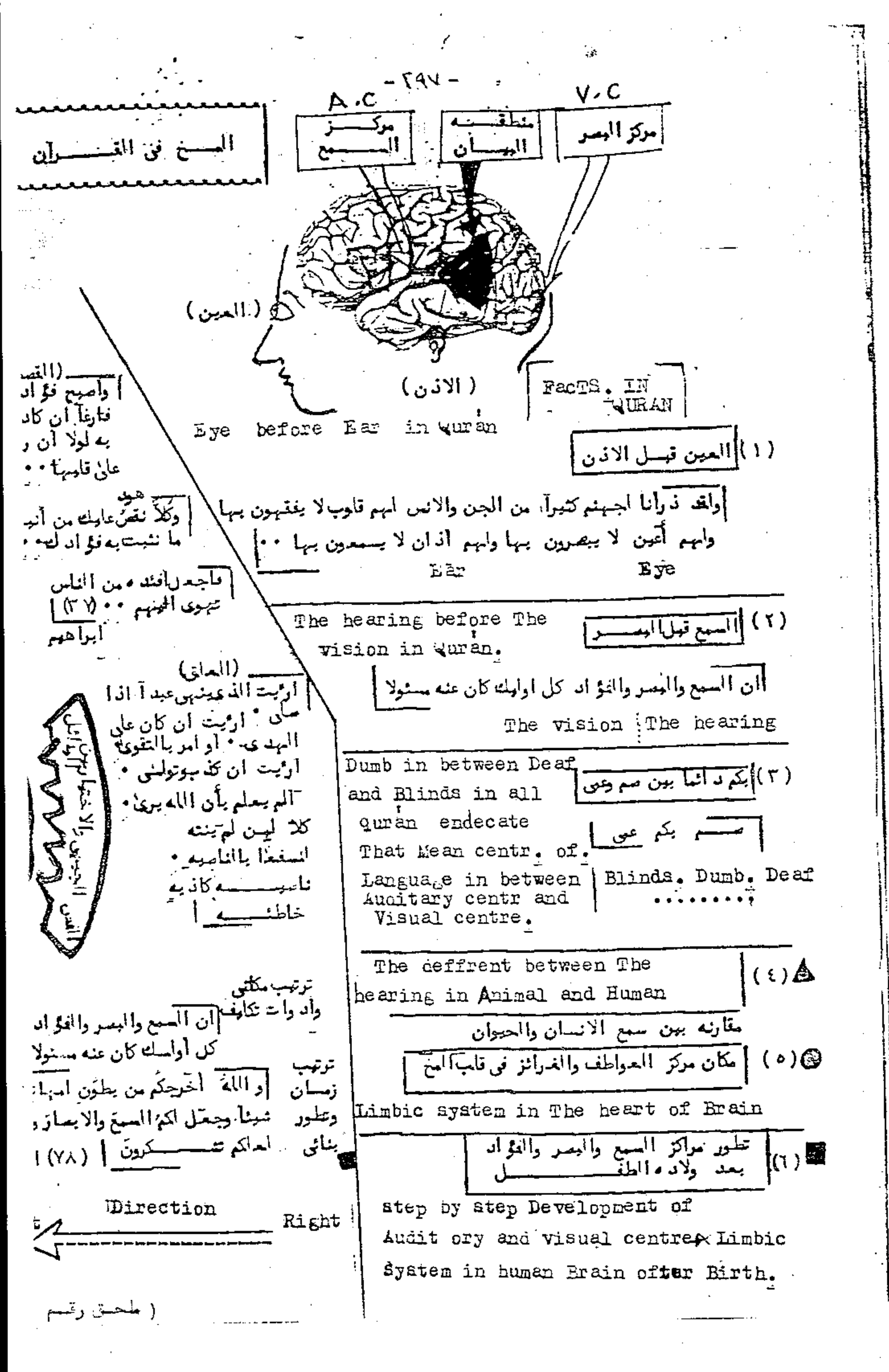


- العين عضو الابصار والأذن عضو السمع
- فى المخ مراكز للسمع وفيها تتم العملية السمعية ومراكز للبصر وفيها تتم العملية البصرية
- مركز السمع يتقدم مركز البصر فى المخ
- العين تقع أمام الأذن من حيث ترتيبها المكانى فى رأس الانسان
- منطقة البيان (ورنيك) تقع بين مركز السمع من الأمام ومركز البصر من الخلف

ملحق رقم (١١)

وجه الاعجاز

- ان القرآن يفرق بين الحس وأعضاء الحس (بين العين والبصر وبين الأذن والسمع) مشيرا الى ان العضو ما هو الا أداة لنقل المؤثرات الحسية الى حيث يتم ادراكها داخل المخ .
- أعضاء الحس (العين والأذن) يأتى ترتيبها فى القرآن كله بأن تتقدم العين على الأذن وهذا هو نفس ترتيب العين والأذن فى رأس الانسان.
- وبالنسبة للسمع والبصر فان السمع يتقدم البصر فى ترتيب الكلمات فى جميع الآيات القرآنية وهذا يطابق تماما ترتيب مراكز السمع والبصر داخل المخ البشرى فمراكز السمع تتقدم مراكز البصر فى المخ
- بدراسة مكان "بكم" بالنسبة "لصم" و"عمى" فى القرآن كله وبدراسه معناها اللغوى واستخدام القرآن لها نستطيع تحديد مكان ووظيفة منطقة البيان داخل المخ البشرى والتى تسمى عالميا منطقة " ورنيك "



المخ في القرآن
A.C
مركز السمع
منطقة البيان
V.C
مركز البصر
(العين)
(الاذن)
FacTS. IN QURAN
Eye before Ear in Quran
(١) العين قبل الاذن
ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها ..
Ear
Eye
The hearing before The vision in Quran.
(٢) السمع قبل البصر
ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا
The vision
The hearing
Dumb in between Deaf and Blinds in all quran endecate That Mean centr. of. Language in between Auditary centr and Visual centre.
(٣) بكم دائما بين صم وعمي
صم بكم عمي
Blinds. Dumb. Deaf
The deffrent between The hearing in Animal and Human
(٤)
مقارنه بين سمع الانسان والحيوان
(٥) مكان مركز العواطف والغرائز في قلب المخ
Limbic system in The heart of Brain
(٦) تطور مراكز السمع والبصر والفؤاد بعد ولادة الطفل
step by step Development of Audit ory and visual centre Limbic System in human Brain ofter Birth.
(القصص) وأصبح فؤاد ... فارغاً ان كادت ... به لولا ان ر... على قلبها ..
وكلاً نقص عليك من أنباء ... ما نثبت به فؤادك ...
فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم .. (٣٧) ابراهيم
(العلق) أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى • أرأيت ان كان على الهدى • أو أمر بالتقوى • أرأيت ان كذب وتولى • ألم يعلم بأن الله يرى • كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية • ناصية كاذبة خاطئة
ترتيب مكاني وأدوات تكامل
ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا
ترتيب زمان وتطور بنائي
والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة لعلكم تشكرون (٧٨)
Direction
Right

ملحق رقم

THE BRAIN IN QURAN

(خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ .....) (٧) البقره

(أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ..) (٢٣) الجاثيه

(قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به .....) (٤٦) الانعام

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا

الى أن قال سبحانه –

ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالاخره وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون (١١٣)

(أحاديث نبويه)

" ان الله مثبت قلبك وهاد فؤادك "

" أهل اليمن أرق قلوبا والين أفئدة "

الفؤاد يقع دائما في مكان ثابت بعد السمع والبصر

قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون (٢٣) الملك

المقارنه بين سمع الانسان والحيوان

ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون (١٧١) البقره

وظيفة مركز البيان

(وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأتي بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم .)

مجمع العواطف والغرائز

Visual C

Auditory C.

مركز السمع

مناطق عقابيه عاما

لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية

ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون (٢٢) الانفال

(عقابيه السمع)

أم موسى ... لتهدى ... (١)

الرسل ١٢٠

لا تعلمون ... أفئدة

دكتور . حسين اللبيدي
HUSAIN ALLUBAIDI

النقابة العامة للاطباء
دار الحكمة
٤٢ شارع القصر العينى ــ القاهرة
ت ٢٣١٦٦ ــ ٢٠٧٣٨

صورة مجسمة للمخ البشرى توحى بها آيات كتاب الله الوحيد المعجز الباقى
(القران الكريم)

١ ــ عندما تاتى العين مع الاذن فى آية واحدة فان العين تأتى قبل الاذن فى الترتيب المكانى لها فى الآيه
وهى كذلك فى رأس الانسان العين من الامام والاذن تليها الى الخلف (ملحوظة) ــ العين والاذن تاخذ اللون الازرق فى الصورة

٢ ــ الترتيب المكانى للسمع والبصر فى كل القران يطابق الترتيب المكانى لمراكز السمع والبصر داخل المخ البشرى
فالسمع يأتى قبل البصر فى كلام اللـه ومراكز السمع أمام مراكز البصر داخل المخ البشرى
(ملحوظة) ــ السمع والبصر ومراكزهما تأخذ اللون الاخضر فى الصورة

٣ ــ الفؤاد يتخذ مكان ثابت بعد السمع والبصر فى كل القرآن الكريم وهو لغويا يحمل معنى الاتقاد ويطلق عليه أيضا القلب ــ
ولقد وجد العلماء ان هناك مراكز للعواطف والغرائز تقع فى قلب المخ (فى العمق)
ملحوظة ــ (الفؤاد) + مجمع العواطف والغرائز داخل المخ يأخذ اللون الاحمر فى الصورة

٤ ــ بكم تأتى دائما وفى كل القرآن بين صم وعمى
(صم بكم عمى)
وقد وجد العلماء أن هناك مركز رئيسى للبيان داخل المخ البشرى يقع بين مركز السمع والبصر وهو ملون باللون الأسود فى الصورة
وهناك حقائق أخرى كثيرة ومثيرة .

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

فهرس المصادر والمراجع

أولا :

القــــرآن الكريـــــم

ثانيا : التفاسير .

* بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى المتوفى ٨١٧هـ

تحقيق محمد النجار . المكتبة العلمية - بيروت - لبنان .

* تفسير ابن كثير القرشى

لعماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بـــن كثير القرشى المتوفى ٧٧٤هـ ، راجعه وعلق حواشيه عبد الوهاب عبد اللطيف ، صححه وأشرف على طبعه محمد الصديقى - مكتبة النهضة الحديثة - القاهـرة الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .

* تفسير ابن عباس ومروياته فى التفسير من كتب السنة ، د . عبد العزيز بن عبد الله الحميدى ، مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى ، الكتاب الثالث والخمسون ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة .

* تفسير الجلالين للقرآن العظيم

للامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى ٩١١هـ

والامام جلال الدين محمد بن أحمد المحلى المتوفى ٨٦٤هـ

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - الطبعـــة الثالثة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م .

* تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل

علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الشهير بالخـــازن المتوفى ٧٢٥هـ

دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت - لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان
نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري المتوفى بعد ٨٥٠هـ.
دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت-لبنان-الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
* التفسير القرآني للقرآن-عبد الكريم الخطيب -. دار الفكر العربي -القاهرة .
* التفسير الكبير - تفسير فخر الدين الرازي
للامام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمرو
المشتهر بخطيب الري المتوفى ٦٠٤هـ
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
* تفسير المنار
محمد رشيد رضا
دار المعرفة ،بيروت - الطبعة الثانية .
* التفسير الواضح
الدكتور محمد محمود حجازي
دار الجيل - القاهرة - الطبعة الرابعة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
* تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى ١٣٧٦هـ
تحقيق وضبط محمد زهري النجار - الرئاسة العامة لادارات البحوث
العلمية والافتاء والدعوة والارشاد - الرياض ١٤٠٤هـ .
* جامع البيان في تفسير القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ
دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
* الجامع لأحكام القرآن
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى ٦٧١هـ/١٢٧٣م
دار احياء التراث العربي (اعادة الطبع) بيروت - لبنان ١٩٦٦م .

* الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

الشيخ طنطاوى جوهرى المتوفى ١٣٥٨هـ - دار الفكر - الطبعة الثانية ١٣٥٠هـ.

* دراسة أدبية لنصوص من القرآن - محمد المبارك - دار الفكر - ط٤ - ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٣م .

* الدر المنثور فى التفسير بالمأثور

جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى ٩١١هـ

دار الفكر بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى

شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى المتوفى ١٢٧٠هـ

دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت - لبنان - طبعة جديدة مصححة ومنقحة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير

محمد بن على الشوكانى المتوفى فى صنعاء ١٢٥٠هـ

دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* فى ظلال القرآن

سيد قطب المتوفى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م

دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة .

* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل

ابى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى المتوفى سنة ٥٣٨هـ

طبعة دار المعرفة - بيروت .

ثالثا : علوم القرآن والحديث .

* أسباب النزول
أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى ٤٦٨هـ
دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
* تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى
للامام الحافظ أبى العلى محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم
المباركفورى المتوفى ١٣٥٣هـ
مراجعة وتصحيح عبدالوهاب عبداللطيف ـ الطبعة السلفية ـ الطبعة
الثانية ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
* تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف
الحافظ المزى (يوسف بن عبدالرحمن المزى) المتوفى ٧٤٢هـ
المكتب الاسلامى ،بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
* تقريب التهذيب
الامام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٢هـ
تحقيق محمد عوامة ـ دار الرشيد-سوريا ـ حلب . ط الأولى ١٤٠٦هـ/
١٩٨٦م .
* تقريب التهذيب
الامام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٢هـ
تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ـ طبعة دار المعرفة ـ بيروت .
* تهذيب التهذيب
الامام الحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٢هـ
دار صادر ـ بيروت ـ لبنان طبعة عام ١٩٦٨م الطبعة المصورة عن
الطبعة الأولى فى الهند عام ١٣٣٥هـ .

* سبل السلام شرح بلوغ المرام

محمد بن اسماعيل الأمير اليمنى الصنعانى المتوفى ١١٨٢هـ

تحقيق فواز أحمد زولى وابراهيم محمد الجمل - دار الكتاب العربى - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

* سلسلة الأحاديث الصحيحة

محمد ناصر الدين الألبانى

المكتب الاسلامى ،بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* سنن ابن ماجه

الحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه المتوفى ٢٧٥هـ

تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقى - طبع دار الفكر - بيروت .

* سنن ابن ماجه

للحافظ ابى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى المتوفى ٢٧٥هـ

الكتب الستة - دار الدعوة ،شروب ، استانبول ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* سنن الترمذى

أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة المتوفى ٢٧٩هـ

تحقيق ابراهيم عطوة عوض ،دار احياء التراث العربى ،بيروت

* سنن الدارمى

الامام أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى المتوفى ٢٥٥هـ

الكتب الستة - دار الدعوة - شروب - استانبول ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* السنن الكبرى ،ابى بكر احمد بن الحسين بن على البيهقى المتوفى ٤٥٨هـ، دار الفكر - بيروت .

* صحيح البخارى للامام ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى ٢٥٦هـ، الكتب الستة- دار الدعوة- شروب- استانبول - تركيا ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* صحيح البخاري

تحقيق مصطفى ديب البغا

دار القلم ،بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* صحيح الجامع الصغير

محمد ناصر الدين الألباني

المكتب الاسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* صحيح مسلم

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري المتوفى ٢٦١هـ

تحقيق فؤاد عبدالباقي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

* صحيح مسلم

للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ

الكتب الستة ـ دار الدعوة ـ شروب ـ استانبول ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* فتح الباري بشرح صحيح البخاري

للامام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ

دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى ٨٠٧هـ

مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* مسند الامام أحمد بن حنبل

تحقيق أحمد شاكر ـ مصور طبعة دار المعارف بمصر .

* مسند الامام أحمد

هو الامام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ

الكتب الستة ـ دار الدعوة ـ شروب ـ استانبول ـ تركيا ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه

للحافظ احمد بن أبى بكربن اسماعيل الكتانى المتوفى ٨٤٠هـ

تحقيق وتعليق محمد المنتقى الكشناوى ـ دار العربية ـ بيروت

لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* الموطأ

للامام مالك بن أنس المتوفى ١٤٩هـ

الكتب الستة ـ دار الدعوة ـ شروب ـ استانبول ـ تركيا

١٤٠١هـ/١٩٨١م .

رابعا : مراجع متنوعة .

* احياء علوم الدين

الامام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى ٥٠٥هـ

عالم الكتب ـ دمشق ـ طبعة مصورة .

* أسرار العافية

مسلم غازى

سبتا ـ دمشق ـ الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* الاسلام فى عصر العلم

محمد أحمد الغمراوى ـ د. أحمد عبدالسلام الكردانى

دار الكتب الحديثة .

* الاسلام والنظر فى آيات الله الكونية

د. محمد عبدالله الشرقاوى

سلسلة دعوة الحق ـ رابطة العالم الاسلامى ـ مكة المكرمة ـ السنة

الخامسة ـ العدد (٤٧) صفر ١٤٠٦هـ .

* الاسلام يتحدى

وحيد الدين خان

تعريب ظفر الاسلام خان ـ تحقيق د. عبدالصبور شاهين ـ دار البحوث العلمية ـ الطبعة السادسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* الاعجاز الطبى فى القرآن

د. السيد الجميلى

دار مكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط الثالثة ١٩٨٦م .

* الله بين الفطرة والدين

الشيخ محمد حسن آل ياسين

المكتب العالمى للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ط السادسة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

* الله جل جلاله

سعيد حوى

دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة ثالثة منقحة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* الله فى العقيدة الاسلامية

حسن البنا

دار الشهاب ، القاهرة .

* الله والكون

د. محمد جمال الدين الفندى

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م .

* الله يتجلى فى عصر العلم

نخبة من العلماء الأمريكيين ـ بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض ـ أشرف على التحرير : جون كلوفر مونسى ـ ترجمة الدكتور الدمرداش سرحان ـ مراجعة الدكتور محمد جمال الدين الفندى ـ عالم المعرفة ـ بيروت .

* الانسان فى القرآن الكريم
عباس محمود العقاد
دار الهلال - مصر .
* الانسان فى القرآن الكريم من البداية الى النهاية
عبدالكريم الخطيب
دار الفكر العربى - الطبعة الأولى ١٩٧٩م .
* الانسان فى الكون بين القرآن والعلم
د. عبدالعليم خضر
عالم المعرفة ،جدة ،الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
* آيات الله تعالى (سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)
محمد وفا الاميرى
دار الرضوان - حلب - سوريا .
* كتاب الايمان
ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ
المكتب الاسلامى دمشق - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ .
* تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى
أبو زيد شلبى
مكتبة وهبة ،مصر ،الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .
* التبيان فى أقسام القرآن
شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ
تصحيح وتعليق محمد حامد الفقى - دار المعرفة - بيروت - لبنان ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* تربية النحل فى القرى والمدن
أحمد عطية غراب
دار الفكر العربى ـ القاهرة .
* تفسير الآيات الكونية
د. عبدالله شحاتة
دار الاعتصام للطبع والنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
* التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن
حنفى أحمد
دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة .
* التمر خير غذاء وأفضل علاج
يوسف جبريل أبو فرج الله
دار الأنصار ـ القاهرة.
* كتاب التوحيد
الشيخ عبدالمجيد الزندانى
دار السلام، دار المجتمع، جدة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
* جاهلية القرن العشرين
محمد قطب
دار الشروق ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
* جغرافية البحار
د. عبدالعزيز شرف
مكتبة الخريجى ـ الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .
* الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى (عصر النهضة فى الاسلام)
آدم متز ـ نقله الى العربية محمد أبو رميزة ـ الجزء الثانى
دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

* حقيقة الانسان بين القرآن والعلم
د. أبو اليزيد العجمى
سلسلة دعوة الحق – رابطة العالم الاسلامى – العدد ٢٢ – محـــــــرم ١٤٠٤هـ – مكة المكرمة .

* الحكمة من مخلوقات الله
الامام أبى حامد الغزالى الطوسى
تحقيق د. محمد رشيد رضا قبانى – دار احياء العلوم – بيـــــــروت الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* خلفاء الرسول
خالد محمد خالد
دار الكتاب العربى ،بيروت ،الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

* خلق الانسان بين الطب والقرآن
د. محمد على البار
الدار السعودية للنشر ،جدة،الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
وكذلك الطبعة السادسة مزيدة ومنقحة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* دراسات قرآنية
محمد قطب
دار الشروق ،بيروت ،القاهرة ،الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* الدين والدنيا
وضع الحاج عباس كرارة
مكتبة الحرمين – مكة – الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ .

* ركائز الايمان بين العقل والقلب
محمد الغزالى
دار الاعتصام – القاهرة – الطبعة السادسة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* الزيتون – تربية الأشجار وتصنيع الثمار
عبد اللطيف واكد .
مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة .
* شبهات وردود حول العقيدة الربانية وأصل الانسان
د. عبد الله ناصح علوان
دار السلام ،بيروت ،حلب ، القاهرة – الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
* الطب فى القرآن
د. عبد الله عبادة
مكتبة الخانجى ، القاهرة ،دار الرفاعى بالرياض .
* الطب محراب الايمان
د. خالص جلبى
الجزء الأول ،مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
* الطيـــــران
اعداد جميل أبو ريه
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .
* الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن
د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
الدار السعودية للنشر ،جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
* ظواهر جغرافية فى ضوء القرآن الكريم
ابراهيم حسن النعيرات
الناشر فتحى نعيرات – الأردن – الطبعة الثانية ١٩٨١م .
* عسل النحل شفاء نزل به الوحى
د. عبد الكريم نجيب الخطيب
الدار السعودية ،جدة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* العقيدة فى الله فى ضوء الكتاب والسنة
د. عمر الأشقر
مكتبة دار الفلاح ، الكويت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م .

* العلم الحديث حجة للانسان أم عليه
د. عبدالله العبادى
القسم الأول - دار الثقافة - الدوحة - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

* علم الحيوانات العام
لطلبة الجامعات والمعاهد العليا بمصر
د. فؤاد خليل وآخرون - مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٦م .

* العلم والايمان فى بناء الأمم والمجتمعات
د. عبدالغنى الراجحى
المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

* العلم يدعو للايمان (الانسان لايقوم وحده)
الاستاذ كريسى موريسون
ترجمة محمود صالح الفلكى - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٦٥م .

* العلوم الطبيعية فى القرآن
يوسف مروة
منشورات مروة العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ.

* فسيولوجيا الحيوان (الفسيولوجيا العامة والانتاج والهرمونات والتناسل)
د. محمد يحيى حسين درويش
دار المعارف بمصر - الطبعة الأولى ١٩٨١م .

* القانون فى الطب
الشيخ أبو على بن على بن سينا المتوفى ٤٢٨هـ
دار صادر ـ بيروت ـ طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة بولاق .
* القرآن الكريم معجزة وتشريع
عبدالكريم نيازى
مطبوعات نادى مكة الثقافى الأدبى ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
* القرآن واعجازه العلمى
محمد اسماعيل ابراهيم
دار الفكر العربى .
* القرآن والتوراة والانجيل والعلم
دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة
موريس بوكاى ـ دار المعارف ـ القاهرة .
* القرآن والعلم
أحمد محمد سليمان
دار العودة ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة ١٩٨١م .
* القرآن والعلم
د. محمد جمال الدين الفندى
دار المعرفة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٦٨م .
* القرآن والعلم الحديث
عبدالرزاق نوفل
دار الكتاب العربى ـ بيروت .
* قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن
الشيخ نديم الجسر
المكتب الاسلامى ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
* الكامل فى التاريخ
أبى الحسن على بن أبى الكرم المعروف بابن الاثير المتوفى ٦٣٠هـ
دار الفكر ،بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

* الكون والاعجاز العلمى للقرآن

د. منصور حسب النبى

دار الفكر العربى ـ القاهرة .

* المـــاء

د. محمد فتحى عوض الله

سلسلة العلم للجميع ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م .

* الماء والحياة بين العلم والقرآن

د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر

الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ جدة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

* مجموعة فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية

جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد النجدى

الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ـ ادارة المساحة

العسكرية بالقاهرة ١٤٠٤هـ .

* مع الطب فى القرآن الكريم

د. عبدالحميد دياب ـ د. احمد قرقوز

مؤسسة علوم القرآن،دمشق ،الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* معجزة خلق الانسان بين الطب والقرآن

د. نبيه عثمان

سلسلة دعوة الحق ،دار الصحافة والنشر برابطة العالم الاسلامى

عدد ٥٠ السنة الخامسة ١٤٠٦هـ .

* المعجزة العلمية فى القرآن والسنة

عبدالمجيد الزندانى

سفير للدعاية والاعلان ـ المهندسين ،مصر .

* معجزة القرآن

نعمت صدقى

دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

* من كل شئ موزون

د. عبد المحسن صالح

مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع – جدة – الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

* المنهج الايمانى للدراسات الكونية

د. عبد العليم عبد الرحمن خضر

الدار السعودية للنشر والتوزيع – جدة – الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

* منهج التربية الاسلامية

محمد قطب ابراهيم

الجزء الأول – دار الشروق – بيروت – القاهرة – الطبعة السابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* نباتات فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

د. كمال الدين البتانونى

ادارة احياء التراث الاسلامى – دولة قطر – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

* نحل العسل فى القرآن والطب

د. محمد على البنبى

مركز الأهرام للترجمة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

* النحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع

محمد حسن الحمصى

دار الرشيد ، دمشق ، الطبعة الرابعة .

* نظرات فى القرآن

محمد الغزالى

دار الكتب الحديثة ـ مصر ـ الطبعة الرابعة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

* نعم الله فى خلق الانسان كما يصوره القرآن الكريم

د. عزت محمد حسن

مكتبة المعارض، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* النمو النفسى للطفل والمراهق ونظريات الشخصية

د. محمد مصطفى زيدان

دار الشروق جدة ١٣٩٩هـ .

* هندسة النظام الكونى فى القرآن الكريم

د. عبد العليم عبد الرحمن خضر

مكتبات تهامة للنشر والتوزيع ـ جدة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

خامسا : المعاجم اللغوية والموسوعات .

* الأعلام

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

خير الدين الزركلى

دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الخامسة ١٩٨٠م .

* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية

اسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى ٣٩٣ هـ

تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ـ الطبعة الثانية للمرة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* القاموس الاسلامى - الجزء الثالث
وضع أحمد عطية الله
مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
الجزء الاول ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
الجزء الثانى ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
الجزء الرابع ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .
الجزء الخامس ٩٩ ١هـ/١٩٧٩م .

* لسان العرب
لأبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بم منظور الافريقى المصرى
المتوفى ٧١١هـ
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،دار صادر ،بيروت - لبنان .

* المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى
احمد بن محمد الفيومى المتوفى عام ٧٧٠هـ
المكتبة العلمية - بيروت - لبنان .

* معجم مقاييس اللغة
أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازى المتوفى ٣٩٥هـ
تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الحلبى - مصر - الطبعة الثانية
١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

* معجم المؤلفين
عمر رضا كحالة
مكتبة المتنبى - بيروت - مكتبة دار احياء التراث العربى
بيروت .

* المعجم الوسيط
ابراهيم مصطفى وآخرون
ادارة احياء التراث الاسلامى - دولة قطر .

* المعرفة ـ أكمل موسوعة علمية ـ

لجنة استشارية علمية برئاسة د. محمد فؤاد ابراهيم

توزيع الشركة الشرقية للمطبوعات ـ بيروت .

النشرة : شركة ترادكسيم شركة مساهمة سويسرية ـ جنيف .

* المفردات فى غريب القرآن

لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى المتوفى عام ٥٠٢هـ

تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

* موسوعة الثقافة العلمية

اشراف الدكتور أنور محمود عبدالواحد

دار الكتاب الجديد ـ مطابع الأهرام التجارية ١٩٧٦م .

* الموسوعة العربية الميسرة

دار نهضة لبنان للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان المتوفى عام ٦٨١هـ

حققه د. احسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان .

سادسا : الدوريات .

* انه الحق

للشيخ عبدالمجيد الزندانى

شريط فيديو علمى دينى ، انتاج هيئة الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بالتعاون مع تلفزيون قطر .

* أوجه الاعجاز فى وصف اللقاء بين البحر والنهر
الشيخ عبد المجيد الزندانى
بحث مقدم للهيئة التأسيسية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة
بمقر رابطة العالم الاسلامى بمكة فى الفترة من ٢٥ – ١٤٠٦/٨/٢٩هـ ٠
بحث رقم (٦) ٠

* أوجه الاعجاز فى وصف الملتقى بين البحرين
الشيخ عبد المجيد الزندانى
بحث مقدم للهيئة التأسيسية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بمقر
رابطة العالم الاسلامى بمكة فى الفترة من ٢٥ – ١٤٠٦/٨/٢٩هـ ٠
بحث رقم (٧) ٠

* أوجه الاعجاز فى وصف اليخضور
الشيخ عبد المجيد الزندانى
بحث مقدم للهيئة التأسيسية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة
بمقر رابطة العالم الاسلامى بمكة فى الفترة من ٢٥ – ١٤٠٦/٨/٢٩هـ ٠
بحث رقم (٥) ٠

* السمع والبصر وقضية الفؤاد
د٠ حسين اللبيدى
بحث مقدم للمؤتمر العالمى الأول للاعجاز العلمىفى القرآن والسنة
اسلام آباد – صفر ١٤٠٨هـ/٩٨٧ م ٠

* الفرق بين القلب العضلى والقلب المعنوى
د٠ محمد على البار
مقالة فى المجلة العربية عدد ١١١ السنة العاشرة – ربيع الثانى
١٤٠٧هـ ٠

* مجلة المجرة
مجلة علمية ثقافية عامة
اصدار النادى العلمى الكويتى العدد (٧٠) أكتوبر ١٩٨٦م ٠

* وجه الاعجاز فى وصف الجبال

للشيخ عبدالمجيد الزندانى

بحث مقدم للهيئة التأسيسية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بمقر رابطة العالم الاسلامى فى مكة فى الفترة من ٢٥ – ١٤٠٦/٨/٢٩هـ .

بحث رقم (٨) .

* وصف أوجه الاعجاز فى أطوار الخلق

الشيخ عبدالمجيد الزندانى

بحث مقدم للهيئة التأسيسية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بمقر رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة فى الفترة من ٢٥ – ١٤٠٦/٨/٢٩هـ . بحث رقم (٣) .

فهرس

محتويات الرسالة

محتويات الرسالة

صفحة

صفحة

صفحة

الفصل الثانى : المـــاء

الفصل الثالث : وجود النباتات المختلفة

صفحـــة

صفحة

صفحة

الباب الثالث : الانسان